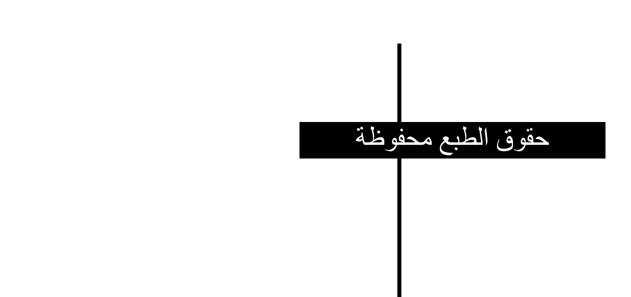
ضحايا التاريخ

ليس بين الشيعة العرب وأبناء السنة غير الذي بين الشقيق وشقيقه

أسعد الغريري



بطاقة فهرسة



مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : ضحايا التاريخ

المؤلف : أسعد الغريري

رقم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com

الطبعة الأولى ٢٠١١

إهداء

إلى كل أولئك الذين يقفون الآن على أبواب جهنم (من الأحياء والأموات) وممّن أركبتهم كتب التاريخ الشـوهاء صـهوة جواد الشـطط فقرؤوا وتعصّـبوا ودُعوا ولم يسـتجيبوا فضـلوا طريق الحق وانتهت بهم رحلة التيه إلى ما هم عليه الآن .. ولات ساعة مندم.

المؤلف

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤].

المقدمة

وقال الإمام علي عليه السلام : **لقد نظرتُ فما وجدت أحداً من العالمين يتعصّب لشيء من الأشياء إلا عن علةٍ تحتمل تمويه الجهلاء أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر لا يعرف له سبب ولا علة.**

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضـــا : **الناس أعداء ما جهلوا**، .. وتلك حقيقة أثبتت الوقائع أن ليس للشك من أن يرتقي إليها بشيء، من هنا حاولت أن أدلو بدلوي وأن أكشف المستور وأضع بين يد القارئ الكريم كلَّ ما كان يجهل أو كلَّ ما كانوا قد جهّلوه به مرةً واحدة ، وكنت أقول في سرّي : إذا رمى الناسُ ما جهلوه بسهام العداوة في الوهلة الأولى فستنفد سهامهم في الثانية، وسيجدون أنفسهم في المرة الثالثة أمام الحقيقة التي لا تصـــمد أمامها أكثر الأكاذيب رواجاً، وبينما أنا كذلك وقعت عيني على حديث نبوي شريف كان الرسول المصطفى ^ قد قاله : «**إذا ظهرت البدع ولعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فلينشره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد**»، ووقفت على حديث آخر قال فيه نبينا الكريم ^ : «**إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**».

وهنا دخلت مع نفسي التي راودتني ذات يوم عن مراد نفسي في حوار أقضَّ مضجعي ، سألتها: أما ترين البدع وقد صار جُلّها ترنيمة الحمقى والسفهاء والجهلة ؟ قالت : بلا، قلت لها: أما وقفت على نكرةٍ أخرق مثل فلان وهو يلعن الأخيار من آلِ بيت محمد وصـــحبه النجباء ويدعو عليهم بالويل والثبور ؟ !! قالت : بلا، قلت : ألم يُمكّننا الله بفضـله ومنّته أن نتدبّر ونتفكّر كما أمرنا فيسَّـرَ لنا بصـيرة استطعنا بها والحمدُ لله أن نستدل على منابع الحقيقة فننهل منها وندع الزبَدَ الذي طفا على مساحات شاسعة من حقائق التاريخ القديم والمعاصـــر جانباً ونمضـــي باتجاه كتابة جديدة لتاريخ قديم جديد ؟ قالت : بلا، قلت : فَلمَ تصـــديني عن بُغيتي ؟ قالت : إذا كان الأمر كذلك فابدأ على بركة الله، فبدأتُ بحمد الله والصـــلاة والســلام على رسوله العربي الأمي الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين:

لقد تكفّل الله تعالى للناس جميعاً الجدال في الحوار الذي يقوم على أســاس حق الاختلاف ، لذلك ترى الإمام علي عليه السلام يقول : «**اعلموا أنكم لم تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضـــه، ولن تمســكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمســوا ذلك عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل**»، قلت : إذن فإننا ملزمون بمعرفة من ترك الرشد معرفة دقيقة لكي نستدل على الرشد ونســير على هداه ،وتلك مهمة وإن كانت عسـيرة على البعض إلا أنها ممكنة، فمن نهى النفس عن الجهل والهوى وجاهدها فأعمل عقله في نقل الخبر ليتحقق منه ويتثبت أو يضـــرب به عرض الجدار ســـيرى الطريق سالكة لبلوغ مراده وهنا تذكرت قول إمام الهدى علي بن أبي طالب عليه السلام : «**عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا لأهوائكم فإن النازل بهذا المنزل نازل بشـــفا جرف هار، ينقل الردى على ظهره من موضع لموضع**».

إن العناصر الداخلة في الجدل والحوار الذي يقوم على أساس حق الاختلاف، لا يمكن أن يكون إلا بين فريقين لكل فريق منهما رؤيته الخاصة التي تشكلت من قناعات عامة أو خاصة أحياناً، ربما فقدت سلطتها على رؤية أحد الفريقين بســبب انحســار مســاحة الوعي المكونة لمعطيات ذلك الفريق، فجعلته يقف على حدود دائرة الاتهام بالشبهة، وبقي أمر شططه أو صوابية بعض طروحاته نسبياً، وإذا كانت تلك هي إحدى معطيات الحوارات التي تأخذ أشكالاً سياسية أو فلسفية أو اجتماعية، أو حتى علمية في بعض الأحايين، فإن الحوارات التي تناقش أصـــول الأديان الســـماوية أو المذاهب الناشـــئة عنها يكون فيها الفريق الآخر المُعْرِض عن أصلٍ من أصول الدين الواحد في قلب دائرة الاتهام، وهذا ما جعلنا نصـادق على ما كان قد قاله علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الصـدد : **ما اختلفت دعوتان إلا كانت أحدهما ضـلالة**. ولربما هذا هو القانون الطبيعي لنتائج الاختلاف بين دعوتين في مناقشة الأصول التي قامت عليها الأديان والمذاهب التي رشحت عنها، ولكن المؤسسة الصفوية وبدلاً من أن تكون حرز الإسلام ، عمدت على إيجاد قواعد جديدة

للحوار مع الآخر، قام على قاعدة مواجهة العرب المسلمين بمنطق الغُلو وبسيف الإسلام معاً في جانب، وإيهام بسطاء الشيعة العرب الأنقياء بموالاة آل بيت النبوة في جانب آخر، فأنشؤوا العديد من المؤسسات المشبوهة التي لا تعنى إلاّ بإدارة شؤون الفتنة، وإننا لا نجد ما نهمس به في آذان أتباع تلك المؤسسات أدلّ وأصدق من قول الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة : «**ألا فالحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا على حسبهم وترفعوا فوق نسبهم وألقوا الهجينة على ربهم وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه فإنهم قواعد أساس العصبية ودعائم أركان الفتنة وسيوف اعتزال الجاهلية**».

فهل سينتهي بعض الشيعة العرب ـــ وأنا ناصح لهم من طاعة بعض فقهائهم طاعة عمياء، ويلجؤون إلى إعمال العقل في تدبر أمور دينهم؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء : ٨٢]..

لقد قامت هذه المؤسسات التي أشرنا إليها على فكرة مؤداها اقتفاء آثار آل بيت النبي المصطفى ^ وإيهام أتباعهم بأنهم من شيعة ذلك البيت الشريف، ما أغرى بعض الأنقياء من عوام الشيعة العرب ودعاهم إلى الانفتاح على بعض دعواتهم ودونما تحقق وللأسف الشديد، وصادقوا على مرويات مكذوبة كانت تلك المؤسسات قد نسبتها إلى أركان بيت النبوة وقد نجحت - والحق يقال - في أن تجعل من تلك المرويات تاريخاً صار أغلبية الشيعة العرب أحد ضحاياه، وليتهم قد تنبهوا لما تنبه إليه الإمام الباقر عليه السلام قبل أكثر من عشرة قرون إذ استشعر خطر تلك الظاهرة فقال يومها : «**إن أحاديثنا إذا سقطت في الشام جاءتنا صحاحاً وإذا سقطت في العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص**»، وروي عنه إنه قال : «**أما والله لو يروون عنّا ما نقول ولا يحرفونه ولا يبدلونه علينا برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء**»[1].

هذا في جانب وفي جانب آخر فقد شكا عليه السلام لبعض أصحابه من أولئك الذين يستمعون إلى الأحاديث الصحيحة عن أئمة آل بيت النبي عليه السلام ويبالغون في مخالفتها، فمن حديث جاء على ذكره شيخ الطائفة الصفوية (المجلسي) في (١٨٦/٢) من كتابه بحار الأنوار وضمته الصفحة (٢٢٣) في الجزء الثاني من كتاب الكافي لثقتهم (الكُليني)، قال الإمام الباقر عليه السلام : «**إن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم إليَّ الذي إذا سمع حديثاً ينسب إلينا ويروي عنا فلم يعقله ولم يقبله قلبه اشمأزّ منه وَجَحَدَهُ**».

وفي رواية جاء على ذكرها صاحب كتاب علل الشرائع (٦٠٧/٦٠٦) والمجلسي في (٢٨٨/٥-٢٢٩) من كتابه بحار الأنوار، روي عن ابن بابويه بسنده عن أبي إسحاق (إبراهيم الليثي) قال : قلت لأبي جعفر - محمد الباقر ـــ : «يا ابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر، إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني ؟ قال : لا، قلت : فيشرب الخمر ؟ قال : لا، قلت : فيأتي بكبيرة من الكبائر أو فاحشة من الفواحش، قال : لا، قلت : يا ابن رسول الله إني أجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطريق ويخيف السبل ويزني ويلوط ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة ويقطع الرحم ويأتي الكبائر، فكيف هذا وَلِمَ ذاك ؟ فقال : يا إبراهيم هل يختلج صدرك غير هذا ؟ قلت : نعم يا إبن رسول الله ... إلخ».

وكان الإمام الصادق عليه السلام قد قال في ذات الصدد وفي حديث أورده المجلسي في (٢٦٤/٢) من كتابه بحار الأنوار : **إننا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذابٍ يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه**.

وحدث أن اشتكى الفيض بن المختار إلى أبي عبد الله فقال : جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟ فقال : وأي اختلاف ؟ قلت : إني لأجلس في حَلِقِهم بالكوفة فأكادُ أشك في اختلافهم في حديثهم، فقال أبو عبد الله : أجل هو ما ذكرت، إن الناس أولعوا بالكذب علينا وإن أُحدّث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وحبنا ما عند الله وإنما يطلبون الدنيا، وكلٌّ

(١) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي الشيعي (٦٤/١) و القرشي في عيون الأخبار (٢١٥/٤).

يُحبُ أن يُدعى رأساً. (وهذا ما كان قد أتى على ذكره الكشّي في (١٣٥-١٣٦) من الرجال، والمجلسي في بحار الأنوار، وقد شهد شاهد من أهلها).

ومما نقله القرشي في الصفحة (٢٦٨) من الجزء الرابع من كتابه عيون الأخبار أن أحدهم كان قد سأل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً : ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟ فقال عليه السلام: «أجل هو ما ذكرت، إن الناس أُغروا بالكذب علينا حتى كأن الله عز وجل افترضه عليهم لا يريد منهم غيره».

وعندما نفدَ صبر الإمام الصادق عليه السلام قال قولته الشهيرة التي وردت في أكثر كتب الطائفة اعتباراً - الرسائل العقائدية- وفي الصفحة (٢٧) منه : «**إن من الشيعة علينا من هم شرٌّ من النواصب**»، وكان قد قال عليه السلام في موضع آخر : **لو قام قائمنا بدأ بكذا بي الشيعة فقتلهم**، والغريب في الأمر أن الذي جاء على ذكر ذلك هو الكشي في الرجال وفي الصحفة (٢٥٣) على وجه التحديد.

وأنا على يقين من أن الإمام الباقر وولده الصادق عليهما السلام لم يستهدفا الشيعة العرب في كل ما ذهبا إليه لأنهم أتباعهما، وهم أعفُّ من أن يكونوا من الذين اشتكاهم أبو إسحاق إبراهيم الليثي للإمام الباقر عليه السلام، فجلّهم على مروءةٍ تمنعهم من أن يأتوا الفاحشة التي نهى الله تعالى ورسوله الأمين ^ عنها وهم أرفع من أن يتبنوا عقائد تتقاطع مع ما كان يعتقد به أئمة آل بيت النبي الأكرم محمد ^ (وسيرى القارئ الكريم صوابية ما ذهبنا إليه).

ليس الشيعة العرب موضع شبهة أحد لكي أنافح عنهم أنا أو يذب عنهم غيري، لكنهم والحق يقال، جديرون بأن ننافح عنهم بأرواحنا فليس بيننا وبينهم إلا ما بين الشقيق وشقيقه، فالشيعة العرب والحق نقول لا يقولون بتحريف القرآن، وليس لهم من كتاب غير كتاب الله عزّ وجل ولا يدينون بعقيدة التجسيم والبداء والطينة ، وغيرها من العقائد الصفوية ولا يدنّسون أنفسهم بالمتعة ولا يولّون وجوههم إلاّ شطر الكعبة المكرمة ويبتغون فضلاً من الله في حج بيته الحرام ولا يصرّفون بالتقية شؤون دينهم، وينؤون بأنفسهم عن الإساءة إلى كل ما هو عربي لأنهم عرب قبل كل شيء، وقد عرفوا عن نبيهم محمد ^ حبه للعرب .

وكل ما نتمناه على الشيعة العرب الأنقياء ونظرائهم من أبناء القوميات الأخرى أن يتجاوزوا مرويات تاريخ كتبته أقلام مأجورة دواتها الحقد على كل ما هو عربي وسيرى القارئ الكريم صوابية ما سنذهب إليه ويقف على حقائق تاريخية ــ في هذه الجزئية وسواها ــ ربما لم يتسن له أن يطّلع عليها في منجز آخر غير هذا الذي بين يديه الآن وسيكتشف بعين بصيرته أننا ننظر إلى ما يحيطنا بعين واحدة فلا فضل عندنا لأحدٍ على آخر، لذلك فإننا قمنا بمناقشة جميع القضايا الخلافية بحيادية عالية، ذلك لأننا من الشيعة الذين يؤمنون بسنة النبي المصطفى ^ ومن أبناء السنة الذين يقتفون آثار أئمة آل بيت أشرف الأنبياء والمرسلين.

وإذا كان لزاماً علينا أن نتقرب بحب آل بيت النبوة إلى الله تعالى فما كان ينبغي لنا أن نغلو في ديننا أو مذهبنا فنرى في أنفسنا صورة الملاك في لحظة ما رغم ما نحن عليه فنرى الأشياء بعين واحدة، فنُكفّر هذا ونلعن ذاك فنكون نحن أوْلى بهذا اللعن - لا سمح الله - عندما تحيط بنا لعنتنا فتزل قدمنا عن جادة الحق فينزلنا الله منازل لا نتمنى أن ينزلنا الله فيها، وقد نهى الله تعالى عن الغلو بكل أشكاله فقال في الآية (٧٧) من سورة المائدة :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

ولقد تنبَّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لهذه الظاهرة الخطيرة بعد أن وقف على بعض مشاهدها فقال : «وسيهلك فيّ صنفان : «**مُحب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالاً النمط الأوسط، فالزموه والزموا السواد الأعظم فإن يد الله على الجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه**».

أما حفيدهُ الإمام علي بن الحسين الملقب بالسجّاد فقد سبقنا في استشعار الغُلو، فقال في حديث نقله الكشي في الصفحة (١٠٧) من الرجال : «**إن اليهود أحبّوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عزيرٌ منهم ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبّوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سنة من ذلك حتى إن قوماً من شيعتنا سيحبوننا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في العزير، وما قالت النصارى في عيسى فلا هم منّا ولا نحن منهم**».

وقال الإمام الصادق عليه السلام (نقلاً عن الصفحة ٢٦٠ من الجزء الثاني من بحار الأنوار للمجلسي) : «والله إن الغلاة لشرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»، وكان عليه السلام قد قال في رواية أخرى نقلها الطوسي في الاحتجاج : «إني بريء من الغالين»، وقبل أن نطوي صفحات هذه المقدمة التي نرجو لها أن تكون مدخلاً لقراءة جديدة للتاريخ القديم والحديث، نُشهدُ اللهَ على أننا نمنّي أنفسنا بأن يلتقي المسلمون مع بعضهم على كلمة سواء فالمرءُ كبيرٌ بأخيه وإننا نتطلع إلى يوم نجد فيه إخواننا المسلمين في إيران العزيزة قد تجاوزوا مرويات كتب صفراء عفا عليها الدهر، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران].



الفصل الأول

المبحث الأول : محاكمة الخبر ومقاضاة الأثر

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ الحجرات﴾.

وقال الإمام علي عليه السلام :- **أيها الناس إنّا قد أصبحنا في دهرٍ عنود وزمنٍ كنود يُعدّ فيه المحسن مسيئاً ويزداد الظالم فيه عتواً** .

جاء في الصفحة ١٨٨ الجزء الثاني من كتاب نهج البلاغة المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكرم الله وجهه والذي تولّى شرحه الإمام الشيخ محمد عبده إن الإمام عليًا قد قال لمن سأله عن أحاديث البدع وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر : «**إن في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، ولقد كُذِبَ على رسول الله ^ وعلى عهده حتى قام ^ خطيباً فقال : «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»**».

وتأسيساً على ما تقدم أقول : رُبَّ سائلٍ يسأل : إذا كان ذلك قد حدث فعلاً وعلى عهد الرسول الأكرم كما رأينا وسنرى، ترى ما الذي حدث بعد رسول الله ^ سواء في عصر الخلافة الراشدة أو في عصر الخلافتين الأموية والعباسية (على وجه التحديد) وما بعدهما؟، وكيف لنا أن نقف على صحة ما وصلنا من أخبار السلف (الذي يفترض أن يكون صالحاً)، إذا كان كل فريق بما لديهم فرحون، وكل راوية يرى غير ما يراه سواه من الرواة الذين أسرفوا في الكذب حتى لُعنوا، واتهموا بالفساد والزندقة حتى نبذوا، والأمثلة كثيرة ولا حصر لها، وسنأتي على نماذج عديدة منها.

أنا في حيرة من أمري ولربما أن القارئ العزيز قد وقع في الحيرةِ نفسها التي أنا عليها الآن، هل أقرُّ وأُسلّم بما قاله نابليون بونابرت : «**إن التاريخ جملة أكاذيب متفق عليها**»، وألقي بسهام الشبهات على كلّ ما وقع بين يديّ من وقائع وأحداث جاء عليها التاريخ القديم واضرب بكل أمهات كتب التاريخ عرض الجدار، وأنّى يكون لي ذلك وأنا أعرف جيداً أنني لو سلَّمتُ بذلك أكون قد ارتكبت جناية ما بعدها جناية ؟ ولو أنني فعلتها مكرهاً فمن أين سأستقي أخبار الحوادث التي أنا إزاءها؟ (وأعني بتلك التي اتصلت في عهد الخلافة الراشدة).. بحثتُ كثيراً عن مخرجٍ لي من هذه الورطة فوجدتُ ضالّتي في كتاب الله العزيز حيث قال عز وجل : ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ [فصلت] . ومن أصدق من الله قيلا ؟ فحمدتُ الله كثيراً وأثنيت عليه، واتخذت قراري بمناقشة الوقائع والأحداث التي وقعت قبيل وفاة الرسول الأعظم محمد ^ بقليل ، واتصل تأثيرها بمشاهد مأساوية نراها اليوم بأم أعيننا صباح مساء ،بدلالةِ ما ورد في محكم التنزيل من آيات بينات كرَّم الله تعالى فيها أُمماً وأثنى على أناس بعينهم مثلما لعن فيها أمماً بعينها وتوعّد بالويل والثبور أُناساً بعينهم، وسيرى القارئ الكريم من خلال ذلك أن ثمة أقلاماً مأجورة قد بالغت في الإساءة إلى تاريخنا الإسلامي قبيل وأثناء عصر الخلافة الراشدة تحديداً، فكتبت فيما بعد وقائع وأحداث ما أنزل الله بها من سلطان في مرويات هي في الأصل أضعف من أن تصمد أمام المنطق، وما كان لها أن تنطلي إلا على أولئك الذين يعانون الجهل والتخلف، وليس لعقولهم القدرة على التدبر والتفكر.

أنا قلت : إنني سأناقش وقائع التاريخ بدلالة ما ورد في القرآن الكريم دون سواه، وسأورد مثالاً واحداً فقط للتعريف بالكيفية التي يمكننا بها أن نفكك الخبر فنقف على صحته أو نضرب به عرض الحائط. قال تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح : ٢٩].

ترى من كان مع نبينا محمد ^ من أولئك الرجال ؟ .. ألم يكن أبو بكر (ثاني اثنين إذ هما في الغار) ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾كما جاء في الآية ٤٠ من سورة التوبة من بين أولئك الرجال، وهل نسخ الله تعالى تلك الاية أو نسأها لأحيط ذلك الرجل الفذ بالشبهات ؟ وهل ورد في كتاب الله العزيز ما يدين ابن أبي قحافة ﷺ بعد قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة : ٣] ؟ وهل أنكر الرسول ^ على أبي بكر تلك الصحبة حتى أنكرها أنا العبد الذي لا يرقى لأن يكون عبداً حبشياً يستعمله أبو بكر في خصف نعله ؟، وهل غيَّر أبو بكر رضوان الله عليه سنة سنّها الرسول المصطفى ^ بعد وفاته ؟ وهل انحرف برسالة محمد فأباح محرّماً وحرم مباحاً حتى أصب جام غضبي عليه ؟ وهل استأثر أبو بكر بالسلطة فاكتنز الذهب والفضة وأشاد القصور الفارهة لكي لا أتولاه أو أتبرأ منه؟ وإذا كان قد ارتّد عن دين محمد كما يحلو للبعض أن يقول إذن : لماذا لم يهادن المرتدين (حاشاه) ؟ فمن أنت ناصبياً كنت أو رافضياً حتى تنال منه أو من علي بن أبي طالب عليه السلام أو من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضوان الله عليهما وغيرهم من أصحاب رسول الله الأمين ^ وقد قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة]. ومن أنت لتغضب على من رضي الله عنهم ورضوا عنه في كتابه المبين ولمصلحة من أنت تصادق على صحة وقائع لم تشهدها ؟ فتتجرأ على الله وعلى صحابة رسول الله ^ وتتبوأ مقعدك من النار عندما تطعن عامداً متعمداً ولو بصحابي واحد من أولئك الذين رضي الله عنهم ووثق رضاه عنهم بقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨].

فيا ترى من الذي كان تحت الشـجرة المباركة مع رسـول الله ^ ؟ .. كانوا كل أصـحاب الرسـول الهادي محمد ^ باستثناء الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان الرسول البشير قد بعثه في مهمة خاصـة فبايع عنه صـلاة الله وسـلامه عليه على مرأى ومسـمع من كل أصـحابه وكان ذلك تكريماً لجامع الذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال تعالى في وصـفه نبيه الكريم محمد ^ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم : ٣، ٤]. وأنا أقول : لو كان الرسـول الأكرم محمد ^ يعلم علم اليقين أن أحداً من أصـحابه سـيزيغ عن طريق الحق لأشـار إليه ببنان الاتهام، وقد فعلها وأشـار إلى رهط من المنافقين وأوصـى بعدم قبول إسـلامهم حتى بعد وفاته، ومما قاله الله تعالى فيهم في محكم كتابه العزيز : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون : ١].

إذن فأنا إزاء صحابة أجلاء صدقوا ما عاهدوا الله عليه اعتصاماً بحبل الله، واسترشاداً بهدى نبيه الكريم محمد ^ ،وقد وصفهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وصفاً دقيقاً وأثنى عليهم ثناءً ليس له ما يناظره حينما قال فيهم في خطبةٍ له جاءت عليها الصــفحة (٢٢٥)من كتاب نهج البلاغة شــرح محمد عبده: **لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، إذا ذُكّر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشــجر يوم الريح العاصــف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب،** .. وهاهو يرثيهم ويتحســر عليهم على فراقهم وليس على أربعة منهم فيقول : **أين القوم الذين دُعوا إلى الإســلام فقبلوه ؟ وقرؤوا القرآن وأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً مُره العيون من البكاء خمص البطون من الصــيام ذبل الشــفاه من الدعاء صــفر الألوان من الســهر، على وجوههم غبرة الخاشــعين، أولئك إخواني الذاهبون فحقّ لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيادي على فراقهم،** وإذا كان هذا هو رأي الإمام علي عليه السلام في أصحاب محمد ^ فلماذا لا نسلم إذن بقول الرسول البشير ^ : «**أصــحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ؟**»، أو قوله ^ : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ؟ ولماذا لا يجوز لنا أن نقول : اللهم صلّ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أو نترضى عنهم ؟ !!!

المشــكلة لا تكمن هنا إلّا في الذي تناقلته الأخبار عن أولئك الصــحابة (رجالاً ونســاءً)، بعد أن انتقل الرســول الأعظم ^ إلى الرفيق الأعلى وبعد أن بدأت الأمة تتهيأ لدخول دورة حياة جديدة وذلك عندما اســتشــرى الطعن بصــحابة رسـول الله ^ وتجاوز حدود السـباب والشـتائم إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير وبطريقة غاب فيها المنطق العقلاني تماماً، مما فسـح المجال أمام السـفهاء والشـتامين وأصـحاب الغرض السيئ للتحرك داخل دائرة اتهام هذا وتجريح ذاك!!!.

وأنا للآن لم أنافح عن طليعة الإسلام من الصحابة الأخيار إلا بلغة القرآن الذي لا مبدل لكلماته كما قال الله تعالى ، وكما قال أيضـا :﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف:٤٩] كما جاء في محكم التنزيل ،فمثلما لم يتغير حكم الله تعالى في أبي لهب وامرأته كنموذجين سيّئين بقي حكمه على صحابة نبيه الكريم محمد ^ كنماذج للبذل والعطاء، فالقرآن الكريم لا يتحرى الخبر عن طريق العنعنات؛ لأنه كلام الله تعالى الذي أنزله مباشرة على صدر نبيه المختار محمد ^.

وســأتجاوز قناعاتي في عدم الاسـتعانة حتى بالأحاديث النبوية الشـريفة خشـية أن يقول أحدهم : ربما طرأ على تلك الأحاديث شــيء من التحريف خدمة لطائفة بعينها على حســاب طائفة أخرى، وســأتجاوز قناعاتي مرة ثانية وثالثة وأسـلّم بصـحة ما جاء في كتاب نهج البلاغة المنسـوب للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو كرم الله وجهه والذي تم جمعه بعد اسـتشـهاده عليه السلام بأكثر من ثلاثمائة سـنة لمناقشــة أهم القضــايا الخلافية وسوف لن أكترث (دون قصد) لما يقوله عني بعض المتطرفين، وسأبدأ بتلك الأحداث التي سبقت وفاة الرسـول الأعظم محمد ^ وما تلاها بلغة المنطق التي غابت وللأسـف الشـديد عن الغُلاة والمتطرفين الذين ارتضـوا لأنفسـهم أن يرددوا كل ما يسـمعون ، وسـأحتج على كل بدعة بما قاله عميد آل بيت النبوةِ - الذين لا يقاس بهم أحد -علي بن أبي طالب : **وما أحدثت بدعة إلا ترك بها ســـنة فاتقوا البدع والزموا المهيع ، إنّ عوازم الأمور أفضلها وإنّ محدثاتها شرارها** .

لن أستعين في مناقشة العقائد الصفوية التي ترقى إلى مستوى البدعة إلا بالمرويات الصفوية، وسأجعل من مروياتهم تلك في أكثر مصادرهم اعتباراً حجة عليهم .

ولقد رأيت أن أطلق تسـمية الطائفة على أولئك الصــفويين الذين اتصـلت مســاعيهم مع مســاعي ذلك اليهودي الموتور عبد الله بن سـبأ في الاعتداء على قيم الدين الحنيف وعلى الرغم من أن أتباع ابن سـبأ قد سبقوا الصفويين في ذلك المسعى ، إلاّ أنَّ الذي بينهم وبين الصفويين من المشتركات ما يجعلنا ننظر اليهما بعين واحدة وسيقف القارئ الكريم على ذلك ولكن بلغة الوثائق التي سنأتي عليها.

المبحث الثاني : (الإمامة)

١-غدير خم ١٨ – ذو الحجة – ١٠هـ :

قال المجلسي كبير علماء الطائفة الصفويّة في كتاب مرآة العقول : «لا ريب أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين وأفضل من جميع الأعمال الدينية لأنها مفتاحهن ..»، وقال محمد رضا المظفر الذي يعد من علماء الطائفة المعاصرين : إن الإمامة أصلٌ من أصول الدين ، ولا يتم الإيمان إلاّ بالاعتقاد بها ... إلخ.(وردَ في الصفحة ٤٣ من كتاب عقائد الشيعة).

وقد اتفق معهما في ذلك العشرات من علماء الطائفة الصفوية على مدى خمسة قرون خلت من عمر الدولة الصفوية كالقمّي والمفيد وغيرهم من الذين اعتقدوا أن الإمامة ركن من أركان الإيمان، كالاعتقاد بوحدانية الله ونبوءة الرسول المصطفى ^، وقد استدل علماء الطائفة بذلك على حديث كان الرسول الأكرم محمد ^ قد قاله في علي ابن أبي طالب عليه السلام (بمناسبة خاصة كما سنرى) : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِّ من والاه، وعادِ من عاداه»، وفي ذلك دعوة صريحة من الرسول الهادي ^ على حب علي عليه السلام وتحذير من مغبة معاداته كما يتضح من سياق الحديث، فمعنى (والِّ من والاه) إذا ما نوقشت بدلالة العبارة التي تقابلها (وعادِ من عاداه) فسنرى أن ليس لتلك الموالاة من معنى غير الحب والمودة، فمعروف أن حب علي عليه السلام هو النقيض لمعاداته عليه السلام، وقد نهى الرسول المصطفى ^ عدداً قليلاً من المسلمين من أن يضمروا العداء لإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام (وفي مناسبة بعينها)، وقد التزموا في ذلك - وللحديث صلة - كما سنرى فيما بعد.

مفهوم الإمامة :

يعتقد بعض علماء الطائفة بأن الإمامة ركن من أركان الإيمان كالإيمان بوحدانية الله، وهي تعني لدى علماءالطائفة أن الحياة الروحية والتعليمية والدينية والسياسية للأمة الإسلامية كافة تخضع لنظام وراثي يتعاقب فيه على السلطة اثنا عشر إماماً، وتنحصر هذه السلطة في زوج فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحُسين، ثم تنحصر في بعض أبناء الإمام الحسين عليه السلام من زوجه شهبانو ابنة الإمبراطور الفارسي يزدجرد الذي قوضت الجيوش الإسلامية أركان عرشه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويرتبط ركن الإمامة بالاعتقاد بأنهم معصومون، ويشاركون الله علمه بالغيب بما في ذلك علمهم بوقت وفاتهم، وأن الطاعة العمياء للأئمة ضرورية «لدرجة أن عبادة الله لا تصبح ضرورية إذا كان هذا هو أمر الإمام»، ويقول الخميني في هذا الأمر : الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين.

وقال هادي الطهراني في الصفحة ١١٥ من ودائع النبوة :- إنَّ أعظم ما بعث الله تعالى نبيه من الدين هو أمر الولاية.

وهذه العقيدة مرتبطة أيضاً بضرورة الإيمان بأن «للأئمة مكانة روحية وخلافة تكوينية على جميع المخلوقات، بحيث يخضع لها جميع ذرات الكون، وإن من أساسيات العقيدة أنه لا يصل إلى المكانة الروحية للأئمة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ويندرج ضمن هذا الاعتقاد أن جميع خلفاء وحكام المسلمين وقضاتهم طواغيت ما لم يكونوا جعفريين ،ولا يجوز التحاكم إليهم.

من المعلوم أن الله تعالى لا يريد أن يضيّق علينا أو يضيّعنا – سبحانه - فيأتي بأمر ويتركه مبهماً أو يجعله لغزاً تتحير فيه العقول، هذا في جانب وفي جانب آخر فإن الولاية إن كانت ضرورة من ضرورات الدين أو المذهب كما يدّعون، ولها عند دهاقنة الفكر السبئي والصفوي أهمية التوحيد على حد زعمهم - وهي على حد ادعاء بعضهم - كالنبوّة لا تكون إلا بنصّ من الله عزّ وجلّ على لسان رسوله الأمين ^ وإنها مثلها لطف من الله تعالى ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة، منصَّبٌ من الله العلي القدير، وأن ليس للبشر إلا حق اختيار الإمام وتعيينه بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وإذا كانت الإمامة كما يصفون فلماذا لم يشر الله تعالى لها في كتابه المبين تلميحاً أو تصريحاً؟ وقد صرّح الله تعالى بوحدانيته عز وجل في محكم التنزيل فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص].

وجاء على ذكر النبوة في العديد من الآيات البينات، فقد قال تعالى في محكم كتابه المجيد تصريحاً : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾.

وقال أيضاً : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ [محمد].

فلماذا لم يأت على ذكر ولاية الإمام علي عليه السلام ـــ تصريحاً أو تلميحاً ـــ؟ فلو كانت الإمامة أو الولاية ضرورة من ضرورات الدين كالنبوة لقال تعالى : و(ما علي إلا إمام أو ولي قد خلت من قبله الأئمة) أو : (وما علي إلا إمام أو ولي قد جاءت من بعده الأئمة أو الأولياء).

أما زعمهم بأن الله تعالى قد قال تلميحاً بولاية علي أو إمامته في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة]. **فهو كلام غير متوازن لأسباب عديدة أهمها :**

١- إن كتاب الله عزَّ وجل بيّن أموراً أقل أهمية من الإمامة فلماذا لم يأت على ذِكر إمامة علي عليه السلام وينأى بالمسلمين عن هذه الدعوات التي لا تستند إلى حقائق دامغة كما سنرى؟!! وإذا كانت ولاية علي عليه السلام حقًا صراحً ـــ كما يزعمون ـــ فالله تعالى لا يخشى في الحق لومة لائم تبارك في علاه ولحسم الأمر بنصّ صريح.

٢- إن الإمام عليًا عليه السلام لم يكن مكلفاً بدفع الزكاة أصلاً فهو من أكثر المسلمين فقراً وفاقة.

٣- إن علماء التفسير قد اختلفوا في الذي خصه الله تعالى في تلك الآية الكريمة ، فقال بعضهم : إنها نزلت في البراء بن عازب، وبعضهم قال : إنها نزلت في أبي بكر، وقال آخرون: إنها نزلت في عبد الله بن سلام ،أو في علي بن أبي طالب عليه السلام وقال بعضهم إنها نزلت في عموم المسلمين، وهذا هو الرأي الأرجح ،فهي تشير إلى أكثر من واحد أو اثنين من صحابة رسول الله ^ بدلالة وجود الضمير﴿ وَهُمْ ﴾.

٤- هل سأل من غُرّر بهِ نفسه وقال : كيف لعابد زاهد وَرعٍ تقي مثل أبي الحسن عليه السلام أن يؤدي مراسيم إيتاء الزكاة وهو الراكع إلى الله أو الساجد له ؟

٥- ثم أين فقهاء الطائفة ومن سار على دربهم من البلاغة التي حفلت بها آيات الله البينات ـــ بديعاً وبياناً ومعاني؟ قبل أن يتأوّلوا في قول الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة].

المبحث الثالث : حقيقة ما جرى

لقد انتقل النبي المصطفى ^ إلى الرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة للهجرة وبعد فترة وجيزة من قولته الشهيرة في غدير خم : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، واجتمع في سقيفة بني ساعدة حشد من الصحابة الأجلاء الذين يترفعون عن قول الزور ومن أولئك الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم ،ومن الذين ما كان لهم أن يُصادقوا على ما صادق عليه سواهم لو أنهم قد شهدوا واقعة واحدة صرح خلالها الرسول الأعظم ^ أو لمح خلالها بتولي إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام أمر المسلمين من بعده ،وحاشا لصحابة محمد ^ أن يهادنوا أحداً يماليء على معصية الله ورسوله المصطفى، ولو كان ذلك قد حصل كما يدعي دهاقنة الفكر الصفوي ـ السبئي من قبلهم لخرجوا بسيوفهم على من تبنّى ذلك أو دعا إليه وقد صدّق الإمام علي عليه السلام على ذلك غير مرتاب فقال في صحابته وصحابة رسول الله :« **لقد رأيت أصحاب محمد ^ فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجّداً وقياماً** ».. (نقلاً عن نهج البلاغة) ،هذا في جانب وفي جانب آخر فحاش الإمام علي عليه السلام أن يعصي الله ورسوله إذا كان الله تعالى ورسوله قد عهدا إليه تولي أمر المسلمين بعد انتقال الرسول الأمين إلى الرفيق الأعلى ، ولو كلّفه ذلك حياته وقد وجدناه عليه السلام حازماً في أمور هي أقل من هذا الأمر أهمية، فقد جاء في كتاب نهج البلاغة المنسوب إليه إنّه قال : «**ما ضعفت ولا جبنت ولا خنتُ ولا وهنت وأيمُ الله لأبقرنَّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته ..**» فرجل مثل علي بن أبي طالب أرفع وأسمى من أن يهادن أحداً في شأن من شؤون دينه ودنياه ولو كان كما وصفه رجالات المؤسستين الصفوية والسبئية لما كان له أن يكون على تلك المكانة التي هو عليها فقد كان عليه السلام صادقاً في وصف نفسه عندما قال في خطبة له تضمّنها كتاب نهج البلاغة: **ولعمري ما عليَّ من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدهان ، ولا إيهان ، فاتقوا الله عباد الله وفرّوا إلى الله من الله وامضوا في الذي نهجه لكم ...**

وسيرى القارئ الكريم بالاعتماد على الوثائق الصفوية والسبئية (المعتبرة) صحة ما ذهبنا إليه ، ولنبرهن لكل من يقف الآن على مفترق طرق التاريخ على أن هناك أقلاماً مأجورة انحرفت بالحقيقة عن اتجاهاتها الصحيحة بغية شق صف المسلمين وعلى النحو الآتي :

أقوال أئمة آل البيت في الولاية :

١ـ جاء في كتاب بصائر الدرجات للصفار أنَّ أناساً من أهل الكوفة استأذنوا بالدخول على الإمام الصادق عليه السلام فأذن لهم فدخلوا عليه فقالوا : يا أبا عبد الله إن أناساً يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت إماماً مفترض الطاعة ؟ فقال : لا .. ما أعرف ذلك من أهل بيتي .. كذلك قال الصفار في المصدرنفسه : إن الإمام لم يطرح نفسه كإمام مفترض الطاعة من الله وإنما كزعيم من زعماء أهل البيت.

٢ـ ويرى نقيب الطالبيين في عصره ـ الشريف الرضي رضي الله عنه ـ الذي تولى جمع كتاب نهج البلاغة أن حديث الغدير نص خفي غير واضح بالخلافة، وقال في الصفحة ١٢٨ من الجزء الثاني من كتابه الشافي : **إنّا لا ندعي علم الضرورة في النهي لا لأنفسنا ولا لمخالفينا وما نعرف أحداً من أصحابنا صرح بادعاء ذلك النص.**

٣ـ وقيل لكبير الطالبيين في عهده (الحسن بن الحسن بني علي بن أبي طالب عليهم السلام) : ألم يقل رسول الله من كنت مولاه فهذا علي مولاه ؟ فقال : بلى .. ولكن لم يعنِ رسول الله بذلك الإمارة والسلطان ولو أراد ذلك لأفصح لهم به. (أورده ابن عساكر ـ وهو كوفي ثقة كما يصفونه ـ في التهذيب ١٦٢/٤).

٤- قال عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : **ليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله.** (جاء على ذكره الصفار في كتابه بصائر الدرجات ١٥٣-١٥٦).

٥- أما النوبختي (رأس علماء الطائفة في عصره) فقد قال في كتاب فرق الشيعة : إن الشيعة كانوا يقولون : إن علياً سلَّم لهما الأمر - أي للشيخين ورضي بذلك وبايعهما طائعاً غير مكره (وترك حقه لهما) - فنحن راضون لما رضي ولمن بايع، لا يحل لنا غير ذلك وإن ولاية أبي بكر صارت رشداً وهدى لتسليم علي ورضاه (مثلما أورده النوبختي في كتابه فرق الشيعة كذلك جاء على ذكره الأشعري صاحب كتاب المقالات والفرق، الصفحة١٨).

رأي علماء الطائفة في الولاية:

والآن سنأتي على أقوال علماء الطائفة (المعتبرين) في تلك الولاية :

١- قال الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب) ص٢٠٥-٢٠٦ : **لم يصرح النبي لعلي بالخلافة من بعده بلا فصل في يوم غدير خم وأشار إليهما بكلام مجمل مشترك بين معانٍ تحتاج إلى تعيين.**

وتعليقاً على ما ورد وتأسيساً على ما ذهب إليه الطبرسي يمكننا القول : إن في اختيار المسلمين لطريق الشورى في مبايعة أبي بكر الصديق رضوان الله عليه خليفة للمسلمين دليلاً واضحاً على عدم وضوح حديث الغدير أو غيره في معنى النص والتعيين ولو كان الأمر غير ذلك لارتفعت أصوات الصحابة احتجاجاً على من احتجَّ بالشورى ودعا إليها، وللقارئ الكريم أن يستنبط قرائن أخرى بعد قراءته العبارة التالية التي وردت في الخطبة الشقشقية والتي نسبت للإمام علي ﷺ : فنظرت فإذا ليس لي راقد ولا ذابّ ولا مساعد إلا أهل بيتي فظننت بهم عن المنية. ولم يشر ﷺ لا من قريب ولا من بعيد إلى حديث الغدير ولم يحتج به في كل مروياته،ولم يطعن بعدالة الشيخين، وقد عرف عنه عدم ممالأته الباطل فهو القائل : **وأيمُ الله لأبقرنّ الباطل حتى أخرج الحقّ من خاصرته..**

فهل مازال أتباع الطائفة مُسلِّمين بما قاله علماؤهم من أن الإمامة منصب إلهي وأن الله يختار النبي وينص عليه مثلما يختار الإمام وينصبه ؟ (كما قال محمد حسين كاشف الغطاء في كتاب أصل الشيعة وأصولها).

٢- لمّا وقع الموت في زرارة بن أعين (عميد رواة الطائفة) واشتد به قال لعمته : ناوليني المصحف، فأخذ المصحف وفتحه ووضعه على صدره وقال : يا عمّه اشهدي أنْ ليس لي إمامٌ غير هذا الكتاب. (الرجال للكشّي، صفحة١٣٩) ..

تعليق : ويشير زرارة بن أعين في ذلك إلى قول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في كتاب نهج البلاغة : قد أمكن الكتاب من نفسه فهو قائده وإمامه، .... وقد قال العديد من المفسرين بذلك ، وهذا هو معنى كلمة إمام .

٣- قال (الإمام) الخميني في الصفحة ٥٥ من كتابه كشف الأسرار : وواضح أن النبي لو كان قد بلَّغ بأمر الإمامة طبقاً لِما أمره الله وبذل المساعي في هذا المجال لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك ولما ظهرت خلافات في أصول الدين وفروعه.

٤- وفي المصدر نفسه كان (الإمام) الخميني قد قال : لو كانت مسألة الإمامة قد تم تثبيتها في القرآن فإن أولئك الذين لا يعنون بالإسلام إلا لأغراض الدنيا كانوا سيتخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة.

٥- جاء في بصـــائر الدرجات للصـــفار بأن محمد ابن الحنفية -نجل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام- قد نازع على الإمامة ــ زين العابدين ــ ابن أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (وقد أورد ذلك القمي في كتابه الإمارة والتبصرة).

٦- جاء في الصـفحة ٢٤١ من الجزء الأول من كتاب الكافي للكليني أن الإمام الصـــادق عليه السلام لم يطرح نفسه كإمام مفترض الطاعة وإنما كزعيم من زعماء أهل البيت.

٧- وقال الشهرستاني في الصفحة ١٧٤ من الجزء الأول من كتاب الملل والنِحَلْ: إن ابن سبأ أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ، وذكر أن السبئية هي أول فرقة قالت بالغيبة والرجعة ..

وما دمنا قد وصلنا إلى أُس البلاء ــ اليهودي الموتور عبد الله بن سبأ ــ فصار لزاماً علينا أن نتناول ولو بشيء من الإيجاز مسيرة هذا الرجل الذي كان له دور بارز في مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ـــ بداية عصر الفتنة ــ وسنترك علماء وشيوخ الطائفة الصفوية ــ السبئية يتحدثون عن كنهه وما قام به من أفاعيل ليرى أتباع الديانتين - السبئية والصفوية - أن من علمائهم من تعمد الكذب عليهم وأوهمهم بأن شخصية عبد الله بن سبأ شخصية وهمية :

١- قال النوبختي (كبير علماء الطائفة) في كتابه فرق الشـيعة صـفحة ٤٢-٤٣ : السـبئية قالوا بإمامة علي وادَّعوا أنها فرض من الله عز وجل وكانوا ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وتبرؤوا منهم وقال صاحبهم عبد الله بن سبأ : إن علياً قد أمره بذلك فأخذه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسأله عن قوله فأقرَّ به فأمر علي بقتله لكنه عدل عن ذلك خشية الفتنة فنفاه إلى المدائن.

٢- وقال نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية (٢٣٤/٢): قال ابن ســـبأ لعلي : أنت الإله حقاً فنفاه عليٌّ إلى المدائن، وقيل : إنه كان يهودياً فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وفي موسى مثل ما قاله في علي (والجزائري هو أحد أكبر علماء الطائفة).

٣- يقول الماقاني (وهو من ألمع العلماء عند الطائفة في كتابه تنقيح المقال في علم الرجال): إنَّ عبد الله بن ســـبأ الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، وقال أيضـــاً : غالى ملعون حرَّقه أمير المؤمنين بالنار وكان يزعم أن علياً إله وأنه نبي .

٤- والأغرب من ذلك أن السيد محمد الحسين كاشف الغطاء الذي كان يقول : إن ابن سبأ خرافة صنعها الأمويون والعباسيون حقداً منهم على آل البيت الأطهار عَدَلَ عن قوله وقال في (أصل الشيعة واصولها) : أمّا عبد الله بن سـبأ الذي يلصـقونه بالشـيعة أو يلصـقون الشـيعة به فهذه كتب الشـيعة بأجمعها تُعلن بلعنهِ والبراءة منه (وكاشــف الغطاء هذا هو أحد أركان الطائفة) وتعليقاً أقول : هل يلعن الســيد كاشــف الغطاء وهماً أو يتبرّأ من خرافة!!؟

٥- وقال ســـعد بن عبد الله الأشـــعري القمي (وهو من أهم علماء الطائفة) في معرض كتابه المقالات والفرق : السـبئية أصـحاب عبد الله بن سـبأ وهو عبد الله بن وهب الراسـبي وسـاعده في ذلك عبد الله بن خريس، وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصـــحابة وهوأول من تبرّأ منهم (المقالات والفرق، ص٢٠).

٦- أما صـاحب كتاب (عقيدة التوحيد) فيقول : إن الإمام عليًا قد قال في ابن سـبأ إنه خبيث وتراجع عن قتله فنفاه إلى المدائن، ولو كانت لي سانحة لأتيت على كلِّ ما جاء في كتب غلاة الطائفة التي أقرت بوجود ابن سبأ، وصرح بعضها بما كان عليه من سوء كالرجال للحلي ورجال الطوسي وقاموس الرجال للتستري والغارات للثقفي، ودائرة المعارف المسـماة بمقتبس الأثر للأعلمي الحائري ، وحل الإشـكال لأحمد بن طاووس والكنى والألقاب للقمي ، والرجال لابن داود ، والتحرير للطاووسـي ، ومجمع الرجال لقهبائي، وجامع الرواة لمحمد الأردبيلي ، ومرآة الأنوار لمحمد بن طاهر العاملي ومناقب آل أبي طالب لابن شـهر آشوب، وتلك كتب يعدّها أبناء الطائفة معتبرة لما لكُتابها من أهمية عندهم.

إذن فأبن سبأ هذا شخصية حقيقية لا يمكن لأحد بعد الآن أن يتجاهلها أو ينكر دورها ووجودها.

أمّا آل بيت النبي المصـطفى ٨ فقد قالوا في ابن سـبأ ما يؤكد وجوده وتوعّدوه بما يسـتحقه فقد جاء في نهج البلاغة (٥/٥) حيث ذكر ابن حديد أنّ عبد الله بن سبأ قام إلى علي بن أبي طالب وعلي يخطب فقال له : أنت .. أنت .. أنت .. وجعل يكررها فقال له علي : ويلك من أنا ؟ فقال : أنت الله .. فأمر الإمام علي بن أبي طالب بأخذه وأخذ من كان معه وعلى رأيه ...إلخ.

وجاء في الصفحة ٧٠ من كتاب معرفة أخبار الرجال للكشّي وهو من المصادر المعتبرة عن الطائفة إن أبا عبد الله -ويقصـد الإمام الصـادق عليه السلام- قد قال : **لعن الله عبد الله بن سـبأ إنه ادّعى الربوبية في أمير المؤمنين علي وكان والله أمير المؤمنين عبداً له طائعاً .. الويل لمن كذب علينا وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم** .. وأنا هنا أتساءل : هل أن علماء الطائفة يكذبون على أنفسهم أم هم يكذبون على الإمام الصادق أم على من سار في أثرهم من بسطاء الناس؟

أما أهل العلم فقد قالت جماعة منهم (وفق ما جاء في كتاب النوبختي فرق الشـيعة، ص٣٢-٤٤) : إن عبد الله بن سـبأ كان يهودياً أسلم ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسـى بهذا المقال، فقال في إسـلامه بعلي بن أبي طالب بمثل ذلك، وهو أول من شَـهَرَ القول بإمامة علي بن أبي طالب وأظهر البراءة من أعدائه - على حد زعمه -.

النتيجة :

وبعد هذا كلّه لم يبق لنا إلا أن نسـلّم في مناقشـتنا موضـوع الولاية بالرواية التي صـادق عليها غالبية المسـلمين ، والتي بدأت أحداثها في منطقة الجحفة والتي تبعد عشـرات الكيلومترات عن مكة المكرمة - وهي المكان الذي يتفرّق فيه المسلمون بعد أداء مناسك الحج ـــ يوم استنشاط الرسول الكريم محمد ٨ غضباً على بُريدة بن الحصـيب ومن انتدبه من أولئك الذين لم يرق لهم صـنيع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع بعض المسـلمين، حيث منعهم عليه السـلام من ركوب إبل الصـدقة وخلع عنهم حلل البز التي غنمها المسلمون في فتح اليمن وهمدان قبل وصولها إلى المدينة، فاشتكوه إلى الرسول محمد ٨ الذي قال لمندوبهم بُريدة : ألست يا بريدة أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قال بريدة : بلى يا رسول الله، فقال الرسول الأعظم ٨ : «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» (وانتهى المشـهد على هذا النحو) ولو أراد الرسـول الهادي بحديثه الشريف هذا تولية علي بن أبي طالب أمر المسلمين من بعده لأعلن ذلك صراحة أمام حجيج مكة في عرفة مثلاً ،لا في المكان الذي يتفرقون فيه.

أما بقية الأحاديث الأخرى المنسوبة إلى رسولنا الكريم محمد ^ كحديث الدار وحديث المنزلة وحديث الحوض والطائر وحديث رزية الخميس فليس فيها ما يستدل به على إمامة علي السياسية أما إمامته الدينية فلا ينكرها إلا جاحد، كما أنه ليس في حديث الدار إلا ما يؤكد وصاية الإمام علي عليه السلام على بني هاشم دون سواهم وفيه دعوة صريحة للرسول الأمين ^ للأقربين من عشيرته بالسمع والطاعة لعلي عليه السلام، أما حديث المنزلة فقد خصّ الرسول الأمين ^ بمثله سلمان الفارسي وجُليبيبا مثلما خصّ به الإمام علي عليه السلام في حديث آخر على حدٍ سواء، ومن يقرأ حديث الطائر فلن يجد فيه غير محبة رسول الله ^ لعلي عليه السلام، وقد روي الحديث بأسانيد لا تخلو من الضعف، ولم نجد في حديث الحوض إشارة إلى ولاية علي لا تصريحاً ولا تلميحاً.

أما في حديث رزية الخميس فمن السفه أن نعتقد بما يعتقدون فالرسول الأكرم ^ لم يعرف القراءة والكتابة لذلك لا نتصوره يقول : اكتب لكم كتاباً ... ثم أنّه لم يكن بحاجة إلى مثل ذلك الكتاب ، فقد كان يكفيه صلوات الله وسلامه عليه أن يأمر من كان حوله من آل بيته الشريف وصحابته الميامين ليُنفّذوا ما يريد ، وقد كان له ذلك على مدار خمسة أيام تلت رزية الخميس فقد توفي ^ في يوم الاثنين، ولو صدقوا فيما يزعمون ورفض صحابي بعينه إحضار ما يكتب به رسول الله ^ تلك الوصية فلماذا لم يحضر الإمام علي عليه السلام لرسول الله ^ مستلزمات كتابة تلك الوصية؟ فالذي أراد الرسول الكريم قوله لم يكن وجوباً، فالمعلوم أنه معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته ، وحال مرضه ، ومعصوم من ترك ما أمر بيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، ولو سلمنا بحديث العترة فأين هي كتب أهل البيت لنُسلّم بها.؟

تمرين لإعمال العقل :

وبغية الأخذ بيد بسطاء الناس ومساعدتهم في تحري الحقيقة؟ والوقوف على صحة الوقائع والمشاهد والأحداث ؟فإنني سأطرح العديد من الأسئلة التي يمكن أن يُستدل بها أو بالإجابة عليها على عدم صحّة المرويات الصفوية والسبئية في الإمامة وغيرها :

١- إذا كانت الإمامة منصباً إلهياً كما يزعمون فكيف يحق للإمام علي عليه السلام أن يبايع أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويخالف (حاشاه) قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب] ، وهو المعصوم كما يزعمون !!!

٢- إذا كانت الولاية تعني تولي أمر المسلمين (بتفويض إلهي) كما يدّعون فهل يعني ذلك أن الإمام الحسن عليه السلام قد تخلى عن الإمامة (التي خصّها الله بها كما يزعمون) لمعاوية بن أبي سفيان عندما تنازل له عن الخلافة في عام الجماعة؟

تعليق : إن الإجابة على هذا السؤال يمكن أن تختصر الطريق إلى الحقيقة التي مؤداها أن الإمامة ليست منصباً سياسياً وشتان ما بينها وبين الخلافة.

٣- وإذا كانت الأمور قد سارت وفق ما زعموا إذن لماذا ظل الإمام الحسين عليه السلام ملتزماً ببيعة معاوية ؟ ولماذا رفض عرض شيعة الكوفة بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام بالثورة على معاوية بن أبي سفيان عندما ردَّ عليهم قائلاً : «إن بيني وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز لي أن أنقضه». (وهذا ما أورده شيخ الطائفة المفيد في ١٩٩ من كتابه الإرشاد).

٤- وإذا كانت الإمامة قد تم حصرها بأبناء الإمام الحسين عليه السلام إذن لماذا نازع محمد ابن الحنفية نجل الإمام علي عليه السلام ــ زين العابدين ــ نجل أخيه الحسين عليه السلام على الإمامة؟ ولماذا كتب له يقول (نقلاً عن جـ١، ص٣٤٨ من كتاب الكافي للكُليني) : وقد قتل أبوك ولم يوصّ وأنا عمّك، وصنو أبيك وولادتي

من علي عليه السلام في سـني وقديمي أحقُّ بها منك فلا تنازعني في الوصـية والإمامة ولا تحاجني. (كذلك أورده الصفار في بصائر الدرجات وابن بويه القمي في الإمارة والتبصرة).

٥- وإذا كان الله تعالى قد خصّ أبناء الإمام الحسـين عليه السـلام بالإمامة وكلّفهم بها دون سـواهم من أحفاد علي عليه السلام، فلماذا إذن عَمَدَ أبناء الإمام الحسـن عليه السلام إلى القول أن ليس لأحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله. (نقلاً عن الصفار في بصائر الدرجات)بعد أن عمد بعضهم الى المطالبة بالإمامة ؟ فاسـتنكر حفيد الإمام الحسـن عليه السلام محمد بن عبدالله بن الحسـن حصـر الإمامة في البيت الحسـيني وقال يومها : كيف صـارت الإمامة في أبناء الحُسـين دون أبناء الحَسـن، وهما سـيدا شـباب أهل الجنة وهما في الفضل سواء، إلاّ أنّ للحَسن على الحُسين فضلاً بالكبر وكان الواجب أن تكون الإمامة في الأفضل؟ (وهذا ما ذكره الصدوق في إكمال الدين).

٦- وإذا كانت الإمامة بمنزلة النبوة ــ على حد زعمهم ــ إذن لماذا يقول الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة المنسـوب إليه: «**أنا لكم وزير خيرٌ لكم مني أمير** ؟، وإذا كانت الإمامة المقصـودة هي ذات مغزى سياسي فهل كان يجوز للإمام علي عليه السلام أن يقول **: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول**؟!! (وهذا ما جاء في كتاب نهج البلاغة)

٧- إذا كانت الإمامة بنص إلهي كما يدعّون فإن سكوت علي عليه السلام عن المطالبة بها يجب أن يكون بنصّ آخر .. أليس كذلك ؟ فأين ذلك النص ؟

٨- إذا كان أبو بكر الصـديق قد اسـتلب حق علي في تولي أمر المسـلمين وانحرف بالدين الحنيف إذن لماذا لم يهادن عليٌ جحافل المرتدين(بالاستعاضة) ويصطف حاشاهُ مع مسيلمة الكذاب (مثلاً) فيعيد الحق إلى نصابه ؟

٩- إذا كانت الإمامة على هذا المستوى من الأهمية وهي جزء من أصول الدين كما يعتقدون فلماذا إذن لم يُشـر الله تعالى إليها في محكم التنزيل صـراحة وقد أشـار في مواضـع كثيرة إلى قضـايا هي أقل منها أهميةً، فأتى على ذكر الحيض والنمل والبعوض والعنكبوت ولم يأت على ذكرها ؟

١٠- وإذا كانت الإمامة كما يصـفون فلماذا لم يأت الإمام علي عليه السلام في وصـيته المعروفة لولده الحسـن على ذكر هذه الولاية؟!!

١١- ولماذا لم يحتج الإمام الحسين عليه السلام بهذه الولاية على أصدقائه وأعدائه في واقعة الطف بكربلاء في آنٍ واحد؟ واكتفى بالقول : فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب والقائم بالقسط الداين بدين الله الحابس نفسه عن ذات الله.(ذلك ما وردَ في الصفحة ٢٠٤ من الإرشاد للمفيد) .

١٢- ولماذا لم يشـر الإمام السَـجّاد عليه السلام إلى هذه الولاية في خطبته الجريئة التي ألقاها أمام يزيد بن معاوية، ولماذا لم يقل للناس : إنّه الإمام الشـرعي المفترض الطاعة بعد أبيه، وقد اكتفى بذكر فضـائل آل البيت عليهم السلام، ولماذا قَبِلَ بمبايعة يزيد بن معاوية ــ كما زعم بعضهم ــ وهل تخلّى له عن الولاية بعد تلك البيعة ؟

١٣- يقول الشيخ الصدوق كبير علماء الطائفة عن الإمام السجاد ـــ علي بن الحسين عليهما السلام في الصـفحة ٩١ من كتابه إكمال الدين ـــ : فإنه انقبض عن الناس فلم يلق أحداً ولا كان يلقاه إلا خواص أصحابه وكان في نهاية العبادة ولم يخرج عنه من العلم إلا يسيراً، وقال غيره : فانتخب سليمان بن صرد الخزاعي زعيماً للشيعة، ونحن نتساءل : كيف للسَجّاد أن ينقبض عن الناس إذا كان هو إمام زمانه ـــ على حد ادعائهم ــ ولمن ترك الولاية التي كلفه الله ورسوله بها ــ كما يدعون ــ وكيف قبل على نفسه أن يرى زعيماً لا ينتسـب إلى العترة الطاهرة من آل بيت النبوة ؟ ولماذا رفض قيادة الشـيعة الذين كانوا يطالبون بالثأر لدم الإمام الحسين عليه السلام وبايع يزيد بن معاوية بعد وقعة الحرّة - حسب مروياتهم - كما سنرى؟

١٤- ولو كانت الإمامة بنصّ فلماذا طالب عبد الله بن جعفر الصادق ﵇ بها بعد وفاة أبيه ـــ كما روى شـــيخهم المفيد في ص٢٨٥ من كتابه الإرشـــاد ، ولماذا طالب بها جعفر بن علي الهادي الذي قال : إنه الوريث الشرعي لأخيه الحسن العسكري لأنه لم يعقب - على حد رواية الشيخ المفيد في ص٣٤٥ من كتابه الإرشاد ؟

* في الســـنوات الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان ﵁ ظهرت في الأفق صـــورة الاضـــطراب في المجتمع الإســـلامي، فأخذ بعض اليهود يتحينون فرص الظهور مســـتغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإســـلام، ومن بين هؤلاء عبد الله بن ســـبأ الملقب بابن الســـوداء الذي أتى بمقدمات صـــادقة وبنى عليها مباديء فاسدة راجت لدى السذج والغُلاة، وأصحاب الأهواء من الناس الذين اجتمعوا حوله، فقال بتأويل القرآن الكريم وتحريفه وربوبية علي وقد وقفت وراء ترويج تلك المفاهيم شـــبكة من المتآمرين بأســـاليب أخطبوطية من الخداع والاحتيال والمكر اليهودي ،أســـهمت بشـكل فاعل في إشـعال نار الفتنة أيام الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﵁ واندلاع معركتي الجمل وصفين (وهذا ما جاء في كتب لسان الميزان لابن حجر والأنساب للبلاذري والرجال للكشّي).

والجدير بالذكر أن أحداً لم يتحدث عن حق علي ﵇ في تولي أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ قبل ابن سبأ الذي قال عنه الإمام علي ﵇ : «إنه خبيث وتراجع عن قتله فنفاه إلى المدائن» .

وتعليقاً على ما تقدم ذكره يمكننا القول أن ليس بعد الآن لمن يدَّعي بأن ابن سبأ شخصية وهمية حجة على أحدٍ بما ادعاه أو قال به وعليه بأن يسلم بالقول : إنَّ ابن سبأ هذا هو من كان وراء إشعال فتيل معركتي الجمل وصـــفين باعتباره رأس الفتنة التي حدثت في عهد خلافة عثمان بن عفان ﵁ والتي انتهت باغتياله رضوان الله عليه في عام ٣٥ هجرية.

من مرويات كتاب نهج البلاغة : قال الإمام علي ﵇ : «**ما ضعفتُ ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت وأيمُ الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته**».



المبحث الرابع : مظلومية الزهراء

تضـــاربت الروايات الصـــفوية التي نقلت إلينا أخبار الأحداث الدراماتيكية التي حدثت للســـيدة فاطمة الزهراء ولزوجها علي عليهما السلام بعد وفاة النبي المصطفى ^ ، فهذه الروايات وإن تباينت إلا أنها تلتقي في فكرة واحد ة تقوم على استهداف صحابة رسول الله ^ الذين قال عنهم الإمام علي قبل سويعات من وفاة الرسول الأعظم : **يُصبِحونَ شعثاً غبراً وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر مَعَادِهِمْ ... إذا ذُكِرَ اللهُ هملت أعينهم حتى تَبُلَّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب**، وسنرى فيما بعد أن عروبة الصحابة الأجلاء هي المســتهدفة قبل غيرها وأنَّ ما درجوا على تســميته بمظلومية الزهراء ما هو إلا إســفين أرادوا به أن يجعلوا الإسلام والمسلمين على مفترق طرق.

وليس لي أن آتي على كل الروايات التي جاءت على ذكر ذلك الحدث إذْ لا حصـــر لها لذلك رأيت أن أتناول أكثرها تطرفاً وبأعلى قدر من الإيجاز :

أ - روى الديلمي وذكر المجلسي في الصفحة٢٣١ من الجزء الثامن من البحار عن ارشاد القلوب : إنَّ الزهراء عليها الســـلام قد قالت: فجمعوا الحطب الجزل على بابنا وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقوننا، فوقفت بعضادة الباب وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرفوا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ مولى أبي بكر فضرب عضدي ، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج (والدملج حُلي يُلبَس في العضد) وركل الباب برجله فردَّهُ علي وأنا حامل فسقطتُ لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي، فضربني بيده حتى انتثر قِرطي من أذني وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً .

تعليق :

١- إن في هـذه الروايـة وســـواهـا الكثير من المغـالطـات التي ليس لهـا أن تصـــمـد أمـام الحقيقة ، فعلي بن أبي طالب ﵇ هو آخر من يدع زوجه الزهراء تواجه المهاجمين ويختبئ في ركن من أركان بيته مع ثلة من أهل بيته ومن المقربين له من الصحابة.

٢- تؤكد الروايات الصــفوية التي نهلت من مرويات خاصـــة على أن ما تعرضــت إليه الزهراء عليها الســـلام قد حدث على مرأى ومســـمع من أهل المدينة،لذلك فإن أصـــحاب هذه الروايات أرادوا أن ينزعوا صفة الغيرة عن عرب المدينة، وقد نجحت في تمرير تلك المغالطة ولكن على سُذّج الناس وبسطائهم.

٣- يمكن للقارئ الكريم أن يكشـــف عن القومية التي ينتســـب إليها رواة تلك الحادثة، ويراهن على عدم انتمائهم للقومية العربية ،إذا ما تابع الكيفية التي ســارت بها هذه الأحداث المفتعلة ، فالعربي لا يترك زوجه في مواجهة الرجال عندما يكون هو وذريته داخل بيته بخاصـــةٍ إذا كانت زوجُهُ قد فجعت قبل ســـويعات بوفاة والدها.

٤- كيف لفاطمة الزهراء البتول عليها السـلام أن تتزين بقرط تلبســه وهي المفجوعة بموت والدها الذي هو أشرف بني البشر؟!!

٥- أكد علماء الطائفة الصـــفوية أن عدد من كان مع علي بن بن أبي طالب ﵇ في بيته يناظر عدد المهاجمين لبيت علي ﵇ ، إذن لماذا عجز هو ومن معه عن مواجهة من هم أقصـر باعاً منه وأقل عريكة في كلّ منازله؟!!

ب ـقال الطبرسي في الاحتجاج : فحالت فاطمة بين زوجها وبينهم عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط إلى أن قال : فأرسل أبو بكر إلى قنفذ العدوي لضربها فألجأها إلى عضاد باب بيتها فدفعها فكسر ضلعها وألقت جنينها.

جـ ـ أما المرتضى فقد قال في كتابه الشافي (كماورده في الصفحة ١١٠ من الجزء الرابع منه) : «إن عمر بن الخطاب قد نادى من خلف باب بيت علي : يا بنت رسول الله والله ما في الخلق أحب إليَّ من أبيك ومنك وأيمُ الله ما ذلك بمانعي إن إجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرتُ أن يُحرق عليهم الباب». (كما أورده المعتزلي في الصفحة ٤٥ من الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة وذكره ابن أبي شيبة في مصنفه).

تعليق : ليس لي إلاّ أن أقول: كيف يترُك الإمام علي عليه السلام زوجةُ الزهراء عليها السلام فريسةً للظالمين – كما زعم نقباء الطائفة الصفوية – وهو القائل :- **وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمهِ ، ولأقودنَّ الظالمة بخزامتهِ ؛ حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً ؟**

وليس لي أن أعلق على ما ذكره المرتضى في كتابه الشافي بشيء وسأكتفي بنقل حديث الإحراق الذي قال فيه ابن روزبهان في إبطال نهج البلاغة وفي الصفحة ٤٧ من جزئه الثاني : لو صح هذا دلَّ على عجزه، حاشاه عن ذلك فغاية عجز الرجل أن يحرق هو وأهل بيته وامرأته في داره وهو لا يقدر عن الدفع، وسأقولُ على الكراهةِ : لو صح ما يقولون لحقَّ لنا أن نضع ألف علامة استفهام على علي بن أبي طالب الشجاع ولجاز لنا أن نحيط غزوة بدر ومعركة الخندق وواقعة خيبر بالشبهات ولأمكننا القول : إنَّ رجلاً مثل هذا الذي يصفونه لا يستحق أن يكون علياً ، وليس له أن ينام في فراش الرسول في يوم الهجرة النبوية ، وليس له أن يتزوج الزهراء البتول بضعة رسول الله أو أن يكون أباً لريحانتي رسول الله ٨ أو أن يتولى أمر المسلمين فيما بعد ...

لقد جاهد الصفويون والسبئيون في الإساءة إلى الإسلام، من خلال الاعتماد على منهجين فكريين جديدين أولُهما اتّهام الله عز وجل وتعالى عما يقولون (بالتدليس)، لاسيما في تفسير آياته البينات، وثانيهما في اتهام بطل الإسلام الإمام علي بن أبي طالب بالخور والضعف والمهانة في حقبة الخلافة الراشدة.

المفاجأة :

في جانب ما تقدم ذكره قالت بعض مصادر الطائفة : إنَّ من كان يقيم مع السيدة فاطمة الزهراء البتول عليها السلام طيلة فترة مرضها بعد وفاة أبيها ٨ أسماء بنت عميس زوج خليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وقامت بغسلها بعد موتها .. فكيف يستقيم ذلك مع كل ما جئنا على ذكره من مزاعم للديلمي والطبرسي وغيرهما من الذين روَّجوا لفكرة الاعتداء المزعوم الذي قام به عمر بن الخطاب بتوجيه من أبي بكر الصديق رضي الله عنهماعلى السيدة الزهراء عليها السلام؟ فقد جاء في الصفحة ٢١٠ من الجزء الثاني من كتاب مستدرك الوسائل الذي له عند علماء الطائفة الصفوية أهمية خاصة : **أنه لما حضرت الوفاة فاطمة الزهراء البتول توضّأت ، وقيل اغتسلت ، ودعت الطيب فتطيبت به ودعت ثياباً جدداً فلبستها وقالت لأسماء بنت عميس** (زوج أبي بكر الصديق) : آتيني **ببقية حنوط والدي من موضع كذا فضعيه عند رأسي فوضعته ثم تسجّت بثوبها وقالت : انتظريني هنيهة ثم ادعيني، فإن أجبتك وإلا فاعلمي أني قدمت على أبي ٨.**

خلاصة القول :

لقد كنت واضحاً وصريحاً عندما جئت على أكثر الدعوات الصفوية والسبئية خطورة بالذكر ، وكان يمكنني أن أصفها بالألغام؟ وقد كان لانفجارها أثرٌ واضح وللأسف الشديد على بعض ما يعتقد به الشيعة العرب الذين ينؤونَ بأنفسهم عن العشرات من العقائد التي ابتدعها أتباع الديانة الصفوية وسأعمد إلى السير في حقول الألغام الصفوية بتؤدة وأناة، رغم أنني قد حصّنتُ نفسي والحمد لله بحكم معرفتي الدقيقة بخريطة الألغام التي ربما لم يعد بإمكان بعض أتباع الديانة الجديدة أن يجدوها، وسأستدل على الصغير والكبير من تلك الألغام من خلال المصادر والمراجع التي يأخذ الصفويون والسبئيون منها أصول دينهم وفروعهِ ، وإذا ما نجحت في ذلك فستكون الدعوات التي انحرفت بالدين الحنيف قد سقطت من القواعد ، وأن الحديث بعدها عن مظلومية الزهراء عليها السلام وسواها من الدعوات مجرد لغو يجب الإعراض عنه (وقد أتيت على تلك الأحداث المكذوبة) ، وسأثبت للقارئ الكريم بالدليلين العقلي والنقلي أن الذي قام بتأليف تلك الروايات لم يكن قد تعلم فن كتابة القصص بعد، فوقع في أخطاء كارثية سأميط اللثام عنها دون عناء، ربما ستمكنني من الوصول إليها الطرائق التي اتبعها كل من باع نفسه للمؤسسات المشبوهة التي نافحت من أجل أن ترمي الإسلام بسهام الشبهة، التي أرجو أن تطيش بعد إعمال العقل في نقل الخبر والله المستعان، وأنا أقطع جازماً أن خبر حمل السيدة الزهراء بالمحسن عارٍ عن الصحة، ذلك أن الرسول الأكرم ^عندما اخبر ابنته الزهراء بأنها أول الناس لحاقا به بعد مماته كان يعرف جيداً أنها ستضع حملها بعد أشهر قليلة فلماذا لم يشر إلى ذلك الحمل لا من قريب ولا من بعيد ؟!!

قال الإمام علي عليه السلام : لنا حق فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى .. ومعنى قوله الذي خص به في وقت خلافته قوماً بعينهم : إنّا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما وهذا ما لا يرضاه علي لنفسه ولا لأصحابه **.** (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة).



المبحث الخامس البيعة

ولم تنته الادعاءات الصـــفوية عند هذا الحد فقد ذكر ســـليم بن قيس أن علياً رُبط بالحبال وتكالب عليه الناس أثناء مقاومته لمن هاجم داره ، وكاد أن يقتل لولا أن حالت بينه وبينهم زوجه فاطمة التي كانت قد تعرضت للضرب المبرح ، حتى انكسر أحد أضلاعها وأجهضت جنينها المحسن حين عصرها عمر بن الخطاب ــ وفي بعض الروايات قنفذ مولى عمر ــ بين منزلها والحائط .. وقد هدد عمر بن الخطاب بحرق بيت علي ، فخرج إليه الزبير بن العوام مستلاً سـيفه لكنه تعثَّرَ فأخذوا سـيفه منه فبايع مكرها ولم يطالب علي بحقه في القصاص لزوجه طوال فترة حكم الخلفاء الثلاثة.

تعليق :

١- أنا لا أريد أن أتوســـع في التعليق على مثل هذه الدعوة المحمومة التي أطلقها أحفاد يزدجرد، ذلك لأنها لا تستقيم مع مروءة علي بن أبي طالب عليه السلام وحزمه وصلابته التي عبر عنها بقوله الذي تضمنه نهج البلاغة : **والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على الفراش** ..

هذا في جانب وفي جانب آخر فإن الذي يسقط تلك الدعوة هو علي بن أبي طالب نفسه فقد قال عليه السلام في أكثر من مناسـبة وعلى رؤوس الأشـهاد وفي الصــفحة ١٨٥ من الجزء الأول من نهج البلاغة : **والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة** .. ولنا هنا أن نطرح ســؤالاً نراه منطقياً يمكننا أن نوجزه بالقول : إذا كان صـــحابة رســـول الله ^ قد عرفوا عن علي بن أبي طالب عليه السلام عدم رغبته في الخلافة والولاية على حد ســـواء فلماذا هم يعمدون إلى فتح باب المواجهة مع رجل ربما أن في بقائه على الحياد على أقل تقدير مكسباً كبيراً لهم ؟

٢- وبالاعتماد على ما تقدم أطلق كبار شيوخ الطائفة دعاءً أسموهُ دعاء اللعن (حاش لله أن يجيبهم عليه) وأقنعوا أتباعهم من ضحايا التاريخ وللأسف الشديد بضرورة المصادقة على ما جاء فيه والتسليم بكل ما تضـمنه وسـأنقله على الكراهة مني مثلما ورد في كتاب بحار الأنوار للمجلسـي والبلد الأمين وجنة الأمان للكفعمي : اللهم العن صـنمي قريش (يقصـد أبا بكر وعمر) وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما الذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصـيا رسـولك وقلبا دينك وحرّفا كتابك ووالیا أعداءك وخربا بلادك وأفسدا عبادك.

وتعليقاً على ما ورد يمكنني أن أطرح الكثير من التساؤلات وأتمنى على من وصـفتهم بضحايا التاريخ الإجابة عليها :

١- كيف خالف الشيخان (أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما) أمر الله تعالى وهما اللذان توليا أمر مقاتلة المرتدين وواجها خطر الفتنة التي كادت أن تأتي على الإسلام من قواعده ؟

٢- وكيف لهما أن ينكرا وحي الله تعالى أو يحرّفا كتابه الكريم إذا كان القرآن الذي بين يدينا الآن هما من توليا أمر جمعه على النحو الذي وصل إلينا وبالاحكام نفسها التي تضمّنها وقت نزوله على صدر نبينا الكريم محمد ^؟!

٣- وكيف قلبا دين الله عز وجل ، وقد أوصـــلا دينه الحق إلى أبعد الأصـــقاع فامتدت الفتوحات في عهدهما حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها؟!

٤- كيف كان لهما أن يُلحدا أو يفسـدا عباد الله إذا كانا قد انتقلا بالفرس من عبادة النار إلى عبادة الواحد الأحد ، فلولاهما لبقي أبناء فارس على مجوســيتهم، وكذلك الحال مع أهل الشـــام وأهل مصـــر والعراق وسواهم في كل الأصقاع ؟ .. ولو كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قد ارتدّا عن الدين الحنيف فما كان لهذا الدين أن يصل الى بلاد فارس .. أليس كذلك ؟

٥- وكيف لهما أن يعاديا أولياء الله إذا كان عميد آل بيت النبوة الإمام علي ﷺ وصحابة الرسول الأعظم ^ قد التفّا حولهما رضوان الله عليهما ـــ كما رأينا وسنرى ـــ فأوصلا الدين الحنيف إلى ما وصل إليه؟!

٦- وكيف لهما أن يواليا أعداء الله إذا كانا قد مرّغا أنف أعداء الله مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي ومن ارتد معهم عن دين الله تعالى في وحل الهزيمة على عهد الخليفة الصديق ﷺ ؟

لقد ثبت ارتداد بعض المسلمين عن الإسلام في اليوم التالي من وفاة الرسول الأعظم محمد ^ مثلما ثبت أن الإمام عليًا ﷺ قد شارك في قتال المرتدين ، فكانت الطامة الكبرى التي وقعت على جهابذة الفكر الصفوي خاصة عندما ثبت ذلك في مرويات أعلام الطائفة فكانت حجتنا عليهم وعلى من اتبعهم :

١- روى الدائني عن عبد الله بن جعفر عن أبي عبد الله إنه قال : لمّا ارتدت العرب مشى عثمان إلى علي ﷺ فقال : يا بن العم إنه لا يخرج أحد إلى قتال هؤلاء، وأنت لم تبايع، ولم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر فسُرَّ المسلمون بذلك وجدَّ الناس في قتالهم (نقلاً عن الجزء الأول ص٥٨٧ من كتاب أنساب الأشراف للبلاذري).

٢- وكان الإمام علي ﷺ قد قال في كتاب نهج البلاغة : ... **وخشيتُ إنْ لم أنصر الإسلام وأهله، فبايعت أبا بكر عند ذلك ونهضت معه في تلك الأحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هي العليا ... فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله جاهداً** فلما احتضر بعث إلى عمر فولاّه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا وكان عمر مرضي السيرة من الناس عند الناس.

وهنا يعلق السيد هادي كاشف الغطاء في جامع مستدرك نهج البلاغة فيقول : وفي هذا يبين الإمام علي أن سبب بيعته أبي بكر يرجع إلى ارتداد العرب واضطرار أبي بكر ﷺ لمحاربتهم، وهو أشرف ما يفعله الإنسان.

٣- وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، إن الإمام عليًا ﷺ قد قال : **فمشيتُ عند ذلك إلى أبا بكر فبايعتهُ، ونهضتُ في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسَّرَ وسدَّدَ وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله جاهداً** (كما أوردها الثقفي صاحب الغارات في (٣٠٧/١) منه).

٤- جاء في الصفحة ٥٠ من كتاب الاحتجاج للطبرسي ما يؤكدّ إقبال الصحابة على مبايعة أبي بكر إلاّ نفرًا قليلًا، ومما أورده في تلك الصفحة : فلما ورد الكتاب على أسامة انصرف بما معه حتى دخل المدينة فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي فقال : ما هذا؟ فقال له علي : ما ترى، فقال أسامة : فهل بايعته ؟ قال : نعم.

٥- ومما جاء في الصفحة ١٠٦ من كتاب فدك في التاريخ نقتبس بعض ما قاله السيد محمد باقر الصدر رحمه الله: إن الإمام عليًا كان قد شارك في حروب الردة ...، إذ حارب جندياً في حرب الردة تحت لواء الخليفة أبي بكر الصديق.

٦- ويذهب السيد محمد باقر الصدر رحمه الله أبعد من ذلك فيقول في الصفحة ١٠٠ من المصدر نفسه: إنَّ علياً ربّاه الرسول ^ وربّى الإسلام معه فكانا ولديه العزيزين، كان يشعر بإخوته لهذا الإسلام وقد دفعه هذا الشعور إلى اقتداء أخيه بكل شيء حتى اشترك في حرب الردة التي أعلنها المسلمون آنذاك، ولم يمنعه تزعم غيره لها عن القيام بالواجب المقدس.

٧- ذكر الطبري في الصفحة ٢٣٧ من الجزء الثاني من تاريخه : حدثتُ عن هشام قال : حدّثني عوانة فقال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان على علي وهو يقول : والله إني لأرى عجاجه لا يطفؤها إلا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟ وقال : أبا حسن أبسط يدك أبايعك فأبى علي وجعل يتمثل بأبيات .. قال الراوي : فزجره علي وقال : إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً.

٨- وهناك دليل آخر على إخلاص علي بن أبي طالب عليه السلام لخليفة المسلمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة له لجمع شمل المسلمين على كلمة سواء يتلخص في موقفه من توجّه أبي بكر الصديق بنفسه إلى موقعة ذي القصة وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضد المرتدين بنفسه وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي (المرتضى للندوي، ص٩٧)، فعن ابن عمر رضي الله عنه يقول الإمام علي عليه السلام لأبي بكر رضوان الله عليه : أقول لك ما قاله رسول الله ﷺ يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة فوالله لو فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً فرجع (البداية والنهاية لابن كثير) .

فلو لم ينشرح صدر علي بن أبي طالب عليه السلام لتلك البيعة ولو أنه بايع مكرها كما يزعمون، فقد كانت تلك فرصة ذهبية ينتهزها علي- حاشاه - فيترك أبا بكر وشأنه لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو له الجو (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للدكتور الصلابي)؟!!.

٩- ويلخص الإمام علي عليه السلام علاقته بالخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه وموقفه منهم بقول أورده شيخ الطائفة (الطوسي) في الصفحة ٥٠٧ من كتاب الأمالي حيث يقول : **بايعت أبا بكر كما بايعتموه، وكرهت أن أشقَّ عصى المسلمين وأن أفرق بين جماعتهم ثم أن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فبايعت عمر كما بايعتموه فوفيت له ببيعته حتى لمّا قتل جعلني سادس ستة ،فدخلت حيث أدخلني وكرهت أن أفرق جماعة المسلمين وأشقَّ عصاهم فبايعتم عثمان فبايعته ثم طعنتم على عثمان فقتلتموه وأنا جالس في بيتي ،ثم أتيتموني غير داعٍ لكم ولا مستكره لأحد منكم فبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر وعثمان.**

وتعليقاً نقول : إذا كان الإمام علي عليه السلام حريصاً على ألاّ يشق عصى المسلمين ويُفَرّق بين جماعتهم - على حد ما جاء في مرويتهم - فلماذا يعمد علماء الطائفة اليوم إلى شق صف المسلمين وتفريق جمعهم؟!

أما موقفه من الفتنة التي حدثت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فيتلخص بقول الإمام علي عليه السلام لابن عباس : **لقد دافعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً** (نهج البلاغة) فهل يدافع أمام المتقين علي بن أبي طالب عن رجل انحرف بالإسلام عن جادة الحق مثلما يدّعي أركان البيت الصفوي والسبئي ؟ وعليٌ هو القائل : **وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم.**

تلك كانت علاقة الإمام علي عليه السلام في الخلفاء الثلاثة ـــ وسنأتي على المزيد ـــ وتلك كانت قصة مبايعته لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه وعلاقته به والتي ابتدأت بسبقهما في الإسلام شيخاً وطفلاً، وانتهت بقول الإمام علي عليه السلام في أبي بكر رضي الله عنه عند وفاته، بعد أن وقف مسترجعاً عند باب الصديق ساعة رآه ميتاً : **رحمك الله يا أبا بكر كنت إلفَ رسول الله وأنيسه ومستراحه وموضع سره، .. كنت أحسنهم صحبة وأرفعهم درجة وأشبههم برسول الله هدياً، .. جزاك الله عن رسول الله أفضل الجزاء .. صحبته في الشدة أكرم صحبه ثاني ثانين إذ هما في الغار ولزمت منهاج رسول الله إذ وهنوا ... صدّقت رسول الله حينما كذبه الناس وواسيته حينما بخلوا** .. وقد قيّم الإمام علي عليه السلام خلافة الصديق بقوله : **شأنك الحق والصدق والرفق .. رأيك علماً وعزماً، اعتدل بك الدين وقوي فسبقت سبقاً وأتعبت من بعدك تعباً شديداً وفزت بالخير فوزاً مبيناً، كنت للدين عزّاً وحرزاً وكهفاً.**

وسنأتي الآن على ما يؤكد أن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله عليه لم ينازع أحداً على تولي أمر المسلمين ولم يكن له رغبة فيها أصلاً : وقد قال عليه السلام في أمر الخلافة ومن يتولاها وكشف عن موقفه من الخليفة الذي سينحرف بهذه الخلافة عن الدين الحنيف ما نصه : **أيها الناس إنَّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فان شغب شاغب استُعتب فإن أبى قوتِل** .. وفي هذا دليل قاطع على أن الإمام عليًا عليه السلام كان راضيا غاية الرضا عن خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

١- جاء في نهج البلاغة (برواية ابن الحديد في الصفحة ١٨٥ من الجزء الأول) إنّ الإمام عليًا قد قال : **والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فلما أفضت إليَّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا لنا وما أمرنا بالحكم فاتبعته وما يستسن النبي فاقتديت به**.

٢- في الصفحة ٢٣٦ من المصدر نفسه أيضاً كان الإمام علي قد قال لمن دعاه لتولي أمر المسلمين : **دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول**.

وتعليقاً أقول : لو كانت إمامة علي منصوص عليها من الله عز وجل كما يدَّعي أتباع ابن سبأ وأحفاده لما جاز لعلي بن أبي طالب أن يقول للناس دعوني والتمسوا غيري أو أن يقول لهم في موضع آخر في نهج البلاغة : **أنا لكم وزير خير لكم من أمير** (عندما جاء الناس إليه يبايعونه).

٣- ومما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه قوله في نهج البلاغة لغريمه التقليدي معاوية بن أبي سفيان : **إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل سموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعنٍ أو بدعة ردوه إلى ما خرج عنه فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى**.

٤- في رسالة بعث بها الإمام علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان قُبيل اشتباك القنا في معركة صفين تجلّى موقف إمام المتقين علي بن أبي طالب ولنا أن نجتزأ بعضاً مما قاله الإمام علي وخاطب به ابن أبي سفيان في تلك الرسالة : **لقد أتاني أبوك حين قبض رسول الله وبايع الناس أبا بكر فقال** : أنت أحق الناس بهذا الأمر فأبسط يديك أبايعك.

تعليقاً أقول : وفي ذلك أقطع الأدلة على مبايعة الناس للخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق (وقد شهد شاهد من أهلها) وفيها ما يؤكد على أن الرسول محمدًا لم يستخلف أحداً على المسلمين بعد وفاته، فلو كان الأمر كما يعتقده غلاة الطائفة لقال أبو سفيان لعلي بن أبي طالب: أنت أحق الناس بهذا الأمر فأنت وليّنا ووصي رسول الله ^، إذا كان الرسول المصطفى ^ قد أوصى لعلي بن أبي طالب حقاً بتولي أمر المسلمين (وقد ذكر تلك الحادثة بإسهاب شديد وصادق عليها المرتضى في الصفحتين ٢٥٢، ٢٣٧ من كتابه الشافي).

٥- ومما أورده المرتضى في الجزء الثالث ص٢٩٥ من كتابه الشافي أيضاً : أنّ الناس طلبوا من الإمام علي أن يستخلف ابنه الحسن - يوم طعنه اللّعين عبد الرحمن بن ملجم- في مسجد الكوفة - فقال : **دخلنا على رسول الله فقلنا : استخلف .. فقال : لا، أخاف أن تفرقوا عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون ولكن أن يعلم الله في قلوبكم خيراً يختر لكم،** (عندها) سألوا الإمام علي بن أبي طالب أن يشير عليهم بأحد فقالوا له : إن فقدناك فلا تفقد أن نبايع الحسن فقال : لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر (وقد عاد المرتضى ليورد نفس الرواية في كتابه دلائل النبوة، ج١، ص٢١٢، كما أوردها ابن أبي الدنيا وهو من محدّثي الشيعة أيضاً).

٦- جاء في كتاب الرسـل والملوك للطبري وفي الصـفحة ٤٢ من الجزء الثالث منه : أن الإمام عليًا قد عرض الخلافة على طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام قبل أن تؤول إليه وقال لهما : من شـــاء منكما بايعته فقالا : لا .. الناس بك أرضــى فرد عليهم قائلاً، فإن أبيتم **فإن بيعتي لا تكون سـراً ولا تكون إلا على رضى المسلمين ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني فليبايعني.**

وتعليقاً أقول : هل كان للإمام علي بن أبي طالب أن يقول لطلحة والزبير مثل ما كان قد قال لو كان نَص تعيينه ثابت ومعروف عند المسـلمين ولو كان تعيينه بنص من الله تعالى ما جاز له أن يتنازل عنها لأي أحد وتحت أي ظرف؟ ولو كان الأمر كذلك لما تنازل خامس الخلفاء الراشدين الإمام الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ولكان أوْلى به أن يعطيها لأخيه الحُسين إن كان قد زهدها أو ترفع عنها مثلاً ؟ .

أشـار قتلة الخليفة عثمان بن عفان رضـى على الإمام علي بن أبي طالب تولّي أمر المسـلمين فقال لهم : ليس هذا لكم .. هذا للمهاجرين والأنصار .. من أمَّره أولئك كان أميراً. (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة).

٧- وهناك من علماء الطائفة الصـفوية من يقول : إنَّ علياً قد اشـتكى قلة الناصـر (وبهذا فسّروا مبايعته لأبي بكر رضي الله عنه) وتلك مغالطة كبيرة يدحضها الإمام علي عليه السلام نفسه فقد جاء في كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي عليه السلام إنَّه قال : **إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا اســـتوحشـــت** ،..وقال عليه السلام في مناسبة أخرى : **لا تستوحش من طريق الحق لقلة ناصريه** .

ولقد كانت في تلك الدعوات الصـفوية إسـاءة متعمدة للإمام علي عليه السلام ولصـحابة رسـول الله ^ على حد سـواء، فها هو الإمام علي عليه السلام يفند افتراءات أقطاب الأوكار الصـفوية، ويقول في صـحابة رسـول الله ^ وصحابته الغر الميامين ما يلجم أفواه الأفاقين ويصف الصحابة وصفاً يليق بمقامهم وينم عن عمق علاقته معهم : **وقد باتوا سُجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم رُكب المعزى من طول ســـجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبُهُمْ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب،** (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة) .. وها هو يحتج بأصـــحابه وأصـــحاب رســـول الله ^ على من ادّعى نصـــرته ثم خذله من أهل الكوفة، فيقول في المصــدر نفســه : **أين القوم الذين دُعوا إلى الإسـلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسـلبوا السـيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصـفاً صفاً.. بعضٌ هلك وبعض نجا، لا يبشـرون بالأحياء، ولا يعزّون عن الموتى ... أولئك إخواني الذاهبون، فحقّ لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيادي على فراقهم.** بينما قال في الذين ادّعوا نصرته في العلن وخذلوه في السـر: أحمد الله على ما قضـــى من أمر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع وإذا دَعَوتْ لم تجب .

فهل بقى بعد هذا كله حجة لرؤوس الطائفة الصفوية على أحد غير أولئك الذين صادقوا عن جهالةٍ وسفه على طروحاتهم الضـالّة والمضلّة وغير الإسـاءة المتعمدة إلى إمام الهدى علي عليه السلام قبل الإسـاءة لصـحابته الميامين رضـوان الله عليهم؟ فلم يكن الإمام علي عليه السلام منبوذاً بين صـحابة رسـول الله ^ كما يحلو للبعض أن يجعله، وبناءً على ما تقدم يمكننا القول: إذا كان أصـــحاب محمد ^ قد عرفوا فضـــل علي عليه السلام على الإسلام والمسلمين وعرف ابن أبي طالب لهم فضلهم في السعي لخدمة الإسلام والمسلمين ـــ وكل حسب طاقته وقدرته ـــ فما هو فضل أصحاب الغرض السيئ من أفراخ الصفويين على الإسلام حتى ينالوا من أولئك الصحابة الأبرار ؟

أما قولهم بأحقية الإمام علي ﵇ بالخلافة بعد رسـول الله ^ لقرابته منه صـلوات الله وسـلامه عليه فيدحضـه الإمام علي ﵇ بقوله : **واعجباه أتكون الخلافة بالصـحابة والقرابة ؟** (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة)، ثم يذهب أبعد من ذلك فيصـف علاقة المسلمين برسـولهم الأكرم ^ وصـفاً آخر فيقول في نفس المصدر: **إنَّ وليَّ محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته.**

ولتوضيح مضمون العلاقة التي كانت بين الإمام علي ﵇ وبين أركان الدولة الراشدية أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهما في شكلها الجديد رأينا أن نأتي على عدد من الأحداث والأحاديث التي صادق على صحة وقوعها في عهد الخلفاء الراشدين أمراء الديانة الصفوية وجاؤوا على ذكرها في مروياتهم التي ضمّتها عشرات الكتب التي خلعوا عليها صفة الاعتبار، وأعطوها في مناسبات أخرى درجة القداسة وهي على النحو التالي :

١- جاء في كتاب نهج البلاغة، أن الإمام عليًا ﵇ قد أوصـى ولده الحسـن ﵇ فقال له : **إي بني إني وإن لم أكن عمرتُ عُمرَ من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسـرتُ في آثارهم، حتى عدتُ كأحدهم بل كأني بما انتهى إليَّ من أمرهم قد عمّرتُ مع أولهم إلى آخرهم.**

٢- وفي رسالة بعثها الإمام علي بن أبي طالب ﵇ إلى معاوية بن أبي سفيان جاء فيها : **ذَكَرتَ أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيدهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام كما زعمت، وأنصـحهم لله ورسـوله الخليفة الصـديق وخليفته الفاروق، ولعمري إن مكانهما في الإسـلام شـديد يرحمهما الله وجزاهم الله بأحسن ما عملاه** (أوردها ابن الهيثم في الصفحة ٤٨٨ من كتاب شرح النهج).

٣- جاء في الصـفحة ٣٣٢ من الجزء الأول من كتاب نهج البلاغة أن الإمام عليًا ﵇ قد قال: **إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها** -أي الخلافة -**وإنه لصـاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف له سِـنّه ولقد أمّره رسول الله بالصلاة وهو حي.**

٤- ومما ورد في تلخيص الشـافي (٤٢٨/٢ طبعة ايران) للشيخ الطوسـي، أن الإمام علي ﵇ قد دخل على عمر بن الخطاب لمّا غُسّل وكفّن فقال : **ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسـجّى** (أي المكفون) **بين أظهركم**. (كما اتفق الشـيخ الصـدوق في معاني الأخبار-طبعة ايران - مع ما جاء على ذكره الشيخ الطوسي).

٥- وفي رواية جاء على ذكرها الميرزا تقي الدين خان صـاحب كتاب ناسخ التواريخ (١٥٨/٢) تحت عنوان ــ عزائم أبي بكر ــ أن أبا بكر سأل علياً : كيف ومن أين تُبَشَّرْ ؟ فقال : من النبي حيث سمعته يبشّر بتلك البشارة، فقال أبو بكر : سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن.

٦- وقال الإمام علي ﵇ في وصـف أبي بكر وعمر ونقلاً عن الصـفحة ٤٢٨ من الجزء الثاني من كتاب تلخيص الشـافي للطوسـي : إنهما إماما الهدى وشـيخا الإسـلام، والمقتدى بهما بعد رسـول الله ومن اقتدى بها عُصِمْ.

٧- ومن بين ما جاء في كتاب رجال الكشـي ترجمة رقم ٢٥٧، ومعجم رجال الحديث للخوئي (١٥٣/٨) والفصـول المختارة من كتاب الجاحظ صـفحة (١٢٧) إنّ الإمام علي بن أبي طالب ﵇ قد قال من على منبر الكوفة : لا أوتي برجلٍ يفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري.

٨- وقال هاشم معروف الطهراني في كتابه (سيرة الأئمة الاثنى عشرية) : أما أمير المؤمنين فلم ينقل أحد من المؤرخين إنه وقف موقف المعارض لخلافة ابن الخطاب ... لا يذكر لمن مضـى ولمن جاء من بعده إلا المحاسن ولا ينطق إلا بلسان البررة.

٩- خرج علي عليه السلام وعليه بردٌ عَدَني فقال : كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيّ وصديقي أمير المؤمنين عمر (جاء على ذكره ابن أبي شيبة في المُصنّف نقلا عن الشريعة للآجري ٥- ٢٣٢٧).

١٠- وقال صاحب كتاب الشافي في الصفحة ٤٢٨ من الجزء الثاني منه أن الإمام عليًا عليه السلام قد قال : **إنَّ خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر.**

١١- وجاء في أخبار عيون الرضا لابن بابويه القمي وفي الصفحة ٣١٣ من الجزء الأول منه إن الإمام علي عليه السلام قد قال : **إن أبا بكر مني بمنزلة السمع وإن منزلة عمر مني بمنزلة البصر.**

١٢- وقال الإمام علي عليه السلام في عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **ما كنت لأحلّ عقدة شدّها عمر** (ذكره البلاذري في فتوح البلدان الصفحة ٧٤).

١٣- وقال المسعودي في كتابه مروج الذهب ٢-٣٤٣ : فلما بلغ إلى الإمام علي عليه السلام أنهم يريدون قتل عثمان بعث ولديه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوهم منه، وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمد، وأكثر أبناء الصحابة أرسلوا أبناءهم اقتداءً فصدوهم عن الدار.

١٤- ويروي المجلسي في ٦٢١/٢ من حياة القلوب رواية موثوقة كان الإمام علي عليه السلام قد قال فيها لأصحابه : **أوصيكم في أصحاب رسول الله، لا تسبوهم، فإنهم أصحاب نبيّكم وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئاً ولم يوقّروا صاحب بدعة، نعم أوصاني رسول الله بهؤلاء.**

أما موقف آل بيت النبي عليهم السلام من الصحابة بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ إثر محاولة غادرة قام بها اللعين عبد الرحمن ابن ملجم المرادي فيمكن أن يتلخص بما يأتي :

١- وكان الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قد اشترط على معاوية ابن أبي سفيان في صلحه معه أن يسير سيرة الشيخين أبي بكر وعمر (وهذا ما أورده العباس القمي في الصفحة ٢١٢ من الجزء الثاني من كتابه منتهى الآمال .. طبعة إيران) .. **فمن بين شروط معاهدة الصلح أن يعمل معاوية ويحكم في الناس بكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الراشدين.**

والإمام الحسن عليه السلام هو من قال في أبي بكر رضي الله عنه : **إنه مني بمنزلة السمع**. (وهذا ما ذكره الصدوق صاحب كتاب عيون الأخبار).

٢- يروى عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كما جاء في البرهان للبحراني أنه قدم عليه نفر من العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني ءأنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ؟ قالوا : لا، قال : فأنتم الذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ قالوا : لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم في الذين قال الله فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر : ١٠]، اخرجوا عني فعل الله بكم.

٣- وعن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : إن أناساً في رؤساء الكوفة وأشـرافهم الذين بايعوا زيداً حضـروا يوماً عنده وقالوا له : رحمك الله ماذا تقول في حق أبي بكر وعمر ؟ قال : ما أقول فيهما إلا خيراً، كما لم أســمع فيهما من أهل بيتي إلا خيراً ما ظلمانا ولا أحد غيّرنا وعملا بكتاب الله وسـنة رسـوله (نقلا عن ناسـخ التواريخ ٥٩٠ للمرزاتقي الدين خان تحت عنوان أحوال الإمام زين العابدين).

٤- وعن الإمام محمد الباقر نقلاً عن كتاب الاحتجاج للطوســـي إن الإمام محمدا الباقر عليه السلام قد قال : **ولستُ بمنكر فضل أبي بكر ولست بمنكر فضل عمر ولكن أبا بكر أفضل من عمر.** ويقول الإمام الباقر عليه السلام نقلاً عن الخصال للقمي : كان أصحاب رسول الله اثنا عشر ألفاً من المدينة وألفان من مكة وألفان من الطلقاء ولم ير فيهم قدري ولا مرجئ ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي كانوا يبكون الليل والنهار ويقولن : اللهم اقبض أرواحنا قبل أن نأكل خبز الخمير.

٥- ونقلَ الكُليني في الروضة من الكافي ١٠١/٨ طبعة إيران : أن امرأة بليغه سألت الإمام الصادق عن أبي بكر وعمر فقال لها : توليهما، قالت : فأقول لربي إذ ألقيته إنك أمرتني بولايتهما ؟ قال : نعم.

٦- جاء في تلخيص الشـافي للطوسـي (٤٢٨/٣) إنَّ الإمام جعفرا الصـادق عليه السـلام قد قال عن أبيه إنه قال : قال رجل لعلي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين تقول في الخطبة آنفاً : اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشـدين المهتدين فمن هم ؟ فأغرورقت عيناه ثم أهملهما فقال : **هما حبيباي أبو بكر وعمر، إماما الهدى وشـيخا الإسـلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسـول الله، فمن اقتدى بهما عُصِـمْ ومن اتبع آثارهما هُديّ إلى صراط مستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون.**

٧- وقـال الأردبـيـلـي فـي (١٤٧/٢) مـن كـتـاب كشــــف الـغـمّـة عـن عـروه بـن عـبـد الله قال : ســألتُ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن حُلية الســيف ؟ فقال : لا بأس به فقد حلّى أبو بكر الصــديق سيفه قال : قلت : وتقول الصديق ؟ فوثب وثبة واستقبل القبلة فقال : نعم الصديق **فمن لم يقل الصديق فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة.**

٨- جاء في كتاب إحقاق الحق (١٦/١) للشوشتري عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن أبي بكر وعمر، ففي الخبر أن رجلاً سأل الصـادق فقال : يا بن رسول الله ما تقول في حق أبي بكر وعمر ؟ فقال : «**إمامان عادلان قاســطان كانا على الحق وماتا عليه فعليهما رحمة الله إلى يوم القيامة** .. وعن الإمام الصادق نقلاً عن كشف الغمة للأردبيلي (١٦١/٢) إنّه قال: **ولدني أبو بكر مرتين** .

٩- وعن علي بن إبراهيم القمّي في تفســيره وهو من بين أهم علماء الطائفة إنه قال : حدثني أبي عن بعض رجاله عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لمّا كان رسـول الله ٨ في الغار قال لأبي بكر : كأني أنظر سـفينة جعفر وأصـحابه تقوم في البحر، وانظر إلى الأنصــار مخبتين في أفنيتهم فقال أبو بكر : وتراهم يا رسـول الله ؟ قال : نعم، قال : فأرنيهم، فمسـح على عينيه فرآهم، فقال له رسـول الله ٨ : أنت الصـديق (كما أورده البحراني في ص١٢٥ من الجزء الثاني من البرهان) .

١٠- أما الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيروي قصة الهجرة النبوية الشريفة فيقول : إن رسول الله بعد أن سـأل علياً النوم في فراشـه قال لأبي بكر : أرضـيت أن تكون معي يا أبا بكر، تطلب كما أطلب وتعرف بأنك أنت الذي تحملني على ما أدعيه فتحمل عني أنواع العذاب ؟ قال أبو بكر : يا رســـول الله أمّا أنا فلو عشـــت الدنيا أُعذب في جميعها أشـــد العذاب لا ينزل عليّ موتٌ صــــريح ولا أفرح وكان ذلك في محبتك لكان ذلك أحبُّ إليَّ من أن أتنعّم فيها وأنا مالك لجميع مماليك ملوكها في مخالفتك فهل أنا ومالي وولدي إلا فداءك ؟ فقال رسول الله ٨ : لا جرم أن اطلّع اللهُ على قلبك ووجده موافقاً لما جرى على لسانك، جعلك مني بمنزلة

السمع والبصر والرأس من الجسد والروح من البدن (ورد في تفسير الحسن العسكري ١٦٤، ١٦٥ طبعة إيران). وجاء في البرهان للبحراني في تفسيره نقلاً عن الإمام الحسن العسكري : إن كليم الله موسى سأل ربه، هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي ؟ قال الله تعالى : يا موسى أما علمت أن فضل أصحاب محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل محمد على جميع المرسلين والنبيين؟

ولنقف الآن على موقف صحابة رسول ^ من رموز آل بيت النبوة، ولنا أن نحتج بمرويات أهل السنة والجماعة في هذه الجزئية فقط وعلى النحو الآتي :

١- جاء في صحيح البخاري وتحديداً في كتاب بدء الخلق باب صفة النبي ^ ما روي في مسنده عن عقبة بن الحارث قال: قال أبو بكر الصديق ﵁ وهو يداعب الحسن ابن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) : بأبي شبيهٌ بالنبي لا شبيهاً بعلي ، وعلي يضحك (كذلك أورده أحمد في مسنده) .

٢- وعن أبي بكر الصديق ﵁ قال : رأيت رسول الله ^ خيَّم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين وهو يقول : معشر المسلمين أنا سلمٌ لمن سالَم أهل الخيمةِ ،حربٌ لمن حاربهم، وليّ لمن والاهم ولا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم الاّ شقي الجد رديء الولادة (جاء على ذكره الحافظ الطبري في ص ١٨٩ من الجزء الثاني من كتاب الرياض النضرة) .

٣- وعن الشعبي قال : رأى الصديق ﵁ علياً ؈ فقال : **من سرَّه أن ينظرإلى أعظم الناس منزلة من رسول الله وأقربهم قرابة من نبيّه فلينظر إلى هذا** (ويقصد فلينظر إلى علي ابن أبي طالب) ، (ورد في ٣٩٣/٦ من كنز العمال للهندي كما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الأشراف ، كما أخرجه الحاكم) .

٤- وعن سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ وقد نازعه رجل في مسألة فقال : بيني وبينك هذا الجالس(وأشار إلى علي) ، فقال الرجل : هذا الأبطن ؟ فنهض عمر من مجلسه وأخذ بتلابيبه حتى رفعه عن الأرض ثم قال : أتدري من صغَّرت ؟ هذا مولاي ومولى كلَّ مسلم (ذكره صاحب كتاب الرياض النظرة في ١١٥/٣ منه ، كما أورده صاحب الصواعق المحرقة ابن حجر الهيثمي في الصفحة ١٧٩ منه) .

٥- كان سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ يقول وهو يعانق الحسين بن علي (عليهما السلام) يوم كان صغيراً : وهل أنبت الشعُر في رؤوسنا إلا أنتم يا آل رسول الله؟ .. والخليفة العادل عمر بن الخطاب ﵁ هو صاحب المقولة الشهيرة : **وهل يكون عبد الله بن عمر مثل الحسين بن علي ؟**

٦- وعن قيس بن حازم قال : كنت بالمدينة فبينما أنا أطوفُ في الأسواق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابةً وهو يشتم علياً ؈ والناس وقوف حوله، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص ﵁ فقال : يا هذا لماذا تشتُم علياً؟ ألم يكن أول من أسلم ؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ^ ؟ ألم يكن أعلم الناس ؟ وذكر حتى قال : ألم يكن ختن رسول الله ^ على ابنته ؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله في غزواته ؟ ثم استقبل سعد بن أبي وقاص ﵁ القبلة ورفع يديه وقال : اللهم إن هذا يشتم ولياً من أوليائك ، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك ، قال قيس : والله ما تفرقنا حتى ساحت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار (وردت هذه الواقعة في المستدرك على الصحيحين ٥٧١/٣ ح٦١٢١للحاكم) .

٧- وعن أبي مجلز أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر ﵁ فقال : إني رميت الجمر ولم أدرِ إن رميت ستاً أو سبعاً فقال : استشر ذلك الرجل (يعني علياً عليه السلام) .

٨- وقيل لعبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن و علي بن أبي طالب ؟ قال : علي بن أبي طالب من أهل البيت ولا يقاس بهم أحد (نقلاً عن كنز العمال للهندي والفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ٢٨٣/٤) .

٩- وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ٨ : من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني (رواه أحمد بن حنبل في ٢٨٨/٢ من المسند ، والخطيب البغدادي في ١٤١/١ من كتاب تاريخ بغداد والديلمي في الصفحة ١٣٤ من كنوز الحقائق) .

خصوصية العلاقة بين الفاروق وأخيه علي :

أ - الاستشارة :

كان الإمام علي عليه السلام المستشار الأول لعمر بن الخطاب ﷺ وكان الخليفة عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس استشار علياً عليه السلام، فقال له علي عليه السلام :« إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولون : هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لِكَلَبِهِمْ عليك وطمعهم فيك، فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نُقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة.» (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة). فأخذ عمر بن الخطاب ﷺ برأي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، كما استشاره في أمر الخروج إلى غزو الروم بنفسه فقال له ابن أبي طالب عليه السلام : «إنّك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتُنْكَبْ لا تكن للمسلمين كانفةٌ دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلاً مِحرَباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءً للناس ومثابة للمسلمين».

وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حُلي الكعبة وكثرته، فقال قوم:- لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحُلي ؟ فَهَمَّ عمر بذلك، وسأل أمير المؤمنين عليه السلام. فقال : « إن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة : أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حُلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حالهِ ولم يتركه نسياناً، ولم يخفِ عليه مكاناً فأقره حيث أقره الله ورسوله. فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحُلي بحاله»(وهذا ما ورد في كتاب نهج البلاغة).

كذلك استشار الفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الأمور التالية :

١- في وضع التقويم الهجري (نقلاً عن كتاب علي بن أبي طالب مستشارٌ أمين للخلفاء الراشدين، ص٩٩).

٢- لما تولّى عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زماناً، لا يأكل من بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ٨ فاستشارهم في ذلك فقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه ؟ فقال عثمان بن عفان : كُل وأطعم ، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي : ما تقول أنت في ذلك ؟ قال : غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بيّن عمر حظّه من بيت المال فقال : إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف. (أورده د. يحيى في الخلافة الراشدة).

٣- أتى عمر بمالٍ قسّمه بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركته لنائبة إن كانت، وفي القوم عليٌ ســاكت، فأراد عمر أن يســمع رأي علي في ذلك، فذكّره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبي ^ وأنه قسمه كله، فقال عمر لعلي : لا جرم لتقسمنه، فقسمه علي. (خلافة علي بن أبي طالب لعبد الحميد علي، ص٧٥).

٤- لمّا فُتِحَت أرض السواد في العراق عنوة، أشار عدد من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على عمر بتقســيمها بين الفاتحين، ولكن لســعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن ســيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقســيمها، فاســتشــار علياً في ذلك فكان رأيه موافقاً لرأي الخليفة عمر ألاّ تُقسّم فأخذ برأيه وقال : لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ^ خيبر. (المصدر السابق، وسيرة أمير المؤمنين للصلابي).

٥- استخلاف الفاروق علياً على المدينة :

أ - خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه قبيل القادسية وكان الفرس قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاســتشــارهم فكلهم أشــار عليه بالمســير إلاّ علي بن أبي طالب كما رأينا(نقلا عن المنتظم من تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي).

ب -اســتخلافه عند نزول عمر بالجابية : وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع لا تغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف. فعلم عمرو أنه عمر، فكتب بعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واســتخلف علي بن أبي طالب. (نقلا عن المصدر نفسه).

جـ- اســتخلاف علي حين حج عمر بأزواج النبي ^ : وهي آخر حجّة حجّها بالناس كانت ســنة ثلاث وعشــرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه، وخلّف على المدينة علي بن أبي طالب. (المصدر نفسه).

***

تعليق :

إذا كان الخليفة الفاروق رضوان الله عليه قد أسهم على حد زعم أركان الطائفة الصفوية - فيما وقع على الزهراء عليها السلام من حيف ومظلومية، وقد فارقت الحياة وهي غير راضية عنه ولا عن صاحبه أبي بكر الصــديق ﷺ ،وإذا كانت تلك الفعلة قد أوغرت صــدر الإمام علي بن أبي طالب ﵇ على الشــيخين الذين تقمصا الخلافة منه ــ على حد زعمهم - فكيف لا يستثمر الإمام علي ﵇ استخلاف الخليفة الفاروق له على المدينة فينقلب عليه ويعيد الحق إلى أهله؟ وتلك فرصــته الســانحة، هذا في جانب، وفي جانب آخر فإن الأمر لو كان بمستوى ما يصفه أقطاب المؤسسة الصفوية لكان الخليفة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه في أشــد حالات الحذر ولكان علياً ﵇ آخر من ســيخلفهم الخليفة الفاروق ﷺ على المدينة ... أليس كذلك ؟

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥٣]. بعد أن اسـتعرضـنا طبيعة العلاقة القائمة على الحب والتواد والتراحم والتعاون بين الإمام علي عليه السلام والخلفاء الراشـدين (أبي بكر وعمر وعثمان رضـي الله عنهم) فإننا نجد أن من المهم أن نقف على ما قاله بعض أركان البيت الصـفوي في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أ- نسـب الكُليني في كتـابـه روضــة الكـافي (٢٤٦/٨) للإمـام محمـد البـاقر عليه السلام إنـه قال : إنَّ الشيخين أبا بكر وعمر ــ فارقا الدنيا ولم يتوبا ــ ولم ينكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام ـ فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ب- وقال نعمة الله الجزائري في ٦٣/١ من كتاب الأنوار النعمانية : إن عمر بن الخطاب كان مصـاباً بداء في دبره لا يهدأ إلا بماء الرجل (حاشاه).

ج- وقال صـاحب كتاب الصـراط المسـتقيم (آية الله محمود عبد العزيز جودت نقلاً عن علي بن يونس البياضي) : كان عثمان ممن يلعب به وكان مخنثاً (حاشاه).

فياللعجب .. إنهم يشتمون علياً عليه السلام وليتهم كانوا لا يشعرون فليس لعلي أن يبايع أبا بكر وعمر وعثمان أو يقبل مشورتهم أو يصاهرهم أو يذب عنهم أو يشاورهم في كل أمر من أمور المسلمين إذا كانوا في ذلك المستوى من الوصف ـ حاشاهم ـ ويالشطط أولئك الذين يرمون محمداً ٨ الذي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ بالشبهات فلو كان أبو بكر وعمر وعثمان ـــ مثلما يزعم الصفويون لّعَلِمَهُ الرسول ٨ ولتخلى عن صحبتهم ولما صاهرهم ولأعرض عنهم ونبذهم ولقال فيهم مثلما قال في ابن أبي معيط.

٦- زواج الخليفة عمر من ابنة علي بن أبي طالب :

قال الرسـول الأكرم محمد بن عبد الله ٨ : «**من أتاكم ترضـون دينه وخلقه فزوجوه وإن لم تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير**».

جاء في الفروع من الكافي (١٤١/٢) وفي كتاب النكاح (٣٤٤/٥) منه (باب تزويج) أم كلثوم والفروع من الكافي للكليني أيضاً (١١٥/٦-١١٦) زواج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليهما السـلام، وقد قال محمد بن علي بن شـهر أشـوب المازنداني (نقلاً عن كتابه مناقب آل أبي طالب ١٦٢/٣) : فولد من فاطمة عليها السـلام الحسـن والحسـين والمحسـن وزينب وأم كلثوم الكبرى تزوجها عمر.

وكذلك جاء على ذكر الحادثة المجلسـي في ٨٨/٣٨ من كتاب بحار الأنوار، كما أكَّدهُ أيضـاً الطوسـي صـاحب كتاب الاسـتبصـار (ص٣٥٣) وأورده في كتابه تهذيب الأحكام (١٦١/٨)، (٢٦٢/٩).. واتفق علماء الطائفة على أن ابن الخطاب رضي الله عنه قد أعقب منها ، أما المصـادر الأخرى فتقول : زوّج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة ـ أم كلثوم- من الفاروق ثقة فيه واقراراً لفضله ومناقبه واعترافاً بمحاسنه وجمال سـيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصـلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم، فقد كان عمر يكُنّ لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسـول الله ٨، ولما أوصـى به رسـول الله ٨ من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة وجاء إليه في ذلك قائلاً : فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فقال علي : قد فعلت فأقبل عمر إلى المهاجرين وهو مسرور قائلاً : رفئوني (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للدكتور علي الصلابي).

تعليق :

يبدو أن زواج السـيدة أم كلثوم الكبرى بنت علي بن أبي طالب عليه السلام من الخليفة الفاروق رضـوان الله عليه قد أوقع الصـفويين في حرج ما بعده حرج ، ذلك لأن مثل هذا الحدث الكبير سـيضـع مروياتهم التي أرادوا بها شق صف المسلمين في دائرة الاتّهام، إذ كيف لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن يزوّج ابنته من فاطمة الزهراء من رجل مثل عمر بن الخطاب الذي كان قد وضـع الحبل في عنقه واقتاده ليبايع أبا بكر الصـديق مكرهاً على حد زعمهم؟!! .. وحاولوا الالتفاف على الخبر، ولكنهم وقعوا في فخ آخر نصـبوه هم لأنفسـهم فنسـب كبيرهم الكُليني للإمام الصـادق عليه السلام زوراً وبهتاناً في كتابه الكافي (الفروع) ١٤١/٢ قولاً حاش للإمام الصادق أن يقوله : (ذلك فَرْجٌ غُصِبناه).

وذكر الأردبيلي ما نصـه : إن علياً لم يُرد أن يزوج ابنته أم كلثوم من عمر ولكنه خاف منه فوكّل عمه العباس ليزوجها منه! (حديقة الشيعة للأردبيلي).

٧- إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه، حباً وإعجاباً بشخصيته، وتقديراً لما جاء به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولِما قَدّمَ إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطهُ بأهل بيت النبوة، والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الإمام علي بن أبي طالب الذي سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية (عمر) وهذا ما أورده اليعقوبي في ٢-٢١٣ من تاريخه ، حتى ذكر أولاد علي بن أبي طالب : وعمر من التغلبية، وهي الصـهباء بنت ربيعة من السـبي الذي أغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر في حروب الردة، وعمَّر عمر هذا حتى بلغ خمساً وثمانين سـنة فحاز نصـف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشـقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان وأمهُ أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم وأبو بكر وأمهُ ليلى بنت مسعود قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه ـــ يعني أنه لم يقتل معهم في واقعة الطف – فورثهم، هذا وتبعه الإمام الحَسن عليه السلام في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمى أحد أبنائه عمر أيضـاً ، وكذلك الإمام الحُسين بن علي سمى عمر، ومن بعده ابنه علي السجّاد الملقب بزين العابدين سمى أحد أبنائه باسم عمر، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدى النبي ^ وعلى نهج أهل السُـنة والجماعة بسـيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صـدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسـم في ذرية أهل البيت ممن سـاروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السـنة والجماعة إلى يومنا هذا، ونجد أسـماء الصـحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشـيعة العرب اليوم الاقتداء بعلي والحَسـن والحُسين عليهم السـلام وسـائر الأئمة من آل البيت في تسـمية بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين.

٨- وبعد أن توفي الخليفة الأول أبو بكر الصـديق رضـوان الله عليه تزوج الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام من زوجه أسماء بنت عميس (على حد قول الكليني في الكافي) وأكد الواقد ذلك وقال : ولدت له يحيى وعون .. وتلك حقيقة لا يتطرّق لها أدنى شـك .. كما أكد الدنبلي في الصـفحة ١١٣ من كتاب الدرة النجفية تولّي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رعاية محمد بن أبي بكر الصديق حتى إنهُ قد قال فيه : محمد ابني من ظهر أبي بكر، وقد قال فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ما لم يقله إلا في ولديه الحسـن والحسـين عليهما السـلام ومن بين ما قاله فيه نقلاً عن كتاب نهج البلاغة : لقد كان إليَّ حبيباً وكان لي ربيباً .. وعندما توفي محمد بن أبي بكر مقتولاً قال فيه الإمام علي عليه السلام : أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد اسـتشـهد فعند الله نحتسـبه ولداً ناصـحاً ، وعاملاً كادحاً وسـيفاً قاطعاً وركناً دافعاً، وقد كنت حثثتُ الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة .. كذلك قال لما بلغه مقتله : إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به إلا أنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً(وهذا ما ورد في كتاب نهج البلاغة).

٩- الحجة الدامغة :

جاء في الصفحة ٢١٠ من الجزء الثاني من كتاب مستدرك الوسائل للطبرسي الذي له عند علماء الطائفة الصفوية أهمية بالغة ، أنه لما حضرت الوفاة فاطمة الزهراء البتول توضأت وقيل : اغتسلت ودعت الطيب فتطيبت به ودعت ثياباً جديدة فلبستها وقالت لأسماء بنت عميس (زوج أبي بكر الصديق) : آتيني ببقية حنوط والدي من موضع كذا فضعيه عند رأسي فوضعته ثم تسجّت بثوبتها وقالت : انتظريني هنيهة ثم ادعيني فإن أجبتك وإلا فاعلمي أني قدمتُ على أبي ^ ..

١٠- جعل عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة قبل وفاته شورى في ستة من كبار الصحابة هم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وجعل ابنه عبد الله معهم مشيراً لا يحق لهم اختياره .. فاجتمع القوم في بيت أحدهم فتشاوروا ثلاثة أيام فقال عبد الرحمن بن عوف : أيكم يخرج نفسه منها ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يُجبه أحد فقال : أنا أنخلع عنها فقال عثمان : وأنا أول من رضي، فقال القوم : قد رضينا وعلي ساكت، فقال: ما تقول يا أبا الحسن .. قال : أعطني موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تأل الأمة، فقال : اعطوني موثقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغيّر وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله أن لا أخصَّ ذا رحم لرحمه ولا ألو المسلمين، فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله .

تعليق :

لقد صبَّ نقباء الطائفة الصفوية جام غضبهم على الخلفاء الراشدين الثلاثة و على باقي صحابة رسول الله ^ وعلى طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر على وجه الخصوص، ونسوا أو تناسوا أن اجتماع الإمام علي عليه السلام معهم وعلى أي أمر إقرار منه عليه السلام بفضلهم، فهو آخر من يجالس من انحرف بالدين الحنيف عن جادة الحق وهو آخر من يهادن أو يداهن أحداً في أمر من أمور المسلمين وقد وصف نفسه عليه السلام قائلاً : **لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً وأجرّ في الأغلال مفصداً أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لعباد الله** .. (انظر كتاب نهج البلاغة) .. فهل بعد هذا البيان من بيّنة ؟

موقف الإمام علي من ابن عمر :

هوعبد الله بن عمر بن الخطاب ويكنى بأبي عبد الرحمن وأُمهُ زينب بنت مظعون الجمحية ولد بعد البعثة بعامين وأبوه لم يسلم بعد، وما أن أصبح يافعاً كان الله قد هدى والده عمر بن الخطاب إلى الإسلام فأخذ عبد الله ينهل من الإسلام عن رسول الله محمد ^ وكان يتّبعه كظلّه حيث هاجر مع والده إلى المدينة المنورة وهو ابن عشرة أعوام وهناك حفظ القرآن وشارك في غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة وشارك في بيعة الرضوان وخرج إلى العراق وشهد القادسية وورد المدائن وشهد اليرموك وغزا إفريقيا مرتين .. وكان فقيهاً كريماً حسن المعشر طيب القلب لا يأكل إلا وعلى مائدته يتيم يشاركه الطعام وكان كثير الاتباع لآثار الرسول الأكرم ^ .. أراده عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه من قبله وللحدث صلة.

قال ابن سعد : لما قُتل عثمان واستُخلِفَ عليٌ أتاه ابن عمر فقال له علي : إنك محبوب إلى الناس فسر إلى الشام فقد وليتُكَها ، ومعنى هذا أنّ الإمام علي بن أبي طالب أراد أن يخلع بولاية عبد الله بن عمر رضوان الله عليهما معاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام، وفي هذا دلالة كبيرة أتمنى على القارئ الكريم أن يقف عندها، فقد أراد إمام الهدى علي ابن أبي طالب عليه السلام استبدال أشد الناس خصومة له بأحب الناس

إليه عبد الله ابن أحب الناس إلى نفسه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وهو الذي كان قد قال فيه عندما حضر وفاته بعد أن طعنه حفيد الأسرة الساسانية أبو لؤلؤة فيروز (لعنة الله عليه) : **لله بلاء عمر فقد قوَّم الأود، وداوى العمد ،ودرأ الفتنة ،وأقام السنة، ذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها، .. أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي**(نقلاً عن كتاب نهج البلاغة ٢-٢٢٢ شرح الشيخ محمد عبده).

موقف الإمام علي بن أبي طالب من عثمان بن عفان:

إذا كان فقهاء الطائفة الصفوية قد أوغروا صدور أتباعهم على الخليفة عثمان بن عفان ﵁ فأنكروا مصاهرته لرسول الله ^، وحاولوا تهميش دوره قبل وبعد الهجرة النبوية الشريفة وتشويه صورته كخليفة للمسلمين،فها هو الإمام علي بن أبي طالب ؈ يرد على هؤلاء وسأستعين بما قاله الإمام علي عليه السلام لعثمان بن عفان ﵁ (نقلا عن كتاب نهج البلاغة)، يوم دخل عليه وقال ؈ : **إن الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدرى ما أقول لك ؟ ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمرٍ لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيءٍ فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجةٍ رحمٍ منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تُبصر من عمىً ولا تُعلَّم مِنْ جَهلٍ، وإن الطرق لواضحة وإن أعلام الدين لقائمة**. (وهذا ما اقتبسناه من كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي ؈) وفيه أكثر من حجة يمكننا أن نلجم بها أفواه الشتامين، وبينةٍ نستعين بها على أصحاب الغرض السيء فهذا هو علي ؈ يرد فيه على من يدعي بعدم صحة زواج الخليفة عثمان ﵁ من ابنتي الرسول رقية وأم كلثوم(أو ينفي عنهنّ ابوة الرسول الكريم) ، ويقر أنه لا يعلم شيئاً لا يعلمه عثمان ولم يسبقه إلى شيء ليخبرهُ عنهُ، ويعترف له بحسن صحبة الرسول الأكرم ^ . وللإمام علي ؈ في موضع آخر من نهج البلاغة قول يبرئ من خلاله ساحة الخليفة عثمان بن عفان ﵁ عن تهمة المروق عن دين الله التي رماه بها علماء الطائفة الصفوية فيقول : « **والله لووجدته قد تزوّج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيَق** » . أمّا مآثر الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ﵁ في خدمة الإسلام وموافقة منه فيمكننا أن نختصرها بتجهيزه للعديد من غزوات المسلمين في عهد الرسول الأكرم محمد ^ والفتوحات التي تمت في عهده رضوان الله عليه فهي وللأسف الشديد لم تلق عند شيوخ وعلماء الطائفة الصفوية غير الجحود !! .

وتعليقاً على كل ما تقدم نقول وباختصار شديد : لقد فُتِحَت في عهد عثمان أرمينيا وأذربيجان والإسكندرية وسابو وإصطخر وطبرستان وكرمان وسجستان ثم الأساورة حتى وصل فرغانة، وإفريقيا، وبدأ في عهده غزو الروم براً وبحراً وفُتِحَت جزيرة قبرص، وعثمان بن عفان ﵁ هو من أمر بإرسال حملة بحرية لغزو سواحل الأندلس ،وهو أول من فكّر في فتح القسطنطينية واقتحام أوربا عن طريق إسبانيا وكان أمره بغزو سواحلها لهذا الغرض، وهذا ما أيدتهُ أدق كتب التاريخ، وأكثرها إنصافاً، وذكرته بعض المرويات الصفوية.

ولنا إزاء ذلك أن نتساءل :

١- لو كان الخليفة عثمان بن عفان ﵁ مثلما وصــــفوه فكيف كان لتلك الفتوحات أن تتم في عهده، ولو كان قد خذل الإسلام وانحرف به كما يزعمون، فماذا يسمي أركان المؤسسة الصفوية تلك الفتوحات ؟

٢- ولو كان للإمام علي ؏ موقف من الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﵁ ــــ على حد زعمهم ــــ فلماذا ترك ولديه الحسن والحسين عليهما السلام يشاركان في تلك الفتوحات وتحت قيادة سعيد بن العاص سنة ٣٠ هجرية ؟ !! (أرجو مراجعة كتاب الأمم والملوك).

٣- ولو كان الأمر كما يعتقدون إذن لماذا يتيمّن الإمام علي باســــم عثمان فيجعل أحد أولاده الذين ولدوا في عهد عثمان ﵁ سمياً له، مثلما تيمّن باسم أبي بكر وعمر فسمى ولديه باسميهما، دون أن يسمي أحداً من الخلفاء الثلاثة أبناءهم باسمه أو باسم ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ؟!!!



المبحث السادس
إنما المؤمنون إخوة

انقسم المسلمون بعد القرن الهجري الأول بسبب حالة الانتماء الطائفي إلى شيعة وسنّة كما هو معروف، أمّا الشيعة فهم أتباع آل بيت المصطفى ^ وهم بهذا الوصف لن يناصبوا آل ذلك البيت الشريف العداء قطعاً، أما أبناء السنة والجماعة فإنهم بالكلية آخر من يناصب آل بيت النبوة العداء بدليل أنهم أكثر إدراكاً من غيرهم أن الله تعالى لن يتقبل منهم صلواتهم الخمس إلا بعد إقرارهم بمكانة آل بيت النبوة عليهم السلام التي ترقى عندهم إلى مكانة أنبياء بني إسرائيل فهم يرددون في كل صلاة من صلواتهم الخمس عبارة تلزمهم بذلك هذا نصها : **اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد،** لذلك صح لنا القول : إنّ أبناء السنة والجماعة هم من أتباع البيت النبوي الشريف سواء بسواء مع إخوانهم الشيعة العرب وهذا ما سنثبته بالعديد من البينات التي ليس للشك أن يرتقي إليها بشيء، وسنتناول بشيء من الإيجاز بعض ما قاله أئمة وفقهاء السنة والجماعة في أئمة بيت النبي الأكرم ^ فرادى وجماعات:

عندما سُئل الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ــ رحمه الله ــ عن أعلم الناس ردَّ قائلاً : أبو عبد الله جعفر المدني (ويقصد الإمام الصادق ﵇)، .. وقال فيه أيضاً : ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد(فقد تتلمذ على يديه حتى رأيناهُ يقول : لولا العامان لهلك النعمان) ، وكانت وقائع التاريخ قد ذكرت أن الإمام النعمان ــ رحمه الله تعالى ــ قد لاقى جرّاء إيوائه لنجل الإمام الحَسن ﵇ ــ محمد ذي النفس الزكية ــ ﵇ شتّى أشكال العذاب.

وقال الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ لمّا آذاه الخليفة المنصور ـ على حد زعم بعض أركان المؤسسة الصفوية ـ ردَّ على من سأله أن يدعو ربه على الخليفة المنصور قائلاً : تركته لقرابته من النبي ^.

ومن بين ما قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في آل بيت النبي ^ :

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ

يكفيكمُ من عظيم الفخرِ أنكمُ ... من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

أما الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ فقد قال : مَن لم يُربّع بعلي فهو أضل من حمار أهله.

وقال الإمام ابن تيمية الحنبلي الحرّاني ـ رحمه الله ـ : أعلم وفّقني الله وإياك أن ما أصيب به الحسين ﵁ من الشهادة في يوم عاشوراء إنما كان كرامة من الله عزَّ وجل، أكرمه بها ومزيد حضوة ورفع درجة عند ربّه وإلحاقاً له بدرجات أهل بيته الطاهرين وليهيننَّ من ظلمه واعتدى عليه.

وكان الإمام ابن تيمية قد قال في مناسبة أخرى في آل بيت النبوة عليهم السلام : آل بيت رسول الله ^ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ^ فقال لنا : قولوا : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وقال مساور السعدي : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ^ يوم مات الحسن يبكي وينادي بأعلى صـــوته ويقول : يا أيها الناس اليوم مات حِبُّ رســـول الله ^ فابكوا . وقال الإمام الذهبي : الإمام الصادق شيخ بني هاشم، وكان الإمام الذهبي قد قال في الإمام السجّاد علي بن الحسين عليهما السلام : كان له جلالة عظيمة وحُقَّ له والله ذلك فقد كان أهلاً للإمامة العظمى، لشــرفه وســؤوده وعلمه وتألهه وكمال عقله.

أما أبو حاتم الرازي فقد قال عن الإمام الصادق عليه السلام : لا يُسأل عن مثله.

وقال يحيى بن سعيد : سمعت عليَّ بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته.

وقال شريك بن عبد الله ــ وهو من أتباع التابعين ــ : لو جاءني أبو بكر وعمر وعلي وسألني كلّ حاجته لقدمت حاجة علي لقربه من الرسول ^.

ومن بين ما قاله الإمام الزُّهري ـ رحمه الله ـ : ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين.

ولســـتُ وهابياً لكي أنزّه الإمام محمد بن عبد الوهاب عن كلّ شـــبهةٍ أحاطوه بها في موضـــوع نظرة الوهابية لآل بيت النبي الأكرم ^ لكنّها الحقيقة التي يجب أن تُقال، فقد قرأتُ في مرويات ابن عبد الوهاب إنهُ قال : لآله ^ حق لا يشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحق سائر قريش ، وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل.

أما ولده عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فقد قال في الرســـالة التي كتبها ــــــ رحمه الله ـ عام ١٢١٨هـ وردَّ فيها على من افترى عليه وعلى أبيه من قبله وادّعى أنه لا يرى حقاً لآل بيت النبي ^، فأجاب قائلاً : سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنّا شيئاً من ذلك أو نَسَبهُ إلينا قد كذّب علينا وافترى.

بعد هذا كله دعونا نقف على ما قاله الله تعالى في محكم كتابه العزيز من آيات بينات تحثّنا على الاتحاد والوحدة :

- قال أحسن القائلين الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات : ١٠].
- ومما قاله تعالى أيضاً : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [الأنبياء : ٩٢].

* أما الرســول الأعظم ^ فقد قال في هذا الشـــأن : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفســه» وقال أيضًا : «**المسلم من سَلِم المسلم من لسانه ويده**».

ومما قاله عميد آل بيت النبوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الخصوص :

١- وصف عليه السلام جيش الشام ــ جيش خصمه التقليدي معاوية بن أبي سفيان ــ نقلاً عن الصفحة ١١٤ من الجزء الثالث من نهج البلاغة قائلاً : كان بادئ أمرنا أنّا تلاقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد وديننا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ، ولا يستزيدوننا شيئاً إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان.

٢- وقال عليه السلام أيضــاً : من فارق الجماعة شبراً فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه (وهذا ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه).

٣- قال محمد بن الحسن الأسدي : حدّثني يحيى بن مهلب عن سليمان بن مهران قال : حدّثني من سمع علياً يوم صِـفين وهو عاضٌّ على شـفتيه وهو يقول : لو علمنا أن الأمر يكون هكذا ما خرجنا، اذهب يا أبا موسى فاحكم ولو حزَّ عنقي (وقال بذلك أبو صالح سليمان : وأورده الأسدي، ونقله الذهبي في ١-٥١٨ من تاريخ الإسلام.

٤- ونهى علي عليه السلام عن شتم معاوية ولَعْنِ أهل الشام، فقد روي عنه إنه قال ـــ لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام ــ : كُفّا عما بلغني عنكما، فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ورب الكعبة المسـدنة، ولكن قولوا : « **اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم**». (وهذا ما جاء على ذكره الدينوري صاحب كتاب الأخبار الطِوال، ص١٦٥) .. وكان عليه السلام يطوف على بغلةِ الرسول ــ الشهباء ــ بين قتلى المسلمين في معركة صفين من كلا الفريقين ويترحّم عليهم.

ولقد كان أئمة آل بيت النبي في أواخر القرن الأول الهجري وما تلاه يدعون أتباعهم ومشـايعيهم إلى صـلة العشـائر والأرحام والخلطاء من الناس ،وعيادة مرضـاهم وشـهادة جنائزهم وأداء أماناتهم وما إلى ذلك، وإن هم اختلفوا معهم مذهبياً وعلى النحو الآتي :

١- جاء في تفسـير البرهان للبحراني وبحار الأنوار للمجلسـي أن الإمام الباقر عليه السلام قد قال : يا معشـر الشيعة شيعة آل محمد (ولم يقل شيعة علي) كونوا النمرقة -أي الوسادة الصغيرة التي يجلس عليها الإنسان بارتياح فلا هي عالية ولا هي منخفضة- يرجع إليكم الغالي ليجد الاعتدال عندكم ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصـار يقال له سـعد : جعلت فداك من الغالي ؟ قال : **قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسـنا، فقد يرتفعون بنا إلى ما يقترب من الخالق الذي لا يقترب منه أحد، فهم ينسـبون إلينا ونحن المخلوقون صـفات الخالق، فليس أولئك منا ولسـنا منهم**، قال : فمن التالي ؟ قال : المرتاد يريد الخبر يبلغه الخير يؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال : **والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا.**

٢- وعن زرارة بن أعين قال : سألت أبا جعفر عن الصلاة خلف المخالفين للمذهب، فقال : ما هم عندي إلا بمنزلة الجدار (ذكر ذلك البحراني في ٧٧/١١ من الحدائق النظرة، والكاشاني في ١٦٤/٥ من الوافي).

٣- وعن معاوية بن وهب، قال : قلت للإمام الصـادق عليه السلام : كيف ينبغي لنا أن نصـنع فيما بيننا وبين قومنا وخلطائنا من الناس ممن ليسـوا على أمرنا ؟ فقال عليه السلام : تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصـنعون ما يصـنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضـاهم ويشـهدون جنائزهم ويقيمون الشـهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم. (وهذا ما أورده الكليني في كتابه الكافي).

٤- وورد في الكافي عن الكليني بسند صحيح عن زيد الشحّام عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال : **صِلوا عشائرهم وأشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسـن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسـرني ذلك، ويدخل عليَّ من السـرور وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك دخل عليَّ بلاؤهُ وعاره وقيل هذا أدب جعفر فوالله حدثني أبي عليه السلام إنَّ الرجل كان يكون في القبيلة من شـيعة علي فيكون زينها أدّاهم للأمانة وأقضـاهم للحقوق وأصدقهم للحديث وإليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنهم فتقول : من مثل فلان إنه لأدّنا للأمانة وأصدقنا للحديث؟.**

٥- وعن الإمام الصـادق عليه السلام أيضـاً إنَّه قال : إن المصـلي خلفهم في الصـف الأول كالشـاهر سيفه في سبيل الله (وهذا ما أورده الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة وتحديداً في الصفحة ٣٨١ من الجزء الخامس منه).

٦- ومما قاله الإمام الصـادق عليه السلام لزيد كما روى الصـدوق : **خالقوا الناس بأخلاقهم، صـلّوا في مساجدهم وعودوا مرضاهم وأشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذنين فافعلوا فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا : هؤلاء الجعفرية رحم الله جعفراً ما كان أحسـن ما يؤدب أصـحابه، وإذا تركتم ذلك قالوا : هؤلاء الجعفرية فعل الله بجعفر أسوأ ما يؤدب به أصحابه.**

٧- وقال الكليني في الفروع من كتابه الكافي : **من صلى معهم في الصف الأول كمن صلى خلف رسول الله** ٨ (كما أورد ذلك البروجردي صاحب كتاب جامع أحاديث الشيعة في الجزء السادس وعلى الصفحة ٤١٦ منه على وجه التحديد).

٨- وقال الصادق في الصفحة ١٤٤ من كتاب البيان نقلاً عن الشهيد الأول محمد العاملي : **من صلّى في مسجده ثم أتى مسجدهم فصلى معهم خرج بحسناتهم**، وقال أيضاً : **إذا صليت معهم غفر لك بعدد من خالفك**.

٩- وفي الصفحة ٢٢٤ من الجزء الأول من كتاب الدروس، قال الشهيد الأول : ويستحب حضور جماعة العامة كالخاصة بلا أفضل فقد رويَّ من صلى معهم في الصف الأول كمن صلى خلف رسول الله ٨.

وتأسيساً على ما تقدم يُمكن القول : إذا كانت هذه هي نظرة أركان آل بيت النبي المصطفى ٨ إلى خلطاء الشيعة من المسلمين بشكل عام ممن اختلفوا معهم مذهبياً، فإن في ذلك ما يمكن أن نؤسس عليه مشروعاً لوحدة صف المسلمين، فلماذا لا يجد عمداء البيت الصفوي حرجاً في تمزيق صف المسلمين واللعب على أوتار الطائفية المقيتة؟ فانبروا يقولون :

١- قال نعمة الله الجزائري ـ أحد كبار شيوخ الطائفة الصفوية ـ في الصفحة ٢٧٨ من الجزء الثاني من كتابه الأنوار النعمانية : إن ربهم ـــ أي رب أبناء السنة والجماعة ـــ هو الذي كان محمداً نبيه وخليفته بعده أبو بكر ونحن لا نقول بهذا الرب ولا ذلك النبي نبينا، إنّا لا نجتمع معهم على إله واحد ولا على نبي ولا على إمام.

٢- وروى الكليني في الصفحة ١٣٥ من الجزء السابع والعشرين من الروضة ما يتناقض مع ما قاله قبل ذلك : إن الناس كلهم أولاد زنا ـ وقال بغايا ـ ما خلا شيعتنا.

تعليق :

وجميل أن نجد الإمام الصادق عليه السلام قد سبقنا إلى ما ذهبنا إليه فقال في حديث أورده ابن بابويه القمي في علل الشرائع : ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلاً يقول : أنا أبغض آل محمد ٨ .

لقد رأينا كيف كانت العلاقة بين المسلمين في القرون المتقدمة، وكيف كان أئمة آل بيت المصطفى يدعون إلى وحدة المسلمين بصرف النظر عن انتماءاتهم المذهبية، وتأسيساً على ما تقدم يمكننا أن نتفق أولاً على أن الناصبي هو من أمعن في الإساءة إلى النبي الكريم ٨، وأساء عامداً متعمداً إلى أركان ذلك البيت الشريف ،وما دمنا قد أثبتنا بالأدلة العقلية والنقلية براءة أبناء السنة والجماعة والشيعة العرب معاً من كل ما يسيء إلى آل بيت النبي المصطفى ٨ .. إذن فمن هو الذي يناصب آل ذلك البيت الشريف العداء ؟ ومن هم الذين يقفون وراء المؤسسات التي تستهدفهم بمناسبة وبأخرى وبوسائل عديدة، فكان المكر أكثرها استعمالاً كما سنرى من خلال البحث الذي أوصلنا إلى الطائفة التي كانت أكثر انتفاعاً في استهداف آل بيت النبي العربي محمد ٨؟

لربما أُكِره أحفاد يزدجرد في عام ١٦هـــ على قبول الإسـلام فرءوا أن يقاتلوا العرب بسيف الإسلام وعلى قاعدة ـــ وداوني بالتي كانت هي الداءُ ـــ ثم يجهزوا على الإسلام مرة واحدة خاصة بعد أن أوهموا المسلمين ـــ ظاهراً ـــ بأنهم من أتباع آل بيت النبي الهادي ^ لأنهم الكتلة الأقوى في معادلة الصراع (الّذي افتعلوه) وذلك تحقيقاً لنبوءة زرادشـــت وقد كانوا يقولون عنه منذ القدم بأنه تنَّبأ لهم فقال : إن الملك يزول من الفرس إلى الروم واليونان في أيام الإســـكندر ثم يعود للفرس ثم يزول عنهم إلى العرب ثم يعود إلى الفرس. وقد أيَّدَهُ المنجم الفارسي جاماسب في ذلك، أما هم ـــ أي الفرس ـــ فقد قالوا : لقد تحققت نبوءة زرادشت وجاماسب في زوال الملك عن العجم إلى الروم واليونان في أيام الإسكندر ثم يعود إلى العجم بعد ثلاثمائة ثم زواله إلى العرب والآن سيعود إلى العجم وتكون عودته على عهد وبيد الصبي الغائب المنتظر الموعود أو بيد الرسول الذي سيبعث في العجم وينزل عليه كتاب من السماء وينسخ بشرعة شريعة محمد ^. (وهذا ما جاء على ذكره عبدالقاهر البغدادي في كتابه الفرقُ بين الفرَق، وصـــرح به المجلســـي في الصفحتين ٢٠٣-٢٠٤ من كتاب حق اليقين). وأرجو ألاّ يتصور أحدٌ أنّ الصفويين يقصدون بهذا (المهدي الذي ينتظره شيعة العرب وسنتهم) إنما هم ينتظرون مهدي العقيدة المجوسية الذي قالوا عنه :- إنه حي لم يمُت وهو من ولد بشتاسف بن مهراسف والذي يدعى أبشاوثن الذي اختفى وغاب في حصن عظيم بين خراسان والصين – على حد زعمهم – فوضع أتباع إسماعيل الصفوي المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية لتحقيق ذلك عشرات الألغام في الطريق التي توصل الشيعة العرب بإخوانهم أبناء السنة والجماعة.

والحق يقال : لقد نجح الفريقان-من أبناء السُنّة والجماعة والشيعة العرب- في تجاوز تلك الألغام إلا لغماً واحداً كانت حشـــوته فِريتين، أولاهما مظلومية الزهراء وثانيهما حق علي في الخلافة، وعندما انفجر ذلك اللغم أصابت بعض شظاياه عدداً غير قليل من أبناء الطائفتين الشيعة والسنة على حدٍ سواء ، فحدث ما حدث ـــ بسبب جهل الجاهلين ـــ ونشأت طائفة ثالثة تعزر آل البيت وتوقرهم في العلن لإيهام عوام الشيعة العرب بأنهم من أتباع ذلك البيت الشريف، وتزدريهم عن عمد وترميهم بما ليس فيهم بالسر، وسأكشف للقارئ الكريم عن عشرات الوثائق الصفوية التي تؤكد صحة ما سأذهب إليه، ويمكنني أن أوجز إساءات بعض فقهاء الطائفة إلى النبي الأكرم محمد ^ وتطاولهم على عميد آل بيت النبي علي بن أبي طالب ﵇ وزوجه وأولاده وأحفاده فيما بعد :

١- قال حجة الطائفة الإمام الغروي : إن النبي لابد أن يدخل فرجه النار لأنه وطيء بعض المشـــركات (أورد ذلك السيد حسين الموسوي في كتابه كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار).

٢- وفي الصفحة ٧٨ من الجزء ٤٣ من كتاب بحار الأنوار قال شيخ الطائفة المجلسي : إن الرسول محمدًا ^ كان يضع وجهه بين ثدي فاطمة وينام. (كما أورده محمدبن شهر آشوب المزنداني صاحب كتاب مناقب آل طالب ١١٤/٣).

٣- ومما جاء في كتاب عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق وتحديداً في الصفحة ١١٣ ، أن الرسول محمدًا ^ قد قصد دار زيد بن الحارثة في أمر فرأى امرأته تغتسل، فقال لها : سبحان الذي خلقك.

٤- ادّعى البحراني صاحب البرهان في تفسير القرآن أنَّ علياًَ قد جاء فقعد بين رسول الله ^ وبين السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت له وهي غاضبة : ما وجدّت لأستِك (أي لدبرك) موضعاً غير حجري ؟

تعليق : وهم بهذا يصورون للناس أن بيت رسول الله ما كان إلا وكراً (للـ..) حاشا ذلك البيت الشريف ، إذ كيف يحدث ذلك على مرأى ومسمع الرسول الأعظم ٨ ؟!!

٥- قال (الإمام) الخميني في الخطبة التي ألقاها بمناسبة مولد الإمام المهدي في الخامس عشر من شعبان سنة ١٤٠٠هـ : لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة، لكنهم لم ينجحوا ،حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية، لم ينجح في ذلك، وأن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر.

لكن الله تعالى يقول : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف : ٥٤].

وقال أيضاً : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف : ١].

٦- نسب القمي في كتابه فقيه من لا يحضره الفقيه حديثاً لرسول الله ٨ يوصي خلاله علياً بالكيفية التي ينكح بها زوجه الزهراء عليها السلام جاء فيه : لا تتكلم عند الجُماع ،فإنه إذا قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس، ولا ينظر أحد إلى فرج امرأته، ليغمض ببصره عند الجماع فإن النظر إلى الفرج يورث العمى في الولد. (٣٥٩/٣٠٠ فقيه من لا يحضره الفقيه).

٧- جاء في علل الشرائع (١٢٤/٢-١٢٦) للصدوق أن النبي كان يقرأ ويكتب، وقال المجلسي في (١٣٢/١٦) من كتاب بحار الأنوار : إنه كان يقرأ ولا يكتب.

تعليق : لا أعتقد أن أحداً من المسلمين يقول ما قاله عميد الطائفة الصفوية (الصدوق) فهو بقوله هذا يكون قد وضع ألف شبهةٍ وشبهة على الدين كلّه، فقد قال الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة : ٢].

٨- ادّعوا أن النبي ٨ إذا أراد تزويج امرأة بعث من ينظر إليها ويقول لمبعوثته : شمّي ليّتها فإن طاب ليتها طاب عرقها وانظري كعبها فإن درم كعبها عظم كعبثها (أي ظهر حجم فرجها). (رواه الكليني في ٣٣٥/٥ من كتاب الكافي).

٩- وادّعى الكليني في (٢٣/٦) من كتابه الكافي إن الإمام الحسن عليه السلام قال : قال رسول الله ٨ أطعموا أحباكم اللبان فإن ولدت عظمت عجيزتها -أي كبر حجم دبرها- فتحضى عند زوجها.

١٠- وعن أبي عبد الله قال ــ حسب زعمهم ــ : أتى النبي رجلٌ فقال : يا رسول الله إني أحمل أعظم ما يحمل الرجال فهل يصلح أن آتي بعض مالي من البهائم ناقة أو حماراً فإن النساء لا يقوين على ما عندي؟ فقال رسول الله ٨ : إن الله تبارك وتعالى لم يخلقك حتى خلق لك ما يحتملك من شكلك فانصرف الرجل، ولم يلبث أن عاد إلى رسول الله فقال مثلما قال في أوّل مرّة، فقال له الرسول ٨ : فأين أنت من السوداء العنطظة؟ (يقصد طويلة العنق من حسن القوام)، قال : فانصرف الرجل ولم يلبث أن عاد فقال : يا رسول الله أشهد أنك رسول الله حقاً إني طلبت ما أمرتني به فوقعت على شكلي مما يحتملني وقد أقنعني ذلك. (ورد في ٣٣٦/٥ من الكافي للكليني).

١١- نسب الكليني في الصفحة ٢٣٧ من كتابه الكافي للإمام علي عليه السلام إنه قال : إن عفيراً حمار الرسول ٨ كلَّمَ الرسولَ ٨ وقال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن أبي حدثني عن أبيه عن جدّه عن أبيه إنه كان مع نبي الله نوح في السفينة فمسح نوح على ظهره وقال لعفير : يخرج من صلب هذا الحمار حمارٌ يركبه سيد النبيين والحمدُ لله الذي جعلني ذلك الحمار. (وكما ورد في ١٨٤/١ من المصدرنفسه).

١٢- عمدت المؤسسات الفنية الصفوية إنتاج المسلسل التلفزيوني الخاص بسيدنا يوسف عليه السلام لتقدم إلى المؤسسات الفنيه الأوربية والصهيونية مبررا لتمثيل شخصية النبي محمد ^ وبالكيفية التي تريدها تلك المؤسسات الغربية، ويومها سوف لن يجد المسلمون لهم حُجّةً عليها .

ولم تكتف بعض مرجعيات الطائفة بالاعتداء على كل الرموز السامية التي عضّت على الإسلام بالنواجذ فحفظته من كل سوء وحمته من كل غائلة وذهبت أبعد من ذلك فتفننت في الإساءة إلى الذات الإلهية وأمعنت في الانتقاص من قدر الله تعالى وبالكيفيات التالية:

١- اعتقدوا أن الرب هو الإمام واستغاثوا في الدفاع عن هذا الاعتقاد بقول نسبوه زوراً وبهتاناً إلى الإمام علي عليه السلام فقد جاء في أخبار الشيعة (نقلاً عن العياش في تفسيره والنعماني في مرآة الأنوار ص٥٦) : إن الإمام عليًا عليه السلام قد قال : أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به.

وتعليقاً على ذلك : نورد نصّ ما قاله الإمام علي في كتاب نهج البلاغة المنسوب إليه والذي يعتبره علماء الطائفة من المصادر (المعتبرة عندهم) : **اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني وخالفه قلبي واغفر لي رمزات الألحاظ وسقطات الألفاظ وشهوات** الجنان وهفوات اللسان، ليدحض افتراءات العياش والنعماني وغيرهما ويكشف أكاذيبهم، وسنتوسع في شرح هذه العقيدة وغيرها في فصل آخر من فصول هذا الكتاب.

٢- وفي الصفحة ١٠٩ من الجزء الأول من كتاب كشف الغمّةللأردبيلي ادّعى علماء الطائفة ونقباؤوهم أن الرسول الأعظم محمدًا ^ قد سئل ذات مرة -بعد رحلة الإسراء والمعراج- : بأي لغة خاطبك ربك ؟ فقال : خاطبني بلغة علي بن أبي طالب، حتى قلت : أنت خاطبتني يا رب أم علي؟

وتعليقاً على ذلك يمكننا القول : ليس على علماء هذه الطائفة في الذي ذهبوا إليه من عتب فقد قالوا قبلها ما هو أكثر من ذلك عندما ادّعوا أنه لا يصل لمكانة الإمام ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإن للإمام ما ليس لسواه من النبيين وأعطوا لمعجزاته ما لم يكن لغير الله تعالى، وقد فات فقهاء الطائفة الصفوية أن الرسول الأمين محمدًا ^ لم يتسن له رؤية الله تعالى جهراً ولم يجرؤ صلوات الله وسلامه عليه على وصفه فهو- أي النبي - لم يُبلغ ما لم يبلُغهُ سواه من الأنبياء والرسل فيرى الله الذي تفنن الصفويون في وصفه كما سنرى في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٣- جاء في الصفحة ٤٠٤ من الجزء الثاني من كتاب البرهان لصاحبه البحراني - أحد أبرز علماء الطائفة - إنَّ رسول الله ^ قد قال : لمّا عُرج بي إلى السماء، دنوت من ربي حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى فقال - أي الله - : يا محمد ما تحب من الخلق ؟ قلت : يا رب علياً، فقال تعالى : التفت يا محمد، فالتفتُ عن يساري فإذا بعلي بن أبي طالب.

فإليك عزيز القارئ أنْ تقول ما تشاء بمن تشاء فهؤلاء هم وتلك هي مروياتهم وهذا أنت والكلمة الفصل لك وحدك.

المبحث السابع إساءات المؤسسة الصفوية
لآل بيت النبي

أما إساءاتهم للإمام علي عليه السلام ولزوجه البتول وأولاده وأحفاده من بعده فيمكن أن نلخّصها بما يأتي :

١- روى فقيه الطائفة الطبرسـي في كتابه الاحتجاج أن الخليفة عمر بن الخطاب ومن معه اقتادوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحبل في عنقه وهم يجرونه جرًّا حتى انتهوا به إلى أبي بكر.

٢- ادّعوا أن عبد الرحمن بن ملجم الذي تولى قتل الإمام علي عليه السلام قد اجتهد فأخطأ في قتل علي فهو مأجور أجراً واحداً على جريمته. (وهذا ما أورده المجلسي في بحار الأنوار الجزء العاشر/ص٤٨٤).

٣- وتجرّأ المجلسي وهو من ألمع الفقهاء عند الطائفة في كتابه بحار الأنوار (٣٠٣/٤) على الإمام علي عليه السلام في أكثر من موضـع فوصـفه تارة بالرجل النزق، وقال : إنهُ نظر ذات مرة بين فخذي امرأة كانت قد تعلقت برجل من الأنصـار .. ونَعَتَهُ في موضـع آخر من المصـدرِ نفسـه (٢٩٣/٤١) بالبذيء الذي لا يجد حرجاً في التطاول على نسـاء المسـلمين بكلمات يترفع عنها حتى سـوقة الناس (حاشـاه) ... (ونحن نمتنع حياءً من أن نأتي على تلك الكلمات بالذكر).

٤- كما أساؤوا إلى الإمام علي بن أبي طالب وزوجه البتول عليهما السلام معاً وفي أكثر من موضع فقد جاء في الاحتجاج لحجّة الطائفة الطبرسـي أن السيدة فاطمة الزهراء البتول قد قالت لزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام موبخةً لهُ: يا بن أبي طالب ما اشتملت شيمة الجنين وقعدت حجرة الضنين.

٥- أما كبير الطائفة الصـفوية «الكليني» فيقول في الفروع من كتابه الكافي : إن السـيدة فاطمة عليها السـلام ما كانت راضـية بزواجها من علي عليه السلام : إذ دخل عليها أبوها ^ وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك فوالله لو كان في أهلي خيرٌ منه ما زوجتكه؟.

وتعليقاً نقول : أليس في ذلك إهانة واضحة إلى كل آل بيت النبي المصطفى ^ ، وحطّاً من قدرهم جميعاً ولكن من خلال الإساءة إلى الذي هو أعلاهم كعباً إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام .. فمن هم النواصب يا ترى ؟؟

٦- وقال القمّي ــ وهو أحد أعلام الطائفة الصفوية ــ في الصفحة ٣٣٦ من الجزء الثاني من تفسيره إن السـيدة الزهراء عليها السـلام كانت قد قالت في علي بن أبي طالب عليه السلام : إن نسـاء قريش تحدثني عنه أنه رجلٌ دحداح البطن طويل الذراعين ضـخم الكراديس عظيم العينين لمنكبه مشـاشـاً كمشـاش البعير ضـاحك السن لا مال له.

٧- وادّعوا أن الإمام علي عليه السلام لم يقض ما أمره الله به لذلك فإن الرجعة التي يعتقدون بها سـتبدأ به – وتلك فرصـته كما يزعمون – في قضـاء ما كان قد تخلى عن ادائه من أوامر الله تعالى (وهذا ما قاله جابر الجعفي أحد أشهر رواتُهم وأوردهُ صاحب عقيدة الرجعة عند الشيعة الاثنى عشرية).

وتعليقاً نقول : يا ترى من هم النواصب؟ الصفويون الذين قال علماؤهم في علي وفاطمة عليهما السلام ما جئنا على ذكره أم أهل السنة والجماعة الذين صادقت مراجعهم على صحة حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الرياض النظرة ونور الأبصـار وغيرهما من المصـادر والذي قال فيه : إن رسـول الله ^ قد قال : من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه ونوح في حكمه ويوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب ؟؟.

٨- جاء في الصفحة ١٦٤ من الجزء الأول من تفسير القمّي قوله: حدثني أبي عن النظر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال في تفسير قول الله تعالى : ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: إن هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين عليه السلام فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام وما وفقها رسول الله ^، وقد قال بذلك البحراني صاحب تفسير البرهان وأوجزه بقوله : ... ما علي عليه السلام في الله وفي قدرته إلا كالبعوضة في هذه المسالك الواسعة.

٩- وينقل المجلسي في بحار الأنوار بسند يقول إنه معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام إنه قال : انتهى رسول الله ^ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد وقد جمع رملاً ووضع رأسه عليه فحرّكهُ برجليه ثم قال : قم يا دابة الأرض.

١٠- وقال(الإمام)الخميني في خطاب له في عيد الغدير عام ١٩٨٧ : إن الإمام عليًا عليه السلام قد أخطأ في قبوله التحكيم في صفين ، وإن الإمام الحسن قد أخطأ هو الآخر حينما عقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان.

١١- وفي إساءة متعمدة منهم للإمام علي عليه السلام وزوجه الزهراء عليها السلام على حد سواء، أورد كبير علماء الطائفة ـــ الصدوق ـــ في الصفحة ٤٧٠ من كتابه الأمالي : أن الإمام عليًا قد أنفق ذات مرة أموال مزرعة باعها حتى لم يبق لديه درهم واحد، فاحتجت فاطمة الزهراء البتول عليها السلام على ذلك وأمسكت بثوبه وضربته على يده، فنزل جبريل عليه السلام وأخبر النبي فذهب إليها وقال لها : ليس لك أن تمسكي بثيابه وتضربي على يده، فقالت : إني أستغفر الله لا أعود أبداً.

١٢- بعد أن صادق الصفويون على حديث الرسول المصطفى ^ : من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه ونوح في حكمه ويوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب.، أغرقوا الأسواق بملايين الصور التي أوهموا بسطاء الناس أنها للإمام علي عليه السلام بعد أن جردوها من أي ملمح يرقى بها إلى جمال يوسف عليه السلام ـــ كما ورد في الحديث النبوي الذي كان قد رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه- في وقت لم تجز فيه مرجعية الأزهر الشريف للمؤسسات الفنية تمثيل أدوارٍ لرموز آل بيت النبي عليهم السلام إجلالاً لهُم «فمن هو الناصبي إذن؟».

١٣- أما تسميتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام بوليد الكعبة فتنطوي عن إساءة متعمدة له ولأمه فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) والتي كانت قد استغاثت يومها بأصنام الكعبة «على حد اعتقادها آنذاك » لتسهيل عملية ولادته عليه السلام.

وأخيراً وليس آخراً .... لا أدري لماذا يحلو لنقباء الطائفة الصفوية أن يطلقوا اسم حيدر (أي المنخفض أو المنحدر) على الإمام علي عليه السلام بعد أن أسماه الرسول محمد ^ عليا (أي المرتفع) رافضا تسمية أمه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها له باسم حيدر؟

ولم يسلم من أذاهم حتى سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله ^ الحسن والحسين عليهما السلام فقد شنَّ شيخ الشيعة الملقب بالمفيد باسم أهل الكوفة هجوماً على الإمام الحسن عليه السلام وفق ما جاء في الصفحة ١٩٠ من كتابه الإرشاد وعنَّفوهُ في الصفحة ١٣٠ من كتاب رجال الكشي .. ولم يتحرجوا من وصفه مُذل المسلمين أو عار المسلمين .. إلخ (ونعود هنا ونمتنعُ عن ذكر ما قالوه في الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من الكلمات البذيئة حياءً وورعاً).

أما ما قالوه في أولاده وأحفاده من بعده، فقد ادّعوا أن الإمام الصـادق قد رمى أبناء الحسـن وأحفاده في الكذب إذا ما هم ادّعوا امتلاك سـلاح رسـول الله وخاتمه ودرعه ولوائه ..، ونسـبوا إليه كلاماً قاله في ابن عمه محمد بن عبد الله بن الحسـن (ذي النفس الزكية) جاء فيه : والله قد كذب .. فوالله ما عنده ما رءاه بواحدةٍ من عينيه قط ولا رءآه عن أبيه إلا أن يكون قد رءاه عند علي بن الحسـين (أورده الصـفار في بصـائر الدرجات، ص١٧٤) لكن الأصـفهاني في مقاتل الطالبيين يوردُ كلاماً آخر يتقاطع به مع كل ما ذهب إليه زميله في الزعم الصفار وسواه من علماء الشلّة الصفوية فيقول : إن الصادق سمح لابنيه موسى وعبد الله بالانضمام إلى ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (ذي النفس الزكية) في المدينة.

ولو عُدْنا إلى بصـائر درجات الصـفار ثانية لقرأنا كلاماً آخر وشـتيمة أخرى يلقي بها على أحفاد الإمام الحسـن عليه السلام فقد نسـب الصـفار للإمام الصـادق عليه السلام (زوراً وبهتاناً) قولاً يتهم فيه أبناء عمومته من أحفاد الإمام الحسن بالكذب جاء فيه : أنهم ـــ أي أحفاد الحسن ـــ لا يقولون الحق والحق فيه ـــ أي في الجفر ـ فليخرجوا قضـايا علي وفرائضـه إن كانوا صـادقين، وسلوهم عن الخالات والعمّات وليخرجوا (مصـحف فاطمة) فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله ^.

أما ما قالوه في الإمام الحسـين بن علي بن أبي طالب عليهما السـلام، فقد حمل الكثير من الإسـاءات له ولجده المصـطفى صلاة الله وسـلامه عليه ولأمه فاطمة الزهراء البتول .. فقد قال الكليني في الأصـول من الكافي: إن جبرائيل نزل على محمد ^ وقال له : يا محمد إن الله يبشـرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتك من بعدك فقال : يا جبرائيل عليك وعلى ربي السـلام لا حاجة لي بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي، فعرج ثم هبط فقال مثل ذلك فأجابه الرسـول بمثل ما أجابه .. ثم عرج جبرائيل إلى السـماء ثم هبط فقال : يا محمد إن ربك يقرؤك السـلام ويبشـرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصـية فقال : إني رضـيت ثم أرسـل إلى فاطمة يبشـرها بمولود يولد لها تقتله أمته من بعده فأرسـلت إليه أن لا حاجة لها في مولود تقتله أمته من بعده .. وأرسل إليها أن الله عز وجل جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية فأرسلت إليه إني رضيت فَحَمَلَتْهُ ووضعته كرهاً، ولم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أنثى (على حد زعمهم).

ومن بين ما أساؤوا به إلى الإمام الحسين عليه السلام إصرارهم في أمهات كتبهم على إعطاء الكوفة وأهلها ـ الذين كان لهم دور بارز في استباحة دم الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار ـــ شهادة حسن السلوك وصك البراءة من دماء العترة المطهرة فقالوا في أرض الكوفة وفي أرض كربلاء ما لم يقولوا في الكعبة المكرمة.

أما في اعتداءاتهم على الإمام زين العابدين علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالب عليهم السـلام فقد كانت لإمام الطائفة الصـفوية الكُليني في ٨-٢٣٥ من أصـول الكافي رواية أخرى جاء فيها : أن يزيد بن معاوية قال لزين العابدين علي بن الحسـين أن يكون عبداً له فرضـي عليه السلام ويدَّعون أن الإمام زين العابدين قد قال لابن معاوية : أقررت لك بما سألت أنا عبد مكره فإن شئت فأمسك، وإن شئت فبع.

ولقد نال الإمام الصـادق الكثير من أذى فقهاء الشـيعة فقد نسـبوا إليه أقبح ما قالوا ، فقد ورد عن زرارة بن أعين إنه قال : سـألت أبا عبد الله ـــ ويقصـد الإمام الصـادق ـــ عن التشـهد. فقال كمثله قال (التحيات والصلوات) فلما خرجت ضرطت في لحيته وقلت: لا يفلح أبداً (أورده الكشي في رجاله، ص١٤٢).

وقال الكليني في الصفحة ٣٢٢ من الجزء الخامس من كتابه الكافي عن عقبة بن خالد : أتيت أبا عبد الله فخرج لي ثم قال : يا عقبة شغلنا عنك هؤلاء النساء.

وفي الصفحة ٣٧٢ من الجزء السادس من المصدر نفسه، عن أبي عبد الله إنه قال : أكلُ الجزر يسخن الكليتين ويقيم الذكر وفي رواية أخرى عن أبي الحسن عليه السلام إنّه قال : وينصب الذكر.

وقال زرارة كما جاء في رجال الكشـــي ص١٢٣ : والله لو حدثت بكل ما ســـمعته عن أبي عبد الله لانتفخت ذكور الرجال على الخشب.

وقد كتبوا في شرح هذا الحديث أن هذا الشيخ ــ ويقصدون الصادق عليه السلام ــ لا عقل له ولا يحسن الكلام مع الخصم.

وقال ثقتهم الكُليني في الكافي : حدثني هشـام بن الحكم وحمَّاد عن زرارة إنه قال : قلتُ في نفســي (عن الإمام الصادق) : شيخٌ لا علم له بالخصومة.

وقالوا في ولده الإمام موسى بن جعفر : أظن صاحبنا ما تكامل عقله (ورد ذلك في الرجال للكشي) كما أنهم أوهموا مشـايعيهم المسـاكين إنَّ الإمام الصـادق عليه السلام قد قال في زواج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام من عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن ذلك فرجٌ غُصبناه .. (فروع الكافي ١٤١/٢للكليني).

كما أورد الكُليني في كتابه الكافي أن الإمام موســى بن جعفر عليهما الســلام قد قال : إن الله عز وجل غضـب على الشيعة فخيّريني نفسي أوْ هُم فوقيتهم والله بنفسي.

تعليق : وهذا يعني أن الله تعالى غير راضٍ عن الإمام موسى بن جعفر في الحياة الدنيا وهو غير راضٍ عنه في الآخرة(لا سمح الله) !!!

كما أجازوا التمتع حتى بالهاشــميات (أي ســليلات بيت النبوة) .. وقد روى ذلك الطوســـي في التهذيب (١٩٣/٢).

كما أنهم طعنوا في عرض الإمام الرضـــا عليه السلام واتهموا زوجه بالخيانة عندما شـــككّوا في كون محمد القانع عليه السلام ابن الرضا عليه السلام، وقالوا إنه ـــ أي الرضا ـــ كان يعشق بنت عم الخليفة العباسي المأمون وهي تعشقه (وهذا ما ذكره الصدوق صاحب كتاب عيون أخبار الرضا، ص١٥٣).

وفي أصـول الكافي الجزء الأول صـفحة ٥٠٤ قال الكليني في جعفر العسـكري- شـقيق الإمام الحسـن العسـكري- : هو معلنٌ للفسـق فاجرٌ ماجنٌ شـريبُ خمر، أقلّ ما رأيتهم من الرجال وأهتكهم لنفسـه، خفيف قليل في نفسه ،.. وقد وصفه غيره بالكذاب في موضع آخر.

أما في الإمام الحادي عشر الحسن العسكري فقد جاء في المقالات والفرق للأشعري صفحة ١١ وفرق الشيعة لشيخهم النوبختي صفحة ١١٤ ما يسيء إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام صراحة فقد قالا فيه : إن القول بإمامة الحســـن كان غلطاً وخطأ وجب علينا الرجوع عنه إلى الإمام جعفر (أخيه)، وإن الحســـن قد توفي ولا عقب له فقد صـــح عندنا أنه ادّعى باطلاً لأن الإمام بإجماعنا جميعاً لا يموت إلا عن خلف ظاهر ومعروف يوصى إليه ويقيمه مقامه بالإمامة.

أما الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) فقد زعموا أنه ولد عام ٢٥٥هـ واختفى في سرداب ســرَّ من رآى عام ٢٦٥هـــــ وقد لقبوه بالمهدي المنتظر أو القائم، وادّعوا أنهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان ليُخرج الصـــحابة من قبورهم فيعذبهم ويقتل العرب وقريش ، ويهدم الكعبة والمســـجد النبوي وكل المسـاجد ، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضـاء جديد، ويسـتفتح الدنيا بتابوت داود ، وتنبع له عينان من ماءٍ ولبنٍ ويصـــير الرجل من الشـــيعة في زمنه بقوة أربعين رجلاً ويمد لهم في أســماعهم وأبصـــارهم ويحكم بحكم داود ، وهذا ما جاء في (الغيبة للطوسي ، بحار الأنوار للمجلسي ، الرجعة للإحسائي وغيرها في كتب الطائفة المعتبرة عندهم).

والغريب في الأمر أن العديد من المصادر الصفوية وعلى حد قول العلماء الذين يسمونهم أجلاّء قد قالت بعدم صحة ولاية المهدي أصلاً فالحسن العسكري عليه السلام الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحداً فَقُسِّمَ ميراثه على أمه وأخيه جعفر (أرجو قراءة ما جاء في أصول الكافي للكليني ١/٥٠٥ وهو من الكتب المتميزة لديهم) .. فتأمل عزيزي القارئ ، وتحرى تلك الدعوات التي يلتقون بها مع أتباع ديانات أخرى.

والمهدي عند أهل السنة والجماعة هو الذي يوافق اسمه واسم أبيه اسم الرسول واسم أبيه فهو محمد بن عبد الله وهو من أبناء الحسن عليه السلام.

ولربما لم يسمع بعدُ بعض علماء الطائفة ورجالاتها من الله تعالى ما قاله في زوجات الرسول : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[الأحزاب : ٦] فأفرطوا في الإساءة إلى زوجات النبي الأكرم صلاة الله وسلامه عليه.

ولقد طال أذى بعض فقهاء الطائفة حتى العباس عم الرسول المصطفى ^ فقد روى الكشي في الصفحة ٥٤ من رجاله أن قول الله تعالى : ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴾ قد نزل في العباس عم الرسول، ومما رواه الكشي في الصفحتين ٥٢، ٥٣ من نفس المصدر أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد دعا على ولدي عمِّه عبد الله بن عباس وأخيه عبيد الله وقال : اللهم العن ابني فلان ـــ يعني عبد الله وعبيد الله ـــ واعم أبصارهما كما عميت قلبيهما، الرجلين في رقبتي واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى (قلبيهما).

أما شقيق الإمام علي (عقيل بن أبي طالب) فقد قالوا عنه : إنه ذليل وحديثُ عهدٍ بالإسلام ، وقد ورد ذلك في الرجال للكشيّ.



المبحث الثامن العداء الفارسي للعرب

إن الفرس لا يجيدون شـــيئاً قدر إجادتهم تأجيج الحقد الكامن في جوف مشـــاعرهم ، والذي يرقى لأن يكون مرضاً سريرياً يستلزم العلاج وربما نحن غير قادرين على أن نحيط بحيثيات هذا المرض.

لقد كان الرســـول العربي محمد ^ قد تألم لمنظر رجلٍ تأمله غريباً عن ديار العرب لم يكن في ســـن الشباب يكد في عمل مرهق ، فعطف عليه واشتراه من صاحبه، فعمل حلاقاً للرسول المصطفى ^ وصار صـاحباً له، كان ذلك الرجل هو سلمان الفارسـي الذي كان مجوسياً على دين الفرس، غادر البلاد وصـار على دين المســيحية ثم وقع في العبودية وقذفت به رياح الرحمة إلى بلاد العرب وقيَّضَ الله لهُ أن يكون لقاؤه مع الرســـول الأمين في المدينة المنورة لينال حريته وليصـــبح صـــاحب الرســـول وينال الاحترام والتقدير؛ ليقول الرسول الأكرم فيه : سلمان منّا آل البيت، فعاش سلمان مكرماً في حياة الرسول ومعززاً بعد وفاته، ودفن يومها في مرقد لا يناله سوى الأولياء والصالحين في العراق.

لقد أدرك الفرس أن هذا النور الذي بزغ من شـــبه الجزيرة العربية وهو نور غالب ومنتصـــر ومزيل لملك لا يدين بدين الله ،ثم أنهم تيقّنوا منه عندما بدأ يرسـل سـفراءه في السـنة السـادسـة للهجرة إلى ملوك وحكام شـــبه الجزيرة والمنطقة المحيطة بها ، ومنهم هرقل عظيم الروم والمقوقس حاكم مصـــر وقيصـــر روما والنجاشي ملك أثيوبيا وإلى كسرى ملك الفرس الذي كان قد أهان ذلك السفير ـــ على خلاف ما فعله ملك الروم ونجاشي الحبشي والمقوقس وكيل قيصر روما في مصر ـــ ووضعه في السجن وأمرَ عامله في اليمن ـــ وقد كانت يومها تحت الاحتلال الفارسـي- أن يتقدم ويقاتل المسـلمين، ولكن وفاة كسـرى كانت المفاجأة التي ألغت هذه الإجراءات، وعندما تقدم ســـعد بن أبي وقاص قائد جيش المســـلمين لفتح وتحرير العراق كان عرب العراق قد انتفضوا مؤيدين لجيش المسلمين وقاتلوا في صفوفه.

أما قبيل معركة القادسـية فتقول مصـادر التاريخ إن القائد العربي سـعد بن أبي وقاص الذي كان قد قاتل إلى جانب الرسول العربي في أكثر من موقعة رامياً باهراً وملتزماً بأوامر الرسول الكريم محمد ^ ، فكتب إلى رسـتم يعرض عليه الإسـلام أو الصـلح بقوله : إسـلامكم أحب إلينا من غنائمكم وقتالكم أحب إلينا من صلحكم.

فيجيب رستم على هذا الخطاب المهذب قائلاً : أنتم كالذباب إذا نظر إلى العسل يقول : من يوصلني إليه بدرهمين، فإذا نشب فيه قال : من يخرجني منه بأربعة ؟وأنت طامع وطمعك سيردك، فيرد سعد بأسلوب لم يبتعد فيه عن الأدب : أنتم قوم تحادون الله وتعاندون أنفسـكم، لأنكم قد علمتم أن الله يريد أن يحول الملكَ عنكم لغيركم وقد أخبركم بذلك حكماؤكم وعلماؤكم وأنتم تدفعون دائماً القضـــاء بنحوركم، وتتلقون عقابه بصدوركم وهذه جرأة منكم وجهل فيكم، ولو نظرتم لأبصرتم ولو أبصرتم لسلمتم فإن الله غالب على أمره ، ولما كان الله معكم كانت علينا ريحكم والآن لما صـــار الله معنا صـــارت ريحنا عليكم، فانجوا بأنفســـكم واغتنموا أرواحكم وإلا فاصبروا لحر السلاح وألم الجراح وخزي الافتضـاح والسلام .. ثم جرت الأمور كما هو معروف ومؤرخ في وقائع القادسـية ونهاوند فالتهبت جذوة الحقد الفارسـي، فقذفت شـرارة سـوداء عـام ٢٣ هجريـة يوم امتدت يد أبي لؤلؤة الفيروزي لتغتال الخليفة الراشـــدي الثاني عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وكأنّ الفُرس كانوا يكرهون أن يبزغ فجر من شبه الجزيرة ويمتد شعاعه إلى كل أرجاء العالم، وكيف لرجل مثل الفيروزي أن يدرك ذلك أم أنه كان مندوب كسـرى المهزوم وشـظية من شـظايا الحقد الذي سوف لن يستطيع الفرس تبريرهُ؟ وسيكون تاريخهم بأسره انعكاساً لهذا الحقد الذي سيحكم كل شيء في حياتهم السياسية والأدبية والفنية والدينية .. الخ.

كان حكام الفرس ظالمين لشعبهم فاندلعت ما يشبه أحداث حرب أهلية قتل خلالها الملك يزدجرد وتهاوت الدولة فيما وجد نظراء الفرس الفرصـــة للتحرير والجلوس تحت خيمة الرحمة والعطف الإســلامي ، وهكذا بدت بلاد فارس أمام مستقبل جديد.

ولكن الأمر لم يستغرق طويلاً حتى ابتدأت غيوم سوداء تتجمع فوق سماء بلاد فارس فإذا هم وراء كل دعوة ســوء، أو تدعو للانشـــقاق تحت أي عنوان ومســـمى طالما تنطوي على إضـــعاف للعرب والإسلام .. وقد أحسن والي الدولة الأموية نصر ابن سيار وصف الفرس بقوله فيهم :

قومٌ يدينون ديناً ما ســـمعت به	**عن الرســـول ولا جاءت به الكتبُ**
فمن يكن ســائلاً عن أصــل دينهم	**فــإن ديـنـهـم أن تـقـتـل الـعربُ**

ورغم أن ابن ســيار لم يعرف عنه أنه شـــاعر مجيد إلا أنه إنســان عاش المرحلة بدقائقها كإداري ومسؤول ولكن بإحساس الشاعر المرهف فكتب تلك الأبيات، وكتب غيرها إلى الخليفة الأموي محذراً منهم وواصفاً لهم :

أرى خلـل الرمـاد وميض نـار	**ويوشـــك أن يكون لها ضـــرامُ**
فـإن الـنـار بـالـعودين تـذكـى	**وإن الــحــرب أولــهــا كــلام**
فـإن لـم يطفئـهـا عقلاءُ قومٍ	**يـكـون وقـودهـا جـثـثـا وهـامُ**
فقلت من التعجب ليت شـــعري	**أأيــقــاظَ أمــيــة أم نــيــامُ؟**
فـإن كـانـوا لـحـيـنـهـم نـيـامٌ	**فقـل قوموا فقـد حـان القيـام**

ولما أزفت ســاعة الأمويين أطلّ الفرسُ وكأنهم يطالبون العباســيين بدفع نفقات التحالف الذي قام بينهم وبين العباســيين، وقد أدرك العباســيون مواطن الخلل في الإمبراطورية وكانوا على اســتعداد أن يمنحوا الموالي وما يشاؤون من حريات ثقافية وسياسية ، وإبداء مزيد من التسامح للعادات والتقاليد الفارسية لكن الفرس كانوا يريدون دوراً أكبر، ولم يكن بوسعهم أن ينسوا آثار وتقاليد المجوسية بل أنهم لم ينسوها حتى اليوم إذ ماتزال معابد النار المجوسية تلتهب في حمى الجمهورية (الإسلامية) والمزدوكية والتقاليد الثقافية للزرادشــتية الحافلة بالشــرك، ســرعان ما ابتدأ أبو مســلم الخراســاني وكان قائداً بارزاً في قوات الثورة العباسـية المنتصــرة، يعمل في الظلام، وأحس الخليفة المنصــور بذلك فأراد إبعاده عن تلك اللعبة الخبيثة، فأرسله للحج علّه يرعوي فيرتدع ثم عاد فأكرمه.

وعوداً على بدء أكرم هارون الرشـــيد البرامكة إكراماً يفوق الوصـــف ، حتى أن أحد حكماء البرامكة (يحيى) شاهد مرة هارون الرشيد يدع جعفر البرمكي يصعد على ظهره ليتناول تفاحة من شجرة لم تطالها يده، فأوجس خيفة لأنه يعلم الطموح الذي لا حدود له عند البرامكة وهو واحد منهم فطلب من هارون الذي لم يكن يرد له طلباً أن يستثنيه من البرامكة خيرهم وشرهم ، فدهش هارون الرشيد لهذا الطلب فأجابه إياه، وكان يناديه يا عمّاه ، وبالفعل يوم حلّت نهاية البرامكة لم يتوار يحيى البرمكي عن الأنظار فلما حضر جند العباســـيين أظهر لهم عهد الأمان الذي كان قد حصـــل عليه من الخليفة ، فيحيى البرمكي أدرك أن هذا الطموح وهذه الثقة العباسية سيعقبها غضب شديد إن بان وظهر غدر وطمع البرامكة.

فحاول البرامكة الإساءة للرشيد بكل الوسائل ،فابتدعوا قصة أخته العباسة وزواجها المزعوم من جعفر البرمكي ، وأشاعوا عن الرشيد قصة المجون، وهو الذي كان يصلي مئة ركعة نوافل في كلّ ليلة، ويغزو عاماً ويحج عاماً وفي عهده وعلى يديه بلغت الدولة العربية الإسلامية أوج مجدها.

وإذا ضــربنا صــفحاً عن أفاعيل البويهيين فإن خيانة ابن العلقمي لا تُنســى وهو المؤتمن حافظ العهد، الوزير المشــارك في المســؤولية يخاطب المغول ســراً على طريقة أكثر الجواســيس انحطاطاً فيجلب أحد عبيده ويحلق له شعر رأسه ويكتب رسالة لهولاكو ثم يدع الشعر ينمو فيرسل الغلام في تلك المهمة ويقتل هولاكو الغلام، هكذا تبادل ابن العلقمي الرسائل وهكذا سلّم عاصمة الخلافة والإسلام، لكن خيانة الطوسي كانت أكثر مرارة فالرجل يدَّعي العلم ويجاهر دون ورع بخيانته للإســـلام ومع من ؟ مع المغول ..!!! مع وثنيين غزوا عاصمة الخلافة وحاضرة المسلمين، ترى هل كان ذلك ليشفي غليل الطوسي.؟!!

قال الله تعالى في الآية ٥١ من سورة المائدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ .

التاريخ يقول لنا إن بئر الحقد هذا لا قرار له والفرس يفقدون البصــر والبصــيرة إنْ تعلق الأمر بمعاداة الإسلام.

وفيما يلي سنأتي على العديد من الشواهد التي تؤكد ذلك الحقد الفارسي على كل ما هو عربي، فهذه المواقف لا حصر لها، ويتضح ذلك من خلال السوء الذي وصم به علماؤهم وفقهاؤهم العرب في أكثر من موضع رغم أنهم يعلمون جيداً أن العرب هم نواة الإسلام وأن النبي الذي يقولون : إنه نبيهم عربي بجدارة ، ونحن نعرف جيداً بواعث تحاملهم على كل ما هو عربي وسأفك طلاسمه في خاتمة هذا الفصل .. ولابد لنا الآن من أن نأتي على ذكر إساءاتهم لكل ما هو عربي - فقد جاء في أصول الكافي (٤٠٩/٢)للكليني ، أن أهل الشام شر من أهل الروم (يعني شر من النصارى) متناسين أحاديث الرسول المصطفى ^ في أهل الشام والتي قال فيها : «اللهم بارك في شامِنا اللهم بارك لنا في يمننا»، وقوله في أهل الشام أيضاً : «الشام أرض رباطٍ وجهادٍ وحسمٍ إلى يوم القيامة»، ومتجاهلين قول الله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء]، والمسجد الأقصى كما هو معروف جزء من أرض الشام.

وقالوا : إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرةً، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، متجاهلين قول الرســول المصــطفى ^ في مكة : «**والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليَّ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت**» وضــــاربين عرض الحائط بحديث الرســـول الكريم ^ في المدينة المنورة وأهلها «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**» وكان الخميني قد قال :- إن شعب إيران أفضل من شعب الحجاز.

ومن بين ما قالوه أيضــاً : إن أبناء مصــر لُعِنُوا على لســان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة والخنازير (وهذا ما أورده المجلســي في ٢٠٨/٦٠ من كتابه بحار الأنوار وصــادق عليه القمي في تفســيره) .. ومما قالوه في أهل مصــر أيضــاً : وما غضــب الله على بني إسـرائيل إلاّ وأدخلهم مصــر، ولا رضــي عنهم إلا وأخرجهم منها إلى غيرها (وجاء ذلك في تفســـير العياشـــي ٣٠٤/١ ووردت في ٤٥٦/١ من البرهان للبحراني)، كما قالوا في مصر وأهلها : بئس البلاد مصر .. بئس البلاد مصر ،أما إنها سجنُ من سخط الله عليه من بني إسرائيل (وورد في ذلك في تفسير العياشي ٣٠٥/١ والبرهان ٤٥٧/١ للبحراني) وأمعنوا في الإســاءة إلى أهل مصــر فقالوا : انتحوا مصــر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة (وقد صــرح بذلك المجلسي في ٢١١/٦٠ من كتابه بحر الأنوار) والرسول الهادي يقول : «أوصيكم بأهل مصر خيراً فإن

لي فيها نسباً وحسباً»، وقال في حديث آخر : «**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإن فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً**» ـــ أو قال : ذمةً وصهراً .. وقال الإمام علي عليه السلام عليه السلام مخاطباً أهل مصر عندما ولى مالك بن الأشتر عليهم : «وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم»، والإمام علي عليه السلام هو أول من سمى مصر بفردوس الدنيا. ومن الجدير بالذكر أنه عليه السلام قد أوصى مالك بن الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر قائلاً : «واشعر قلبك الرحمة لله والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم» .. وكان الله تعالى قبل كل هذا وذاك قد خصَّ مصر في كتابه العزيز بما لم يخص حاضرة سواها بعد مكة والمدينة المنورة .

ولا تحمل إساءات الصفويين لمصر وأهلها ألا تعبيراً عن حقدهم الدفين على أهل مصر بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين (والذين كانوا خير معين لليهود) على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي الذي طهَّر أرض الكنانة منهم، وليتك عزيزي القارئ قد قرأت ما جاء في صحيح مسلم (باب وصية النبي بأهل مصر) لتقف على ما قاله الرسول الأكرم ^ في مصر وأهلها وبشكل أوسع من كل ما ذهبنا إليه.

ولم ينته الصفويون عند هذا الحد فقد ذهبوا في الإساءة إلى العرب وأمصارهم أبعد من ذلك، فقد قال كبيرهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار (٣٣٣/٥) : اتق شر العرب فإن لهم خبر سوء ،أما إنه لم يخرج مع القائم منهم أحد. وقال المجلسي أيضاً في المصدر نفسه (٣٤٩/٥٢) : ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح.

وقال محمد الحلبي في فضائل الإمام علي إنّ الإمام الصادق قد قال : إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة .. (وقد وافقه في ذلك المجلسي في٦٠- ٢٠٦ من بحار الأنوار وعزاهُ إلى بصائر الدرجات للصفار ، وقالوا : إنَّ الإمام المنتظر سيقتل تسعة أعشار العرب حال ظهوره، وذلك ما يتنافى مع دوره الحقيقي في أن يملأ الأرض عدلاً وقسطاً.

وتأكيداً على صحة ما ذهبنا إليه وقلنا فيه بأن للصفويين مواقفهم المعادية للعرب نوردُ نصّ ما قاله المجلسي (رأس الطائفة) في بحار الأنوار (٤/٤١) حيث ادّعى أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قال في (جدِّ المجلسي) كسرى أنوشروان : إن الله قد خلّصه (أي كسرى) من النار وإن النار حُرّمت عليه .. ومازالوا يرددون ذلك متناسين قول رسول الله ^ فيه : «لقد مزّق كسرى عرشه» .. فحاش لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يقول خلاف ما قاله الرسول الأعظم محمد ^.

وهيهات هيهات لأحفاد كسرى أن يحققوا نبوءة زرادشت ويتوسعوا على حساب العرب ، فلا كسرى إذا هلك كسرى كما قال الرسول العربي الأمين محمد ^ . وقبل أن أطوي صفحات هذا الموضوع وأنتقل إلى موضوع آخر، أتمنى على بعض الشيعة العرب الذين مازالوا يعتقدون بمظلومية الزهراء عليها السلام ـــ والتي كنا قد أشرنا إليها في مبحثٍ سابق من هذا الكتاب ـــ أن ينتبهوا إلى خطورة هذه الفرية التي لا تنطوي إلا على إساءة متعمدة للعرب على وجه العموم ، ولعرب الجزيرة العربية وأهل المدينة على وجه الخصوص، فقد أراد بها علماء الطائفة الصفوية أن يقولوا لأتباعهم ولمن أغوته افتراءاتهم من الشيعة العرب أن ليس في عرب المدينة وما حولها صاحب مروءةٍ يمكنه أن يذب عن آل بيت النبي العربي محمد ^ ، ليمرروا بعدها على بسطاء الناس قولاً كانوا قد نسبوه للإمام الباقر عليه السلام زوراً وبهتاناً جاء فيه : كان الصحابة أهل سوء إلا ثلاثة: المقداد بن أسود وأبو ذر وسلمان، وإذا كان الكليني قد أورد ذلك في كتابه الكافي فلنقف على ما قاله الإمام علي عليه السلام في صحابته وصحابة رسول الله ^ من قبله وكيف يتحسر عليهم بقوله في نهج البلاغة : «**أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا. لا يُبشرون بالأحياء، ولا يعزّون عن الموتى ...**».(وهذا ما ورد في الصفحة ٢٢٥ من كتاب نهج البلاغة).

المبحث التاسع الدولة الصفوية

في أوائل القرن السادس الهجري فرض مؤسس الدولة الصفوية الشاه إسماعيل الصفوي التشيّع الاثنى عشري على الإيرانيين قسراً وجعله المذهب الرسمي لإيران وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدّق (وهذا ما جاء على ذكره الدكتور علي الوردي ــ وهو أحد أبناء الشيعة العرب ــ رحمه الله في كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ص٥٦)، وقد أشــاع إسـماعيل الصــفوي عن نفســه أنّهُ معصـوم وليس بينه وبين المهدي فاصـل وأنه لا يتحرك إلا بمقتضـى أوامر الأئمة الإثنى عشـر (وهذا ما جاء على ذكره كامل الشيبي في كتاب الفكر الشيعي والنزعات الصوفية) ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان تشيّع الإيرانيين وقد أمر بإعلان سبهم في الشوارع والأســواق وعلى المنابر وقد أنذر المعاندين والمخالفين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح ولقد آزر شيوخ الطائفة سلاطين الصـفويين في كل ما دعوا إليه، وقد فرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشـيوخ شـيخهم على الكركي صـاحب كتاب أصــول الشــيعة الإمامية ١٤٧٥/٣ الملقب بالمحقق الثاني الذي قربه الشــاه طهماســب ابن الشــاه إسـماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شـيوخ الدولة الصـفوية المجلسـي والذي شـارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال إن كتابه (حق اليقين) كان سبباً في تشييع سبعين ألفاً من أبناء الســنة والجماعة في إيران(نقلا عن عقيدة الشــيعة لدونلدســن ص ٣٠٢) ، وهذا دليل على أن الرفض في إيران لم يجد مكانـه إلا بـالقوة والإرهـاب وليس بـالفكر والإقنـاع وإذا كـان التـاريخ الحديث والحديث نسـبياً قد أشـار إلى تعاون الصـفويين مع البرتغاليين ثم الإنجليز ضـد المسـلمين وتشـجيعهم لبناء الكنائس ودخول المبشـرين والقسـس مع محاربتهم للسـنة العرب وأهلها (وقد جاء صـاحب كتاب أصـول الشـيعة الإمامية على ذكر ذلك) فإن ذاكرة التاريخ القديم تحتفظ بالعديد من الوثائق التي تؤكد أن الصـفويين في إيران قد اصطفوا مع الصليبين حينما تحالفوا مع الروم البيزنطة ضد جيوش المسلمين بقيادة السلطان محمد الفاتح متناسـين حديث الرسـول الهادي ^ : «لتفتحن القسـطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» .. والحمد لله الذي خيب آمالهم وآمال ثلاثين دولة تحالفت معهم فهُزموا شـــر هزيمة بعد أن قتل أميرهم (أوزون حسن أو حسن الطويل) الذي تربطه بإسماعيل شاه الصفوي أكثر من وشيجة قرابة وكان ذلك عام ١٤٥٣م فذهبت أحلامهم وأحلام من اصـطفوا معهم مهب الريح، فصـدق الله وعد رسـوله الأمين ^ وتم فتح القسطنطينية.

إن منهج آل البيت أسمى من أن يتبناه شـعوبي حاقد على العرب منذ سـقوط الأسـرة السـاسـانية وزوال مملكة فارس الذين أدخلوا مفاهيم اليهود والزرادشـت والميثراس في خلطة عجيبة نسـبوها لآل بيت النبوة، ولو كان الرسول الأعظم ^ قد رأى ما لم نره في أجلافهم من خير لما نهى المسلمين عن تسمية الصحابي الجليل (سـلمان) بكنيته المعروفة وكرمه بكنيته الجديدة فقال : «سـموه سـلمان المحمدي» .. لقد كانوا خلفاً لسـيدهم كورش الذي تحالف مع اليهود قبل ميلاد السـيد المسـيح عليه السلام بخمسـة قرون خلت حنقاً وحقداً على ملك بابل آنذاك (نبوخذ نصـر) تحقيقاً لغاياتهم في التوسـع على حسـاب العرب ومن خلال بوابتهم الشـرقية في العراق ،وليس أدل على ذلك من اقتطاعهم أجزاءً مهمة وكبيرة من أرض العراق ومنذ أول معاهدة لترسيم الحدود أوائل القرن السادس عشر الميلادي حيث اقتطعوا بموجبها أرضـاً تسـاوي مساحة العراق الحالية ،.. ومن ثم سـطوهم على الجزر الإماراتية الثلاثة (طنب الكبرى، طنب الصـغرى، أبو موســى) وادعاؤهم أن مملكـة البحرين ولايـة إيرانيـة ، وزعم وزير الثقـافـة الإيرانيـة الأســبق أن بغداد جزء من كسروان وكسروان إيرانية . إنهم يلتقون فيما فعلوه من إيقاع الفتن بين المسلمين مع ما فعله شاس بن قيس يوم أراد زرع الفتنة بين الأوس والخزرج، وكاد أن يحدث ما لا تحمد عقباه لولا رجاحة عقل الرســول الأكرم، ناهيك عن سـلسـلة من حلقات التعاون التي تمت بينهم وبين الصـهاينة في تل أبيب وليس أدل على ذلك من فضـيحة وترغيت أو ما يسمى بإيران كونترا خلال حرب السنوات الثماني التي شنتها إيران على العراق خلال عقد الثمانينيات من القرن الماضي .. وإنني أنصح القارئ العزيز الاستعانة بكتاب

(التحالفات) للباحث الإيراني تيري بارزي والذي يكشـــف فيه عن ١٣٠٠ لقاء ســـري جمع بين أرفع المسئولين الإيرانيين وقيادات إسرائيلية وأمريكية في عهد الجمهورية الإيرانية (الإسلامية) .. والتي أفضى بضـــعها إلى تعاون إيراني أمريكي في احتلال العراق أفصـــح عنه نائب الرئيس الإيراني (أبطحي) .. فما أشبه اليوم بالبارحة ؟

وإليك الآن عزيزي القارئ الكريم شيئاً من بعض ممارسات مؤسس الدولة الصفوية الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٧-٩٣٠هـــ) إبان قيام دولته في إيران اختصرتها عن بحث قيّم كتبه الأستاذ عبد العزيز بن صالح المحمود وفقه الله :

١-أمر الخطباء بسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة مع المبالغة في تقديس الأئمة الاثنى عشر.

٢- عانى أهل الســـنة في إيران معاناة هائلة في عهد إســـماعيل الصـــفوي، حيث أُجبروا على اعتناق المذهب الإمامي، بعد أن قتل الشاه إسماعيل مليون إنسان سني في بضع سنين[٢]، وكان يمتحن الإيرانيين السنة بطرق شتى، حيث كان يطلب من الفرد السني سب الخلفاء، ثم يطلب منه مزيداً من السب فإن وافق أطلق سراحه وإلا قطعت عنقه فوراً.

٣- أعلن سب الصحابة والخلفاء في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذراً كل المعاندين السُنة بقطع رقابهم[٣].

٤- أكثر القتل في الناس حتى قتل ملك (شروان) وأمر أن يوضع في قِدرٍ كبير ويطبخ وأمر بأكله ففعلوا (أي القزلباشية).

٥- كان لا يتوجّه لبلاد في داخل إيران إلا فعل فيها أشياء يندى لها الجبين من قتل ونهب وتمثيل ، حتى قتل من أعاظم علماء العجم (السُنة) وحرّف كتبهم ،وانهزم كثير من العلماء إلى بلاد أخرى.

٦- أمر جنوده بالسجود له.

٧- كان من دمويّته أن نبش قبور العلماء والمشايخ (السُنة) وحرّق عظامهم.

٨- كان إذا قتل أميراً من الأمراء السُنة أباح زوجته وأمواله لشخص ما من أتباعه.

٩- في سنة ٩١٦هـــ توجه إلى مرو شمال إيران وذبح أكثر من عشرة آلاف من سكانها من أهل السُنة لأنهم رفضوا التشيع.

وكم كنت أتمنى على العرب شـــيعة وســـنة أن يرددوا ما قاله الشـــاعر العربي في هذه الطائفة التي اختصرت الدين الذي اعتنقته مكرهة بعداء كل ما هو عربي :

أبلغ ربيعة في مروٍ وإخوتها

أن يغضبوا قبل أن لا ينفعُ الغضبُ

ما بالكم تلقمون الحرب بينكم

كأن أهل الحجا عن فعلكم غُيَبُ ؟

---

(٢) لمحات اجتماعية في تاريخ العراق (٤٣/١-٥٠)، د/ علي الوردي.
(٣) الفكر الشيعي، كامل الشبيبي (ص٤١٥)، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق، علي الوردي، (٥٩/١).

وتتركون عدواً قد أضلَّكمُ
فيمن تأشب لا دينٌ ولا حسبُ
ليسوا إلى عَربٍ منا فتعرفهم
ولا صميم الموالي إن هموا نسبوا



المبحث العاشر مرويات المؤسسة الصفوية

قال شيخ الطائفة المعاصر عبد الحميد المهاجر : إن كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ـــ والذي يناظر عند أتباع الطائفة الصفوية صحيح البخاري عند أهل السُنة والجماعة ـــ معروض على كتاب الله ـ وكان الكُليني الذي يطلقون عليه لقب ثقة الاسلام قد ادّعى أنه عرض كتابهُ الكافي على الإمام القائم فقال : إنّ كتاب الكافي كافٍ لشيعتنا. وبغية الوقوف على كفاية ذلك الكتاب المقدس عند أتباع الطائفة آثرنا أن نأتي بنماذج من مروياته وهي تزيد عن الستة عشر ألف رواية ليقف القارئ الكريم على ما فيه من (تحفٍ ونفائس) :

١-ادّعوا أن الإمام الصادق عليه السلام قد قال : أتى النبيَّ رجلٌ فقال : يا رسول الله إني أحمل أعظم ما يحمل الرجال فهل يصح أن آتي بعض مالي من البهائم ناقةً أو حماراً، فإن النساء لا يقوين على ما عندي ؟ فقال رسول الله ^ : إن الله تبارك وتعالى لم يخلقك حتى خلق لك ما يحتملك من شكلك، فانصرف الرجل ولم يلبث أن عاد إلى رسول الله فقال مثلما قال في أوّل مرّة، فقال له الرسول ^ : فأين أنت من السوداء العنطنطة (يقصد طويلة العنق من حسن القوام)، قال : فانصرف الرجل ولم يلبث أن عاد فقال : يا رسول الله أشهد أنك رسول الله حقاً، إني طلبت ما أمرتني به فوقعت على شكلي مما يحتملني، وقد أقنعني ذلك. (وهذا ما ورد في الصفحة ٣٣٦ من الجزء الخامس من كتاب الكافي).

٢- وجاء في (٣٣٥/٥) من المصدر نفسه إن الإمام الصادق عليه السلام قد قال : كان الرسول ^ ـــ على حد زعم الكليني ـ إذا أراد أن يتزوّج امرأة بعث من ينظر إليها وقال للمبعوثة : شمّي ليّتها فإن طاب ليّتها طاب عرقها و انظري كعبها فإن درم كعبها عظم كعثها (أي بان حجم فرجها).

٣- وقال الكليني في الصفحة (٣٧٢) من الجزء السادس من كتابه الكافي : إن الإمام الصادق عليه السلام قد قال : أكلُ الجزر يسخن الكليتين ويقيم الذكر، وفي رواية عن أبي الحسن عليه السلام : وينصب الذكر.

٤- ومما ورد في إعجاز (ثقة الإسلام) الكليني في الصفحة ٢٣ من الجزء السادس من كتابه الكافي نقلاً عن الإمام الحسن عليه السلام إنه قال : قال رسول الله. أطعموا حبالكم اللبان فإن ولدت عظمت عجيزتها (أي كبر دبرها) فتحضى عند زوجها.

٥- وادّعى الكليني في الصفحة (٤٦٥) من الجزء السادس من كتابه الكافي إن الإمام الصادق عليه السلام قد قال لأحدهم : مالَكَ والنعل السوداء، أما علمت أنها تضر بالبصر وترخي الذكر وهي بأغلى ثمن من غيرها ما لبسها أحد إلا اختال بها؟ وقال في رواية أخرى : وتورث الهم، قال : فقلت: ما ألبس من النعال ؟ قال : عليك بالصفراء فإن فيها ثلاث خصال تجلو البصر وتشد الذكر وتدرأ الهم وهي مع ذلك من لباس النبيين.

٦- ونسب الكليني في كتابه الكافي للإمام علي عليه السلام قولاً هذا نصّه : إن الزوج الأسود إذا وطأ زوجة سوداء في حيضها جاء ولدها أبيضاً، وأوصى المسلمين بأن ينتظروا الوليد حتى يكبر فإنه سيعود أسودً.

٧- وجاء في الصفحة (٣٣٤) من الجزء الخامس من كتاب الكافي للكليني نقلاً عن أبي الحسن عليه السلام إنه قال : عليكم بذات الأوراك فإنهن أنجب.

٨- وادعى الكليني في الكافي (٢٣٧/١) إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قال : إن عفيراً حمار الرسول ^ كلّم الرسول ^ وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن أبيه إنه كان مع نبي الله نوح في السفينة فمسح نوحٌ على ظهره وقال لعفير : يخرج من صلب هذا الحمار حمارٌ يركبه سيد النبيين والحمدُ لله الذي جعلني ذلك الحمار.

٩- وجاء في الصـفحة (٢١٢) من الجزء الثامن من كتاب الكافي للكليني إن الإمام جعفر الصـادق ^ قد قال : إن الحوت الذي يحمل الأرض أسرَّ لنفسه أن يحمل الأرض بقوته فأرسل الله له حوتاً أصغر من شبر وأكبر من فتر دخل في خياشيم الحوت الكبير فصعقه، وبعد أربعين يوماً رحمه الله وأخرج الحوت الصغير من خياشــيمه، فإذا أراد الله أن يزلزل الأرض بعث الحوت الصــغير إلى الحوت الكبير الذي عندما يراه يرتعب فتتزلزل الأرض.

١٠- وادعى الكليني في المصـدرنفسـه أنَّ الإمام الصـادق عليه السلام قد قال : إن للإمام عشـر علامات : يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يُجنب وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثائب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ونحوه (وفساؤوه وضراطه وغائطه) كريح المسك. (الكافي ٣١٩/١ كتاب الحجة، باب مواليد الأئمة).

١١- وروى الكليني في الصـفحة (٥٠٧) من الجزء الأول من كتابه الكافي عن أبي هاشم الجعفري قال : شكوت إلى أبي محمد ــ يقصد الإمام السجاد عليه السلام ــ الحاجة فحَكّ بسوطه الأرض وقال : وأحسبه غطاه بمنديل ورفع المنديل وأخرج ٥٠٠ دينار فقال : يا أبا هاشم خُذ واعذرنا.

١٢- كما نسـب الكليني في كتابه الكافي وتحديداً في الصـفحة (٣٣٥) من الجزء الخامس للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إنه قال : تزوّج سمراء عيناء عجزاء مربوعة فإن كرهتها فعليَّ مهرها.

١٣- وجاء في نفس الجزء من المصـدر نفسـه (ص٣٣٢) نقلاً عن عقبة بن خالد قال : أتيت أبا عبد الله - يقصد الإمام الصادق عليه السلام - فخرج ثم قال : يا عقبة شغلنا عنك هؤلاء النساء.

١٤- وادّعى الكليني في الصــفحة (٣٥٣) من الجزء السـادس من (معجزته) كتاب الكافي إنّ الإمام الصادق عليه السلام قد قال : من أكل حبة رمان أمرضت شيطان الوسواس أربعين يوماً.

١٥- وادّعى في الصـفحة (٤٦٧) من نفس الجزء من المصـدرنفسـه إن الإمام الصـادق عليه السلام قد قال : إدمان الخف يقي ميتة السـوء، وجاء في الصـفحة (٤٦٦) منه أن لبس الخف يزيد بقوة النظر، وفي رواية أخرى فيه أمان من السل.

* وهناك العديد من فُقهاء الطائفة الذين قالوا بموثوقية الكُليني في الكافي :

١- قال شيخ الطائفة المفيد في الصفحة ٢٦ من المقدمة عن تصحيح الاعتقاد : إن الكافي من أجلِّ كتب الشيعة وأكثرها فائدة.

٢ -وقال النوري الطبرسي في مستدرك الوسائل إنه جامع للأصول والأخلاق والمواعظ والآداب.

ومثلهُما قال محمد بن مكي العاملي والشـيخ علي الكركي والشـيخ إبراهيم القطيف والفيض الكاشـاني والشيخ المجلسي والسيد بحر العلوم وغيرهم المئات.

ولو شـئت عزيزي القارئ الكريم لجئتك بمئات الروايات التي هي على شـاكلة ما تقدم ذكره ، وإليك أن تتصور أنت فأمر التعليق على ما سلف متروك لك وحدك.

وفيما يأتي سأتناول بشيء من الإيجاز طعونات علماء الطائفة في كتاب الكافي وسواه من الكتب التي أصبحت مصادراً للتشريع في مؤسسات الطائفة والتي جاءت على النحو التالي:

١- قال الإمام محمد المجاهد بعدم حجية ما ذكره الكليني، ولهذا لم يعتمدوا على كل رواية مروية في الكافي بل شاع بين المتأخرين تضعيف كثير من الأخبار المروية فيه سنداً(أرجو مراجعة مفاتيح الأصول للتلمساني ٣٣٤).

٢- ومما قاله السيد هاشم معروف الحسيني الطهراني في الموضوعات في الآثار والأخبار : وقف بعضهم موقف الناقد لمروياتهم، من ناحية ضعف رجالها فلقد وصفه فريق من المحدثين القدامى فوق مستواه ، وأحاطه الإخباريون بهالة من التقديس والإكبار ، ولكن من جاء بعدهم من أعلام الطائفة الصفوية قضى على تلك الهالة إلى ما فيه من نقص وعيوب ، وأجمل مروياته الـ١٦١٩٩ بـ٥٠٧٢ صحيح، ١٤٤ حَسِنْ، ١١٢٨ موثق، ٣٠٢ قوي، ٩٤٨٠ ضعيف، وقد قال بذلك (صفوة الطائفة) المجلسي والشيخ يوسف البحراني والسيد بحر العلوم والميرزا محمد بن سليمان وأغا بزرك الطهراني والفاني الأصفهاني.

١٣- واتفق مع الحسيني في ذلك الشيخ فخر الدين الطريحي بقوله في الصفحة ١٩٣ من جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الدراية والرجال : أما الكافي فجميع أحاديثه حصرت في ١٦١٩٩ رواية ، الصحيح منها ٥٠٧٢ والحسن ١٤٤ والموثق ١١١٨ والقوي ٣٠٢ والضعيف ٩٤٨٥.

١٤- وقال الطوسي في تهذيب الأحكام (٢/١، ٣) : لا يكاد يتفق خبر إلاّ وبإزائه ما يضاده ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلة ما ينفيه، وقال في الصفحتين ٢٤، ٢٥ من كتاب الفهرست: إن كثيراً من مصنفي أصحابنا ينتحلون المذاهب الفاسدة ، ومع هذا إن كتبهم معتبرة.

٥- وكان الحر العاملي قد قال عن منهج علماء الشيعة في التوثيق : يوثقون من يعتقدون فسقه وكفره وفساد رأيه . (وجاء على ذكره في كتابه وسائل الشيعة وتحديداً في الصفحة ٢٦٠ من الجزء الثلاثين منه).

٦- ويقول كبير علماء الطائفة الفيض الكاشاني صاحب كتاب الوافي : نراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين أو ثلاثين قولاً أو يزيد، بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا عليها وفي بعض متعلقاتها.

٧- وقال المحقق الهمداني في الرجال للنجاشي : إنه لا يمكن إثبات صحة رواية واحدة عن طريق كتب الشيعة عن رجال السند، وإنه ترك تتبع أحوال الرجال لعدم فائدته. ولنا هنا أن نتساءل : من أين يأخذ هؤلاء دينهم ؟ وليس لنا من تعليق غير هذا.

٨- وجاء في الصفحة ٢٤٩ من الجزء الثاني من كتاب معجم رجال الحديث طعن السيد أبي القاسم الخوئي في زرارة - أحد أهم رواة أحاديث الطائفة - وما رواه من آلاف الأحاديث عن الإمامين محمد الباقر وولده جعفر الصادق عليهما السلام، وقال في الكافي: لم تثبت صحة جميع مرويات الكافي ولاشك أن بعضها ضعيف وبعضها يُشك أنها صادرة عن المعصوم. وقال أيضاً : إن في الكافي الصحيح والمعتبر والضعيف الذي لا يعوّل عليه ولا يحتج به.

وسنأتي فيما بعد على قائمة بأسماء رواة أحاديث الطائفة ممن ثبت غلوّهم وفساد رأيهم وكذبهم وحماقتهم وانحرافهم عن الحق.

٩- ومن بين ما جاء عن الفاني الأصفهاني في كتاب بحوث فقه الرجال : وإنما نريد قوله هو عدم وجود قانون أو قاعدة تعبيرية صرْفة أو ما أشبه ذلك بدور التوثيق والتضعيف مدارها وجوداً أو عدماً وبعبارة أخرى ليس لدينا علم لدراية الرجال.

١٠- وقال السيد المرتضى : إن الرجوع في الأصول إلى هذه الكتب ــ والكافي من بينها ــ خطأ وجهل (رسائل الشريف المرتضى ٣٣٣/٢).

١١- وقال (آية الله) السبحاني في أدوار الفقه الإمامي والرسائل الأربعة : قام تلامذة أهل البيت بتأليف أصول أربعمائة ما بين عصر الإمام الصادق حتى نهاية عصر الإمام الرضا، وهذه الأصول هي المعروفة بالأصول الأربعمائة، فلها من الاعتبار والمكانة ما ليس لغيرها، وقد اعتذر الشيخ السبحاني عن فقدان هذه الأصول بقوله في الصفحة ٣٥ من المصدر السابق : ولمّا لم يكن للأصول ترتيب خاص إذ أن جلّها إملاءات المجالس وأجوبة المسائل النازلة المختلفة، عمد أصحاب الجامع إلى نقل رواياتها مرتبة مبوبة منقحة تسهيلاً للتناول والانتفاع ،فما كان من هذه الأصول انتقل إلى الجوامع الحديثة لاسيما الكتب الأربعة ـــ يقصد الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه -ولكن بترتيب خاص وباشتهارها قلّت الرغبات باستنساخ الأصول والصيانة على أعيانها.

١٢- وقال الشيخ محمد جواد مغنية : إنّ الشيعة تعتقد أن كتب الحديث الموجودة في مكتباتهم ومنها الكافي والاستبصار والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه فيها الصحيح والضعيف وإن كتب الفقه التي ألّفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل ما فيه حق وصواب من أوله إلى آخره غير القرآن، فالأحاديث الموجودة في كتب الشيعة لا تكون حجة على مذهبهم، ولا على أي شيعي بصفته المذهبية الشيعية.

١٣- وتقول المصادر الشيعية بأنه يمكن تقسيم روايات الشيعة إلى ثلاثة أقسام :

أ - الروايات غير المعتبرة سنداً لكونها ضعيفة أو مرسلة أو مقطوعة، وهذا هو القسم الغالب وهو ساقط عن درجة الاعتبار.

ب -الروايات الواردة عن رجال ثقاة وبأسانيد لا مجال للطعن فيها، وهي قليلة جداً، وقد بيّن العلماء أن قسماً منها محمول على التأويل أو التفسير أو بيان سبب النزول أو القراءة أو تحريف المعاني لا تحريف اللفظ أو الوحي الذي هو ليس القرآن.

جـ - أما المرويات التي يمكن حملها وتوجيهها على معنى صحيح وكانت ظاهرة أو صريحة بالتحريف، فقد اعتقدوا بكذبها وضربوا بها عرض الحائط وذلك لأسباب عديدة أهمها أنها مخالفة لظاهر الكتاب الكريم.

١٤- وكان من أغرب ما قرأت قول الكليني صاحب كتاب الكافي الذي ورد في كتاب منهاج الكرامة في إثبات الإمامة للعلامة ابن المطهّر : كما أن أغلب رواة الشيعة عن أهل البيت كوفيون بينما جعفر الصادق وسائر أئمة آل البيت مدنيون .. **فياللعجب!!**

أما أئمة آل بيت النبي المصطفى ^ فلهم في مرويات علماء الدين الصفوي ورواتها آراء ترقى إلى مستوى إحاطة معظم هذه الروايات بالعديد من الشبهات فهي ترمي رواتها بالفساد الذي دعا بعض أئمة آل بيت النبي الهادي عليهم السلام إلى لعن من تولّى روايتها :

قال الإمام الباقر عليه السلام : **إن أحاديثنا إذا سقطت في الشام جاءت صحاحاً وإذا سقطت في العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص، وروى عن الإمام الباقر عليه السلام قوله : أما والله لو يروون عنّا ما نقول ولا يحرفونه ولا يبدلونه علينا برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فينيط إليها عشرًا ويتأولها على ما يراه.** (نقلاً عن الصفحة ٢١٥ من كتاب عيون الأخبار للقرشي، وشرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار للقاضي النعمان وهو شيعي بامتياز).

٢- ولمّا سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام عن الاختلاف الذي بين الشيعة ؟ أجاب عليه السلام قائلاً : أجل هو ما ذكرت إنَّ الناس أغروا بالكذب علينا حتى كأن الله عز وجل افترضه عليهم ولا يريد منهم غيره. (أورده الصدوق صاحب كتاب عيون الأخبار في الصفحة ٢٦٨ من الجزء الرابع منه).

٣- اشتكى الفيض المختار إلى أبي عبد الله ــ يعني الإمام الصادق عليه السلام ــ قائلاً : جعلني الله فداك ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟ فقال أبو عبد الله : أجل هو ما ذكرت، إن الناس أولعوا بالكذب علينا، وإن أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وحبنا ما عند الله وإنما يطلبون الدنيا وكلٌّ يُحبّ أن يكون رأساً. (نقلاً عن الصفحتين ١٣٥-١٣٦ في كتاب رجال الكشي، كذلك أورده المجلسي في بحار الأنوار).

٤- وجاء في كتاب رجال الكشي عن شيخ الطائفة الطوسي إنه قال : قال الإمام الصادق عليه السلام: **إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، وكان رسول الله ٨ أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله وكان يكذب عليه عبد الله بن سبأ (لعنه الله) وكان أبو عبد الله الحسين عليه السلام قد ابتلي بالمختار.** (انظر رجال الكشي ٣٧١/٤-٣٧٢).

ثم ذكر الإمام الصادق عليه السلام أبو عبد الله بن الحارث الشامي وبيان بن سمعان فقال : كانا يكذبان على علي بن الحسين عليه السلام، ثم ذكر المغيرة وبزيعاً والسري وأبا الخطاب ومعمراً وبشاراً الأشعري وحمزة البربري وصائدًا النهدي فقال : لعنهم الله إنّا لا نخلو من كذاب أو عاجز الرأي كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد. (انظر الرجال للكشي، ص٣٠٥، رواية ٥٤٩).

وسنأتي الآن على آراء أئمة آل بيت النبوة في أهم رواة أحاديث الطائفة وبأعلى قدر من الإيجاز :

١- جاء في الصفحة (١٣١) من كتاب الرجال للكشي أن الإمام الصادق عليه السلام قد أخرج مخازي زرارة بن أعين ــ الذي يسمونه بخاري الطائفة ــ وبعد لعنه دعا الله قائلاً : اللهم إن لم تكن جهنم إلا سكرجة (أي إناء صغير) لوسّعها آل أعين بن سبسن (يقصد زرارة) .. وكان قد قال عنه في الصفحة (١٣٤) من المصدر نفسه : لا يموت زرارة إلا تائهاً عليه لعنة الله. وقال في الصفحة (١٣٦) من المصدر نفسه : هذا زرارة بن أعين من الذين وصفهم الله في كتابه العزيز ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ .

تعليق : وزرارة هذا من أسرة نصرانية وقد ضلّ على نصرانيته على حد قول الإمام الصادق فيه : إن مرض فلا تعده وإن مات فلا تشهد جنازته فقيل له : زرارة يا إمام ؟ فقال عليه السلام : زرارة شر من اليهود والنصارى ومن قال : إن الله ثالث ثلاثة. (وهذا ما أورده الكشي في الصفحتين ١٣٨-١٤١ من الرجال).

٢- ومما قاله الإمام الصادق عليه السلام في أبي بصير - أطول رواة الطائفة باعاً وأعلاهم كعباً : فقد روى عن أبي محمد الباقر مئة وعشرين ألف حديث، ولم ير وجهه القبيح قط فالعنوه أينما وجدتموه (انظر: الكشي في الرجال).

٣- ومن بين ما قاله الإمام الصادق عليه السلام في راوية الطائفة المغيرة بن سعيد : يتعمد الكذب على أبي، ... وكان أصحاب أبي يدفعون كتب أبي إلى المغيرة وهو كان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يثبّتوها، ومن الجدير بالذكر أن الماقاني قد نقل عن المغيرة بن سعيد قوله : لقد دسستُ في أخباركم أخباراً كثيرة تقرب في مئة ألف حديث ..، فتأمل عزيزي القارئ الكريم.

٤- ومما قاله الإمام الصادق عليه السلام في عميد رواة الطائفة بعد زرارة وأبي بصير والمغيرة ـــ أبو جابر الجعفي- : روى أبو جابر الجعفي عن أبي سبعين ألف حديث ولم ير وجهه قط، ووصفه بالكافر والمشرك(وهذا ما أورده الكشي في الرجال وذكره الحر العاملي في وسائل الشيعة) .

٥- وكان الإمام الرضا عليه السلام قد قال رأياً قاطعاً في عدد غير قليل من رواة أحاديث الطائفة جاء فيه : كان بيان يكذب على علي بن الحسين، والمغيرة يكذب على أبي جعفر، ومحمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى الرضا وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب. ومما قاله الإمام الرضا أيضاً : إن ابن الخطاب كذّب على أبي عبد الله ـــ يقصد الإمام الصادق عليه السلام ـــ لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحابه يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا. (وهذا ما جاء في كتاب رجال الكشي وعلى وجه التحديد في الصفحة ٢٥٦ منه).

٦- تولّى الإمام علي بن محمد عليهما السلام لعْن رواة الطائفة في عصرهم الحسن ابن محمد المعروف بابن بابا ،ومحمد بن نصير النميري، وفارس القزويني. (أورده الكشي في الرجال).

أما علماء الطائفة فلهم في رواة أحاديثهم ألف شبهة وشبهة وسنأتي على بعض منها خشية الإطالة :

١- قال هاشم معروف معروف الطهراني (أحد أبرز علماء الطائفة) في الموضوعات في الآثار والأخبار ص٢٣٢ عن ألمع رواة الحديث في عصره، أحمد بن الحسن بن إسماعيل، إنه متهم بالغلو معدود بين ضعفاء الرواة، وأحمد بن الحسن بن إسماعيل هذا قال عنه علماء الطائفة : لا يعترف بإمامه الرضا مع هذا فإنه يروي عنه.

٢- أما (الإمام) الخوئي فقد قال في معجم رجال الحديث (١/١٠٣-١١٠) : إلاّ أنهُ لم تثبت صحة جميع روايات الكتب الأربعة ـــ يقصد الصحاح الأربعة عندهم : الكافي، التهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه فلابد من النظر في كل رواية منها.

وفيما يأتي قائمة بأسماء رواة الطائفة الذين ثبُتَ غلوّهم وفساد مذهبهم وحماقتهم وانحرافهم عن الحق على حد قول الخوئي الذي يُعد من أهم علماء الطائفة في العصر الحديث ونقلاً عن معجمه :

١- إبراهيم بن إسحاق.

٢- عبد الله الدهقان.

٣- جماعة بن سعيد الجعفي.

٤- أحمد بن محمد السياري.

٥- إسحاق بن محمد أبو يعقوب.

٦- عثمان بن عيسى العامري.

٧- علي الخراذيني.

٨- سلمان الديلمي.

٩- فرات بن الأحنف.

١٠- القاسم بن الربيع.

١١- محمد بن أسلم الطبري.

١٢- محمد جمهور القمي.

١٣- محمد بن عبد الله بن مهران.

١٤- محمد بن موسى بن الحسن.

١٥- مقاتل البلخي.

١٦- مفضل بن عمرو.

١٧- المنخل بن جميل.

١٨- موسى بن سعدان.

١٩- يونس بن ضبيان.

٢٠- الحسن بن علي الهمداني.

٢١- الحسن البزفوري.

٢٢- الحسن بن علي الملقب بـ(سجادة).

٢٣- الحسن البطائيني.

ولم يسلم من الجرح أحد من رواة الطائفة، وقد كان بإمكاننا أن نورد المئات من أسماء رواة أحاديث الطائفة الذين هم على شاكله من جئنا على ذكرهم ممن ثبت غلوّهم، وانحرافهم عن الحق فأعدادهم تتجاوز المئات.

وعند الكشي الخبر اليقين :

يتخذ البعض من كتاب رجال الكشي مصدراً له حتى في الفصل بين ما هو حرام وحلال، ولقد لفت انتباهي في هذا الكتاب رأي الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الرجلين الذين توليا نقل أكثر من ٦٠% من الأحاديث عنه وعن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام فيهما (زرارة وأبي بصير) : لعن الله زرارة بن أعين فقد روى عن أبي محمد الباقر ستين ألف حديث ولم ير وجههُ إلاّ مرة واحدة ،وروى عني عشرين ألف حديث ولم أر وجهه القبيح قط، فالعنوه أينما وجدتموهُ، أمّا أبو بصير (والكلام لا يزال للإمام الصادق عليه السلام) فقد روى عن أبي محمد الباقر مئة وعشرين ألف حديث ولم ير وجهه القبيح قط فالعنوه أينما وجدتموه .. والغريب في الأمر أن لهذين الرجلين الذين أسلما أيام محمد الباقر- فالأول من عائلة يهودية والثاني من عائلة نصرانية -عند (الكليني في الكافي) صوتاً مسموعاً غررا به حتى بعض الشيعة العرب فصار بسطاؤهم يتبنون خطاب هذين الرجلين دون أن يلتفتوا إلى لعن الإمام الصادق عليه السلام .. وكم كنت

أتمنى على كل من غررت بهم المرجعيات الصفوية أن يقرأ الصفحة (٤٠١) من كتاب رجال الكشي ليقف على ما قاله الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ في الذين أسسوا للمشروع الصفوي قبل انطلاقته بمئات السنين وكم كان بودي أن يقرأ الشيعة العرب في العراق معطيات قراصنة الصفويين ابتداء من إسماعيل شاه الصفوي مروراً بعباس الصفوي ونادر شاه ليعرفوا كم قتل هؤلاء وغيرهم من العرب العراقيين شيعة وسُنة .

وأتمنى على القارئ الكريم قراءة المصادر والمراجع التالية : ثورة الخميني لحميد الروحاني (لاسيما الصفحة ١٠٨) من الجزء الثاني ،والصفحة ١٦٨ من الجزء الثاني من كتاب أعيان الشيعة لمحسن الأمين ، والجزء السابع من الروضات ، والجزء ٤٢ من كتاب الجواهر ، والجزء الأول من القصص الخاصة ، وكتاب المرجعية والروحانية ، وملحمة الغدير لمحمد رضا حكيمي ، وآداب النفس لمحمد العيناني ، والجزء الثالث من كتاب ظهور السلطنة البهلوية ، والمخاطر والمحذورات لعباس رضوي ورسالة الأمين ، والجزء الأول من صحيفة النور ، والعدد ١٩٩٣ من مجلة كيان والصفحة ٦٣ من العدد ٤٣ من مجلة الثقافة ، ليقف على طعونات أئمة الطائفة بأكثر العلماء ألمعيةً عندهم كالمفيد والمجلسي والبحراني والشيرازي والبهائي والعلامة الحلي ومحسن الحكيم والبهبهاني والطوسي والأنصاري والخميني وآخرين وبشكل ينزع عنهم صفة الاعتبار ويضعهم داخل دائرة الاتهام في مواضع كثيرة .



الفصل الثاني

العقائد الصفوية

قال الله ﷻ : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣].

١- عقيدة التجسيم

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : **هو الله الحق المبين أحقُّ وأبينُ مما ترى العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً، خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته** ...إلخ.

وجاء في الصفحة (١٠٦) من الجزء الأول من كتاب أعيان الشيعة لمحسن الأمين إنَّ هشام بن الحكم قد قال :إن الله جسم، وقال هشام بن سالم الجواليقي : إن الله أجوف إلى السرّة والباقي صمد، وقال يونس بن عبد الرحمن القمّي وأبو جعفر الأحول وهما الثقاة عندهم بمثل ما قالا ....، وقد أكّد ذلك أيضاً صاحب كتاب أصول الشيعة الإمامية الكركي، وفي الصفحة (٦٤١) من الجزء الثاني منه على وجه التحديد، فلنقف الآن على معتقدات باقي الرواة (الثقاة) على حد زعمهم، فقد أورد الكُليني في أصول الكافي والمجلسي في بحار الأنوار إنَّ هشام بن الحكم قد قال : إن الله جسم ، وجاء في الصفحة ٩٩ من كتاب التوحيد إن الإمام الصادق قد قال في هذا الهشام: ويله أما علم أن الجسم محدود ومتناه والصورة محدودة ومتناهية ..إلخ ، وجاء في المصدرين السابقين أن الله في هيئة شاب في سن الثلاثين، ويقول عبد القاهر البغدادي في الصفحة (٦٥) من كتابه الفرق بين الفِرقْ إن هشام بن الحكم قد زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وإنه طويل عريض عميق وإنَّ طوله مثل عرضه، ومما جاء في الصفحة (٦٣٤) من الجزء الثاني من كتاب أصول الشيعة الإمامية للكركي أنه قد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تَبِعَهُ أمر الغُلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها، ومما تجدر الإشارة إليه أن هشام بن الحكم هو الذي كان قد تسبب في قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .. فيا للعجب!!!

وجاء عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عمّن ذكر عن أبي حمزة الثمالي قال : رأيت علي بن الحسين عليه السلام قاعداً واضعاً إحدى رجليه على فخذه فقلت : إن الناس يكرهون هذه الجلسة ويقولون: إنها جلسة الرب ؟ فقال : أنا جلستُ هذه الجلسة للملالة، والرب لا يمل ولا تأخذه سنة ولا نوم (أورده الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة في ١٠٤/٢ منه) وادّعوا أن الإمام الصادق عليه السلام قد قال : إن الله ليخاصر العبد المؤمن يوم القيامة ، والمؤمن يخاصر ربه يذكّره ذنوبه. يقول عبد الله بن سنان قلت : وما يخاصر ؟ قال : فوضع يده على خاصرتي فقال : هكذا كما يناجي الرجل منّا أخاه في الأمر يسّره إليه، وقال عبد القاهر البغدادي في الصفحة ٦٩ من الجزء الثاني من كتابه الفرق بين الفرق : إن هشام بن سالم الجواليقي مفرط في التجسيم لأنّه زعم أنّ معبوده على صورة إنسان وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان .

وقال المجلسي في الصفحتين ٢٩٠ – ٢٩٢ من الجزء الثالث من كتابه بحار الأنوار : وقالوا : إن الهشامين ويونس القمي وأمثالهم لم يكتفوا بمجرد إثبات الصفات كما دلّ عليه الكتاب والسنة بل تجاوزوا ذلك حتى ابتدعوا الغلو في إثبات التجسيم .

كما ادّعوا في رواية أتى عليها الكليني في الصفحة ١٢٦ من الجزء الثاني من كتابه الكافي وأُخرى أوردها المجلسي في الصفحة ١٥٩ من الجزء السابع من كتابه بحار الأنوار إنَّ الإمام الصادق عليه السلام قد قال : قال رسول الله : المتحابون يوم القيامة على أرض زبرجد خضراء في ظل عرشه،عن يمينه وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضاً من الشمس الطالعة، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول

الناس من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله ، وقال الدكتور سامي النشار وهو من الشيعة المعتدلين: أجمع مؤرخو الفكر الإسلامي القدامى سنة وشيعة ومعتزلة على أن هشام بن الحكم هو أول من قال : إن الله جسم ، وإن مقالة التجسيم إنما تنسب إليه ، فهو أول من أدخلها وابتدعها (نقلاً عن كتابه نشأة الفكر الفلسفي ١٧٣/٢) .

واعترف الماقاني في٢٦١/٢ – ٣٠١ من تنقيح المقال بكثرة الأخبار الواردة عن هشام بن الحكم في التجسيم ومنها قوله : إن الله جسم صمدي .

وجاء في إصول الكافي عن إبراهيم بن محمد الخراز ومحمد بن الحسين إنهما قالا : دخلنا على أبي الحسن – الرضا – فحكينا له ما رويّ أن محمداً رأى ربّه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء الثلاثين سنة رجلاه في خضرة ، وقلت : إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون : إنّ الله أجوف إلى السرّة والباقي صمد (أورده المجلسي في ٤٠/٤ من كتابه بحار الأنوار) .

وهناك من قال : إن الهشامين ويونس القمي وأمثالهم لم يكتفوا بمجرد إثبات الصفات كما دلّ عليه الكتاب والسنة بل تجاوزوا ذلك حتى ابتدعوا الغلو في الإثبات والتجسيم (نقلاً عن ٢٩٠/٣ من بحار الأنوار للمجلسي).

والتجسيم ضلالة اشتهرت في المقام الأول عند اليهود وثم النصارى وقد بيَّن الله تعالى ذلك عنهم بقوله عزَّ وجل في سورة التوبة التي تسمى بالفاضحة لأنها فضحت المنافقين وأمثالهم : وقالت اليهود : عُزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله .

وقد جاء في الصفحة ١٠٣ من الجزء الأول من أصول الكافي للكليني وفي الصفحتين ١٠١ ، ١٠٢ من كتاب التوحيد لابن بابويه القُمّي وغيرهما، ما يدل على أن الشيعة في عام ٢٥٥ هجرية قد تاهوا في بيداء مظلمة إذ غرقوا في خلافهم بالتجسيم فمن قائلٍ : إن الله صورة ومن قائل : إنه جسم ، وحاولوا الهروب من التجسيم وتشبيه الخالق بالمخلوق في عصور متأخّرة ،فأصبحوا واقعين في تعطيل جميع الصفات الإلهية تبعاً لذلك . ورداً على دعاة التجسيم والتشبيه :

قال محمد بن الفرج : كتبت إلى الإمام الرضا عليه السلام أسأله عما قاله هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب لي : دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهشامان (وهذا ما ذكره المجلسي في الصفحة ٢٨٨ من الجزء الثالث من كتابه بحار الأنوار كما ورد في الصفحة ٥١ من الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي وأورده الكليني في ١-١٠٥ من الكافي) .

وقد وقفت على بعض من المواقف السلبية لبعض علماء الطائفة من تلك العقيدة الشركية ، واستحضر هنا قول الإسفراييني في مقالة الهشامين واتباعهما في التجسيم : والعاقل بأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له في الإسلام حظ (نقلاً عن ٤٢/٢ من التبصير في الدين للأسفراييني) .

وليس لنا إلا أن نقول: إذا كان الرسول الأعظم ^ لم يتمكن في رحلة الإسراء والمعراج من رؤية الله تعالى فكيف كان لهشام بن الحكم وجوقته من أن يروا الله عزّ وجل ويصفوه على النحو الذي ذكروه ؟

ولنا هنا أن نستعين بما قاله الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة للرد على كل من قال بالتجسيم : **لم ترك العيون فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك، لم تخلق الخلق لوحشةٍ ولا استعملتهم لمنفعةٍ، ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من أخذت، ولا يُنقِصُ سلطانك من عصاك، ولا يزيد في ملكك من أطاعك، ولا يرد أمرك من سَخِطَ قضاءك، ولا يستغني عنك من تولّى عن أمرك، كل سرٍ عندك علانية، وكل غيب عندك علانية، أنت الأَبد لا أمد لك، وأنت المنتهى لا محيص عنك.**

لقد اشتهر عن فقهاء الطائفة بعد المائة الثالثة أنهم اشتهروا بالمعتزلة واعتقدوا بضرورة تعطيل البارئ سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة مدَّعين أن أئمة بيت النبي الأمين محمد ^ هم الذين يقولون بالتعطيل ولا نريد أن نتوسع أكثر من ذلك خشية أن نقع في الكفر الذي أوقعوا أنفسهم فيه.

*وأنا أُشهد الله ورسوله إنَّ الشيعة العرب ربما لم يسمعوا بهذه العقيدة أصلاً .



قال الله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ **[البقرة].**

٢- ربوبية الإمام علي

قال الإمام علي عليه السلام مخاطباً الله ﷻ : **وأنت الموعد لا منجى منك إلا إليك بيدك ناصـيةُ كل دابةٍ وإليك مصير كلِّ نسمةٍ، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك وما أصغر عظيمة في جنب قدرتك ...**

وقال الإمام الصـادق عليه السلام : فوالله ما نحن إلاّ عبيد الذي خلقنا واصـطفانا، ما نقدر على ضـر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته وإن عذّبنا فبذنوبنا. (نقلاً عن الصفحة ٢٢٥ من الرجال للكشي).

أما غُلاة الطائفة فيذكرون أن سـلمان رضي الله عنه قد دخل على علي بن أبي طالب فسـأله عن نفسـه فقال : يا سـلمان، أنا الذي دعوت الأمم كلها إلى طاعتي فكفرت فعذبت في النار وأنا خازنها عليهم، حقاً أقول يا سـلمان : إنه لا يعرفني أحد حق معرفتي إلا كان معي، أخذ الله الميثاق لي فصـدق من صـدّق وكذَّب من كذَّبْ، فقال سـلمان : لقد وجدتك يا أمير المؤمنين في التوراة، كذلك في الإنجيل، كذلك بأبي أنت وأمي يا قتيل الكوفة ... أنت حجة الله الذي تاب به على آدم عليه السلام وبك نُجّي يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب عليه السلام وسـبب تغيير نعمة الله عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أتدري ما قصـة أيوب عليه وعلى نبينا أفضـل الصلاة وأزكى التسليم ؟، قال : الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين، قال : يا أيوب أتشك في صورة أقمتها أنا؟، إني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصـفحت بالتسـليم عليه بإمامة أمير المؤمنين فأنت تقول : خطب جليل وأمر جسـيم، فوعزتي لأذيقنك عذابي أو تتوب إليَّ بالطاعة لأمير المؤمنين، ثم أدركته السـعادة بي (أي بعلي بن أبي طالب) يعني إنه تاب وأذعن طاعة لعلي عليه السلام. (وهذا ما أورده شـيخ الطائفة البحراني في الصفحة ٢٧ من كتابه تفسير البرهان).

أما (الإمام) الخميني فيقول في الصفحة ١٤٥ من مصباح الهدايا في تفسير ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ ، أي :ربكم الذي هو الإمام.

وجاء في كتاب الكافي للكليني إنّ علياً قد قال : أنا الأول والآخر وأنا الظاهر وأنا الباطن وأنا وارث الأرض. وقال الأردبيلي صاحب كتاب كشف الغمة (١٠٦/١) : لما سئل النبي ٨ بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ قال : خاطبني بلغة علي بن أبي طالب حتى قلت : أنت خاطبتني يارب أم علي؟

وجاء في مقدمة تفسير البرهان للبحراني وتحديداً في الصـفحة ٢٣ منها إن الله تعالى قد قال : علي بن أبي طالب حجتي على خلقي ، لا أدخل النار من عَرِفَهُ وإن عصـاني ، ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني.

ومن بين ما ورد في الصـفحة ١٥٢ من الجزء الأول من كتاب الكافي (لثقة الطائفة) الكليني إنّ علياً عليه السلام قد قال : أنا قسيم الله بين الجنة والنار لا يدخلها داخل إلاّ على حد قسمي أنا فقط.

كذلك أكَّد الكليني في كتابه الكافي على قدرة الأئمة على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ، وأنهم يعلمون الغيب ويعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

وسأكتفي بهذا القدر من المزاعم الصفوية ـــ فعندي منها الكثير ـــ وسيتولّى الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام الرد على أركان هذه الطائفة وسأقتبس من وصيته لولده الحسن التي وردت في الصفحة ٤٣ من الجزء الثالث من كتاب نهج البلاغة شيئاً مما قاله : **فتفهّم يا بني وصيتي، وأعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ،وأن الخالق هو المميت ، وأن المغني هو المعيد وأن المبتلى هو المعافي ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا نعلم، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به، فإنك أول ما خلقت خلقت جاهلاً ثم علمت ... وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتجسد فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك. فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك وليكن له تعُبُدكَ وإليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني أن أحداً لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول صلى الله عليه وعلى آله فارض به رائداً وإلى النجاة قائداً ... إلخ.**

ومما أوصى به ولده الحسن عليه السلام أيضاً : **واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية، عظم عن أن تثبُتْ ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر، فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خَطَرِه، وقلة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته، والرهبة من عقوبته، والشفقة من سخطه.**

وقال نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية (٢٣٤/٢) : قال ابن سبأ لعلي عليه السلام : أنت الإله حقاً فنفاه علي عليه السلام إلى المدائن وقيل : إنّ ابن سبأ كان يهودياً وأسلم فكان في اليهودية يقو ل في يوشع بن نون وفي موسى مثل ما قال في علي بن أبي طالب ...

وروى الكليني والصدوق عن أبي الحسن الموصلي، عن أبي عبد الله قال : جاء حَبرٌ إلى أمير المؤمنين فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ فقال : ويلك ما كنت أعبدُ رباً لم أره ، قال : وكيف رأيته ؟ قال : ويلَك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

أما الإمام محمد الباقر عليه السلام فقد قال في تفسيره لكلمة الفالي التي كانت قد وردت في إحدى خطبه : **قومٌ يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا فقد يرتفعون بنا إلى ما يقترب من الخالق الذي لا يقترب منه أحد، فهم ينسبون إلينا ونحن المخلوقون صفات الخالق، فليس أولئك منا ولسنا منهم، والله ما معنا براءة من النار ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة**(اورده الكليني في ٢-٧٥ من الكافي).

وعن الكليني في الكافي بإسناده عن سدير قلت لأبي عبد الله ـــ أي الإمام الصادق عليه السلام ـــ إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون بذلك علينا قرآناً : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) فقال : **يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة.**

وعن الكليني أيضاً في(٢٢٦/٨)من كتابه الكافي أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد خرج وهو مغضب فقال : **إني خرجت آنفاً في حاجة فتعرض لي بعض سودان المدينة فهتف بي، لبيك يا جعفر بن محمد لبيك، فرجعت عودي على بدئي إلى منزلي خائفاً ذعراً مما قال، حتى سجدتُ في مسجد ربي وعفرت له وجهي وذللت له نفسي وبرئت إليه مما هتف.**

تعليق :

والغريب في الأمر أننا نجد لأولئك الذين زعموا أن علياً هو الرب مرويات أخرى تتقاطع تماماً مع كلّ ما ذهبوا إليه، فها هو الكليني يتولّى نقل حديث الإمام الصـــادق عليه السلام والذي كان قد قال فيه : ... فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا ومن كان عاصـــياً لله لا تنفعه ولايتنا، وَيْحكُمْ لا تغترروا، ويحكم لا تغتروا. (انظر ص٦١ من الجزء الثاني من كتاب الكافي للكليني لتقف على حجم التناقض الذي كان السـمة المميزة لرواة الطائفة وفقهائها).

وللحقيقة أقول : إن الشيعة العرب ينؤون بأنفسهم عن الاعتقاد بهذه العقيدة الشركية.



قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء].

٣- الولاية التكوينية

أورد الكليني في الصفحتين ٢٩٢-٢٩٣ في كتابه روضة الكافي إن الإمام عليًا عليه السلام قد قال في مسجد الكوفة : **فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا مالا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بالعمى.**

والولاية التكوينية عبارة عن تسخير الكائنات الإمكانية تحت إرادة أولياء الله ومشيئتهم بحيث تصير في طاعتهم واختيارهم ويُنفذ أمرهم (بحول الله وإذنه) وإن ولايتهم هذه طولية لا عرضية بمعنى أنها مستمدة من ولاية الله ﷻ ولهم أن يقولوا للشيء كن فيكون .. وهناك من يقول : إنها ثابتة للمعصوم بالدليل القرآني والروائي والفعلي والفلسفي بمعنى أن زمام العالم بأيديهم عليهم السلام حسب جعل الله سبحانه كما أن زمام الأمانة بيد ملك الموت ، وفي هذا يقول الخميني : إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولاياتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل. (وهذا ما اقتبسناه من الصفحة٢٥٦ من الجزء الثاني من كتاب تحرير الوسيلة للخميني وقد ذكره في الصفحة ٥٢ من كتابه الحكومة الإسلامية أيضاً).

تعليق : هذا ما كان قد قاله (الإمام)الخميني بجرأة عالية لم يسبقه إليها أحد ـــ ربما ـــ فلنقف على ما قاله الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن (٢٩٦/٢٥) من كتابه بحار الأنوار للمجلسي : **من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله.**

لقد أخذت هذه النظرية بُعداً عقائدياً حاسماً متنوعاً فتارة تضيق المسألة لتبقى في حدود المعجزة فالأئمة عندهم القدرة على إدارة الكون ـــ كما يزعم الصفويون ـــ وأخرى توسّعها لتشمل الكون كُله حتى أن البعض يرى أن الله فوّض الأنبياء والأئمة عليهم السلام أمر التعرف على الكون في حركته الخفية والظاهرة بحيث إنهم يملكون القدرة على تغيير ما يريدونه في الكون وفي الإنسان من دون أية قدرة ذاتية مستقلة بل من خلال القدرة التي مكّنهم الله منها وأعطاهم إياها فهم القادرون بقدرة الله الأولياء على الكون بولايته و هذا التوجيه يبعد المسألة -في رأيهم -عن الشرك والغلو الانحراف في خط العقيدة المستقيم.

وقد جاء في كتاب الاختصاص لشيخ الطائفة المفيد وعلى وجه التحديد في الصفحة ٣٢٧ منه عن سماعة بن مهران قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم.. قلت : من صاحبنا ؟ قال : أمير المؤمنين عليه السلام يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي لا من أمر الواحد القهار.

ومما جاء في مروياتهم أيضاً، أن الإمام محمد الباقر عليه السلام قد صنع فيلاً من الطين وطار به في الهواء إلى مكة ثم صنع فيلاً آخر فركبه وحمل معه شخصاً آخر وطار به ووصلا إلى ظالتهما. (وهذا ما جاء على ذكره هاشم البحراني في ١٠/٥ من مدينة المعاجز، وعندنا المزيد من مرويات فقهاء الطائفة ومشايخها بهذا الشأن).

ولقد لفت انتباهي وأنا أناقش أمر هذه الولاية سؤال لسماحة السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله وهو- عالم شيعي عربي معتدل- في كتابه نظرة إسلامية في الولاية تكوينية : ما معنى هذه الولاية التكوينية التي لا أثر لها في حياة أئمة آل بيت النبوّة لا من قريب ولا من بعيد، ولا دخل لها في حماية أنفسهم إذ لم يستعملوها في إذهاب الخطر عنهم أو عن المحيطين بهم، ولم يتحركوا بها في الانتصار لرسالاتهم وذلك من خلال تاريخهم الصحيح كله؟

وكان فضـــل الله رحمه الله تعالى قد قال في مناســبة أخرى : إن الولاية التكوينية حقٌّ لله وحده فهو ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة وهو الرزاق ذو القوة المتين وهو الذي يحيي ويميت، وهو القاهر فوق عباده المهيمن على الأمر كلّه والكل عباده المكرمون الذين لا يســـبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، أما المعاجز التي يأتي بها الأنبياء فهي جزء من النظام الإلهي.

وكان الشيخ محمد جواد مغنية ـــ وهو مرجع شيعي عربي ـــ قد قال بعدم كون الولاية التكوينية من ضـروريات المذهب وإنه لا دليل عليها(وهذا ما ورد في كتاب نظرة إسـلامية في الولاية التكوينية لمحمد حسين فضل الله رحمه الله ، ومثله قال الشيخ الشيعي الجليل على الأمين) .

وها هو إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام يردّ على كل أولئك الذين حاولوا أن ينحرفوا بالدين القيّم عن جادة الحق فابتدعوا الولاية التكوينية ويخاطبهم قائلاً : **الحمد لله الذي لم سبق له حالٌ حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً كل مســـمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضـــعيف ، وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ... وكل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجســـام ، وكل ظاهر غيره باطن وكل باطن غيره ظاهر** ... (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة شـــرح الأســـتاذ الإمام محمد عبده).

تعليق :

يمكننا أن نختصـر التعليق على هذه العقيدة التي أنكر الاعتقاد بها على علماء الطائفة وأتباعها -عميد آل بيت النبوة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما رأينا- في عدد من الأسئلة الاستفهامية والاستنكارية على حد سواء، وأتمنى على كل من يعتقد بالولاية التكوينية الإجابة عليها بعيداً عن الغلو والتطرف :

١- لماذا لم يستخدم آل بيت النبوة هذه الولاية التكوينية طوال سنوات حياتهم ليدفعوا بها عن أنفسهم ما كان قد حاق بهم ؟ وما جدوى قدرتهم على أن يقولوا للشيء كُن فيكون ـــ كما يزعم رجالات الطائفة ـــ إذا هم لم يدرؤوا بها كل أو بعض ما واجهتهم من مصائب ؟

٢- لماذا لم يســتخدم الإمام علي عليه السلام قدرته على أن يقول للشـــيء كن فيكون كما يزعم رجالات الطائفة الصفوية فيحيل معاوية بن أبي سفيان وجيشه إلى هباء منثور في معركة صفين ؟

٣- ولماذا لم يستعن الإمام الحَسن عليه السلام بالولاية التكوينية على معاوية بن أبي سفيان فيطيح به وبجيشـهِ قبل أن يركن إلى الصلح معه في عام الجماعة ؟

٤- ولماذا فات على الإمام الحســين عليه السلام أن يتقي بها شـــرَّ اللعين عبيد الله بن زياد ومن هادنه من أهل الكوفة في مقاتلة ريحانة رسول الله ^ ، فيخلق بشراً أو ملائكة يقاتلون معه في واقعة الطف بكربلاء ٦١هـ ، أو يأمر ماء الفرات فيأتي إليه ليروي ظمأه أو ظمأ عياله من أهل بيته؟

ولم نجد ما نختم به الحديث عن هذه العقيدة الشركية غير قوله الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف].

*وللحقيقة أيضا، أقول : لم أسمع شيعياً عربياً واحداً يقول بالولاية التكوينيّة ويعتقد بها.

قال الله ﷻ : ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف : ٢٧].

٤- تحريف القرآن

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : **إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند أهل ذلك الزمان أبور من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيءٌ أنكر من المعروف لا أعْرَفُ من المنكر فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان.**

ما كان لإمام الهدى علي بن أبي طالب أن يقول ذلك البتة لو لم يقف على بعض المشاهد التي وقعت في فترة الخلافة الراشدة الرشيدة ،فقد هاله ما سمع ورأى من الخوارج والمارقين والسبئيين وغيرهم من أفراخ عصر الفتنة التي بدأت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه واتصلت مع خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وما تلاها(*)، فبدأ عصر جديد طالت الفتنة فيه كل شيء ووقع خلالها التحريف في كل شيء وعلى كل شيء ، ولو لم يكن الله قد تكفل بحفظ القرآن فقال تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]، لنجحت مساعي المؤسسات الصفوية بتحريفه وتمرير مزاعم أقطابها والتي أخذت أشكالاً عديدة نوجزها بما يأتي :

١- مزاعمهم بخلق القرآن وحذوهم حذو الجهمية في القول بخلق القرآن كلام الله المنزل غير المخلوق - وقد دلَّ الكتاب والسنة النبوية الشريفة وإجماع السلف على ذلك - في أكثر من موضع، وكان المجلسي شيخ الطائفة الصفوية قد زعم في كتابه بحار الأنوار (١١٧/٩٢—١٢١) بأن القرآن مخلوق ،وقال آية الله محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة ذلك فقال : قالت الشيعة والمعتزلة القرآن مخلوق. وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها عن آل البيت لوجدتها تخالف ما يذهب إليه هؤلاء. فقد جاء في تفسير العياشي عن الإمام الرضا إنه سئل عن القرآن الكريم فقال : إنه كلام الله غير المخلوق، وفي التوحيد لابن بابويه إنه قيل للإمام الرضا عليه السلام : يا بن رسول الله ما تقول في القرآن فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم : إنه مخلوق وقال قوم : إنه غير مخلوق ؟ فقال عليه السلام : أما أني لا أقول في ذلك ما يقولون ولكني أقول : إنه كلام الله عز وجل.

٢- قال الكليني صاحب كتاب أصول الكافي : إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم وإنَّ علياً كان قيّم القرآن وكانت طاعته مفترضة - واتفق مع الكليني في ذلك الكشّي في الرجال والصدوق صاحب علل الشرائع والمجلسي في بحار الأنوار والحر العاملي صاحب وسائل الشيعة-.

لكنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد جاء على تلك الدعوات ونسفها من القواعد بقوله عن القرآن المجيد في كتاب نهج البلاغة : **بعث الله رسله بما خصَّهُمْ به من وحيه وجعلهم حجّة له على خلقه ؛ لئلا تجب الحجة لهم بترك الأعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق**، وقال عليه السلام في المصدر نفسه: **القرآن آمرٌ زاجرٌ وصامت ناطق حجة الله على خلقه.**

٣- جاء في الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري بأن القرآن لم يجمعه كما نزل إلاّ علي عليه السلام وأن القرآن الصحيح عند المهدي، وقد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلّفه إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام بوصية من النبي، إذ بقيَّ بعد موته ستة أشهر مشتغلاً بجمعه كما أنزله وأتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله فقال لهم : هذا كتاب الله كما أنزل،وزعموا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قال له : لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك، عندنا قرآن كتبه عثمان ، فقال لهم علي-وعلى حدّ زعمهم - : لن ترونه بعد اليوم ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي عليه السلام، وقد اتفق مع الجزائري في ذلك الشيخ المجلسي فادعى في كتابه بحار الأنوار (٣٥٤/٥٢) أن القائم سيقوم بأمر جديد وكتاب جديد ورَخَّصَ الكليني في كتابه الكافي بقراءة القرآن الكريم الذي بين يدي المسلمين حتى يأتيهم من يعلمهم قرآن الشيعة الكامل.

(*) لذلك نجد علياً عليه السلام في مناسبة وأخرى وهو في أشد حالات الشوق للمسلمين الأوائل قد اختصر عليه السلام ذلك الشوق بقوله : **أوّه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة دُعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فاتبّعوه، بينما صب جام غضبه على من ادعى اتّباعه والسير على هدى الطريق الذي سلكه فقال لهم : وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب ولا تأخذون حقاً ولا تمنعون باطلاً.**

وبغية الكشـف عن أكاذيب أقطاب هذه الطائفة نورد جزءاً من خطبة للإمام علي ﷺ كان قد قال فيها : **فبعث محمدٌ صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيَّنهُ وأحكمه؛ ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقرّوا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوَّفهم من سطوته.**

٤- وقالوا في علي بن أبي طالب ﷺ إنه قرآن ناطق ، ونسب المجلسي في حق اليقين للإمام علي ﷺ إنه قال : هذا كتاب الله الصامت وأنا كلام الله الناطق، ونسي هذا المجلسي وسواه ما كان قد قاله الإمام علي ﷺ في القرآن المجيد في أوليات عصر الفتنة : **إن الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمر قائم، لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات والمشبهات هي المهلكات**، وأراد ﷺ أن يسكت تلك الأصوات النشاز مرة واحدة فقال : **وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعي لســانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه أرسله على حين فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، فقفّى به الرسل، وختم به الوحي، فجاهد في الله المُدبرين عنه والعادلين به**. كذلك ادّعوا أن القرآن لم يفسّــر إلاّ لرجل واحد وهو علي. (أرجو مراجعة ٢٥٠/١ من أصول الكافي للكليني).

٥- وجاء في كتاب بحار الأنوار للمجلســي أن الســيدة فاطمة الزهراء البتول عليها الســلام قد تركت مصـحفاً ما هو قرآن ولكن كلام الله أنزله عليها بإملاء رسـول الله ^ وخطُّهُ علي بيده. وقالوا في كلام نسـبه راويتهم علي بن أبي حمزة للإمام الصـادق ﷺ وزعموا إنه قال : وعندنا مصحف فاطمة عليها السلام، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسـول الله ^ وخطّه عليٌ ،.. كما أورد ذلك الشـيخ المجلســي في (٤٨/٢٦) من كتابه بحار الأنوار ووقبلها كان قد جاء على ذكره في الصفحتين (٤١، ٤٢) من نفس الجزء .

وادّعى عدد غير قليل من أركان الأقبية الصــفوية أن ثمة كتبًا ومصــاحف أخرى ربما هي أعلى من القرآن الكريم أهمية قد نزلت على النبي الأمين الذي اختص بها علياً دون ســواه، كصـــحيفة الجامعة، وصحيفة الناموس، وصحيفة العبيطة ،وصحيفة ذوابة السيف، وصحيفة علي والجفران الأبيض والأحمر، وصـــحيفة التوراة والأنجيل والزبور ، وللقارئ الكريم أن يراجع (٢٤/١) من أصـــول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني و(٢٠٧/١) من كتـابـه الكـافي، وكتـاب بحـار الأنوار للمجلســي (٤٢/٢٦، ٦٥/٢٧، ٣٧٥/١٠٤، ٥٦/٢٦، ٢٢/٢٦، ١١٧/٢٥، ٣٧/٢٦) ، ويتوقف عند قول الخميني في كتابه كشف الأسرار : فنحن نفخر بمصحف فاطمة ذلك الكتاب الذي ألهمه الله فاطمة الزهراء ؛ ليرى العجب العجاب!!.

وتعليقاً على ما ورد يمكن أن نقول : إذا كانت هذه الصحف وسواها من تنزيل رب العالمين فلماذا أحجم الرسـول الأمين محمد ^ عن التبليغ بها، والله تعالى يقول له في الآية ٦٧ من سـورة المائدة : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾، ولي أن اذكّرهم بقول الإمام الصـــادق ﷺ : **ما خالف كتاب الله فهو زخرف اضربوا به عرض الحائط.**

٦- إذا كان الإمام الباقر ﷺ قد قال ببراءة الله ورسوله من أشهر رواة أحاديث الطائفة المغيرة بن سعيد وبيان بن ســمعان ؛ لأنهما كذّبا على أهل البيت على حد قول الإمام الباقر ﷺ فكيف لهم أن يقولا بمثل ما قالا : (بأن القرآن ظاهر وباطن) ويزعما ما زعما وقالا : بأن للقرآن باطناً وظاهراً، .. وإذا كان الإمام الصـادق ﷺ قد قال في المغيرة بن سـعيد (نقلاً عن كتاب رجال الكشـي) : لعن الله المغيرة بن سـعيد كان يكذب علينا؛ فكيف لهم أن يأخذوا بقول كذاب أشِـر مثل المغيرة كان قد قال : إن الناس لا يعلمون إلا ظاهر القرآن، وإن الباطن لا يعلمه إلا الأئمة ؟ .. ولربما أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قد ســبق الآخرين ورأى ببصيرة العبد المؤمن ما لم يره أحد قبله ، وأراد أن يتصدى لمثل تلك التخرصات فقال في خطبة له

: وعليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين والمبين، والشـفاء النافع، والرأي الناقع، والعصـمة للمتمسـك والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيسـتعتب، ولا تُخلِقُهُ كثرة الرد وولوج السـمع ، من قال به صدق ومن عمل به سبق.

٧- تحريف القرآن : يقول علماء الطائفة إن عدد آيات القرآن الكريم سـبعة عشـر ألف آية كما ورد في كتاب الأصـول من الكافي للكليني والذي يناظر عندهم صـحيح البخاري ومسـلم عند أهل السـنة والجماعة حيث جاء فيه : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما نزل إلا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام.

ومن بين مزاعمهم أن القرآن المجيد قد حُرّف وأسـقطت منه بعض الصـور، وكثير من الآيات التي نزلت في فضائل أهل البيت وأمرت باتباعهم ... إلخ.

ومن بين ما قالوا في تحريف القرآن :

١- قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات ص٩٧ : إنَّ الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ٨ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان.

٢- جمع المحدث النوري الطبرسي ـــ أحد أعلام الطائفة ـــ في إثبات تحريف القرآن كتاباً أسماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» جمع فيه أكثر من ألفي رواية تنصُ على التحريف ،وجمع فيه أقوال جميع فقهاء وعلماء الطائفة في التصريح بتحريف القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين ، حيث أثبت أن جميع علماء الطائفة المتقدمين منهم والمتأخرين يقولون : إن هذا القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين محرَّف، وهو في ذلك يتفق مع بعض اليهود والنصارى الذين يقولون بتحريف القرآن الكريم.

٣- قال نعمة الله الجزائري صـاحب كتاب الأنوار النعمانية في الصـفحتين ٣٥٧، ٣٥٨ من الجزء الثاني منه ما نصّه : فإن بعد النبي (يعني الصحابة) قد غيرّوا في الدين ما هو أعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه ، وقال أيضاً : إن القول بصيانة القرآن وحفظه يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة ، بل المتواترة الدالة بصريحها.

٤- أما الفيض الكاشاني فقد قال في الصفحة ٤٩ من الجزء الأول من كتابه الصافي : إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما نزل على محمد ٨ ،بل منه ما هو محرّف خلاف ما أنزل الله.

٥- وقد اتفق مع الفيض الكاشـاني في الذي ذهب إليه علي بن إبراهيم القمّي الذي قال في الصـفحة ٣٧ من الجزء الأول من تفسيره بتحريف الآية ١٦٦ من سورة النساء والآية ٦٧ من سورة المائدة و....إلخ.

٦- ويقول أبو الحسـن العاملي عن المقدمة الثانية لتفسـير مرآة الأنوار ومشـكاة الأسـرار وطبعت هذه كمقدمة لتفسـير البرهان للبحراني : أعلم أن هذا القرآن الذي بين أيدينا قد وقع فيه بعد رسـول الله ٨ شـيء من التغييرات ،وأسقط الذين جمعوه بعدهُ كثيراً من الكلمات والآيات.

٧- وقال المجلسي (نقلاً عن الصفحة ١٥٠ من كتاب الشيعة والسنة) : وعندي أن الأخبار في هذا الباب يعني- أخبار تحريف القرآن - متواترة.

٨- أما الشـيخ محمد صـالح المزندراني فيقول في شـرح الكافي (٧٦/١١) : وإسـقاط بعض القرآن وتحريفه ثبُتَ في طرقنا بالتواتر.

وتعليقاً على ما تقدم يمكننا القول : رغم كل هذه الدعوات الصــفوية في تحريف القرآن والتي جئنا على بعضــها فإن هناك أصــواتًا قالت بغير ذلك فتناقض محســن الأمين مع ما كان قد ادّعاه فقال في كتابه أعيان الشــيعة (٤١/١) : لا يوجد أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً يقول : إن القرآن مَزيدٌ فيه ، ومن نســب إليهم خلاف ذلك فهو كذاب .. كذلك قال الشـــيخ محمد جواد مغنية وشـــرف الدين العاملي في مســـائل جار الله والعلامة ابن المطهر الحلي في أجوبة المســائل المهناوية ١٢١ المســـألة ١٣ والمحقق الأردبيلي في مجمع الفائدة، والبرهان (٢١٨/٢) للبحراني ،والشــيخ البهاء في آلاء الرحمن (٢٦/١) والبروجردي والطباطباني، ومحسن الحكيم والشيخ لطف الله الصــافي في كتابه صــيانة القرآن من التحريف، والسيد علي الميلاني في التحقيق في نفي التحريف .. فأي تناقض هذا؟!!!

وإذا كان الله تعالى قد قال في محكم كتابه الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر : ٩]، فقد قال الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة المنسوب إليه : **واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يُضلُّ، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان : زيادة في هدى، أو نقصان في عمى ، واعلموا أنه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحدٍ قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائِكُمْ، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به.**

وقال حفيده الإمام الصــادق عليه السلام (نقلاً عن كتاب أصــول الكافي لثقة الطائفة الكليني) : **كل شــيء مردود إلى كتاب الله والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف، اضربوا به عرض الحائط.**

وقال الإمام الرضا عليه السلام من بعده : **فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فأعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضــوه على ســنن النبي** ٨، (وهذا ما ورد في ٢٠/٢ من كتاب عيون أخبار الرضا للصدوق).

وكان لابد لنا من أن نأتي على ما جاء في كتاب كشف الأسرار (للإمام) الخميني والذي فيه ما يثير العجب ، وفيه الكثير من الشـــطط، فقد وقع هذا الرجل في تناقض قاده إلى الإعلان عن عدم صـــحة الولاية والإقرار بتحريف القرآن في آن واحد، فقد قال : لو كانت مســـألة الإمامة مثبتة في القرآن فإن أولئك الذين لا يعنون بالإســلام إلا لأغراض الدنيا، كانوا يتَّخذون من القرآن وسـيلة لتنفيذ أغراضــهم المشبوهة، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته ويسقطون القرآن من أنظار العالمين إلى الأبد.

تعليق :

هذا ما قاله الإمام الخميني الذي ربما فاته قول الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[سبأ : ٣١].

مثلما فاته أن يقرأ ما كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قاله في الصـــفحة ٥٥ من الجزء الأول من كتاب نهج البلاغة (في ذم اختلاف العلماء في الفُتيا) : **تردُ على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد. أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. أم نهاهم عنه فعصوه. أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه. أم كانوا شركاء له. فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصَّر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وإدائه**، والله سبحانه يقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[الأنعام : ٣٨]، فيه

تبيان كل شـيء وذكر أن الكتاب يُصـدّق بعضـه بعضـاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سـبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النسـاء : ٨٢]، فالقرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به.

ورأيت أن أناقش في هذا المبحث ادعاء أحد شيوخ الطائفة الصوفية أن الرسول الكريم محمدًا ^ وقبل أن يبعثه الله تعالى نبياً قد جاء إلى بيت عمه أبي طالب في اليوم الذي ولد فيه علي عليه السلام فسـمع عليّا يقرأ سورة (المؤمنون) عن ظهر قلب فابتسم النبي!

تعليق :

لو كان ذلك الشيخ (الجليل) قد قرأ القرآن الكريم جيداً ووقف على قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى]. لما تجرّأ على الله تعالى، وإذا كان ليس بإمكانه أن يقول الحق فلماذا لم يصمت ؟

والله ورسوله يشهد أنني لم أر شيعياً عربياً يقول بتحريف القرآن الكريم .

قال الله ﷻ : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الملك : ٢١].

٥- الرزق

قال الإمام علي عليه السلام في وصية له لولده الحسن عليه السلام : **إن الرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك ،فإن أنت لم تأته أتاك، ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى ، إن لك مني دنياك ما أصلحت به مثواك. (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي عليه السلام).**

وروى الكليني في الصفحة (٥٠٧) من الجزء الأول من كتابه الكافي عن أبي هاشم الجعفري قال : شكوت إلى أبي محمد عليه السلام فحكَّ بسوطه الأرض وقال : وأحسبه غطاهُ بمنديل، ورفع المنديل وأخرج ٥٠٠ دينار فقال : خذ يا أبا هاشم واعذرنا.

وكان الكليني في الصفحتين (٣٩٤ و٣٩٥) من الجزء الأول من كتابه الكافي قد قال : إن أئمة آل البيت عندهم خزائن الأرض ومفاتيحها، يخرجون سبائك الذهب من باطنها متى شاؤوا، فيا ترى هل تصمد تلك الدعاوى الصفوية وغيرها أمام ما كان قد قاله الإمام علي عليه السلام في العديد من المناسبات بهذا الشأن والتي سنأتي على بعضٍ منها؟ !!

١- قال الإمام علي عليه السلام : **كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به، غنى كل فقير وعز كلَّ ذليل، وقوَّةُ كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن ومات إليه منقلبه، لم ترَك العيون فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقك، لم تخلق الخلق لوحشة، ولا استعلمتهم لمنفعة، ولا يسبقك من طلبت، ولا يفلتك من أخذت، ولا ينقص سلطانك من عصاك، ولا يزيدُ في ملكك من أطاعك، ولا يرد أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك، كل سر عندك علانية، وكل غيب عندك شهادة، أنت الأبد لا أمد لك، وأنت المنتهى لا محيص عنك.**

٢- ومن بين ما قاله الإمام عليه السلام في المصدر نفسه : **أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب.**

٣- كما قال الامام علي عليه السلام في مناسبة أخرى : **قسَّمَ أرزاقهم، وأحصى آثارهم وأعمالهم وعدَّ أنفاسهم وخائنة أعينهم، وما تخفى صدورهم من الضمير، ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات، هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته.**

٤- وقال الإمام علي أيضاً : **اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح غيرك، وبي فاقة إليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلتها إلاّ منك وجودك، فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك على كل شيء قدير.**

أما الإمام الصادق عليه السلام فقد قال -في الصفحة (٢٧٤) من الرجال للكشّي – عن المفضل بن عمرو الذي ادعى أن أئمة آل البيت يقدرون أرزاق العباد : **والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى الطعام فضاق صدري.**

وكان الإمام الصـــادق عليه السلام قد قال (نقلاً عن ٥٩٠/٤ من رجال الكشـــي) : والله لو أقررت بما يقول فيّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض وما أنا إلا عبدٌ مملوك، لا أقدر على شيء ضراً ولا نفعاً.

وإذا أردنا أن نطوي صفحات هذا الملف لننتقل إلى ملفٍ آخر فلابد لنا من أن نأتي على قول فصل قاله الإمام علي عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لنُسكِتَ كلَّ الأصوات التي قاتلت الإسلام بسيف علي ولسانه الذي أفصحَ حين قال : **يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإن الفقر منقصة للدين مَدْهَشة للعقل داعية للمقت**.

* وللأمانة أقول :ربما لا يؤمن بهذه العقيدة الكفرية حتى عوام الشـــيعة العرب ، (أقول ربما)لكن المتنورين منهم لا يعتقدون بذلك أبداً .



قال الله ﷻ في محكم كتابه المجيد : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

٦ـ الدعاء

وكان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد أوصى ولده الحسن (عليه السلام) قائلاً: **واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيّسك من الرحمة، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة.**

وقال الرسول الأمين محمد ^ : أفضل العبادة الدعاء.

وكان الإمام علي (عليه السلام) قد قال : للدعاء شروط أربعة: الأول : إحضار النية، والثاني: إخلاص السريرة، والثالث: معرفة المسؤول، والرابع: الإنصاف في المسألة.

وقال الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : إن الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة، إن الدعاء ليرد البلاء وقد أبرم إبراماً.

وكان ولده الإمام الباقر (عليه السلام) قد قال : **والله لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجته إلا قضاها له.**

أما نجله الإمام الصادق (عليه السلام) فقد قال : **إن الدعاء يرد القضاء وقد نزل من السماء وقد أبرم إبراماً**، ومما قاله أيضاً : عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء .. وكان قد قيل للإمام الصادق (عليه السلام) : **جعلت فداك إن الله يقول ادعوني أستجب لكم إنا ندعوا ، فلا يستجاب لنا، قال: لأنكم لا توفون لله بعهده وإن الله يقول : أوفوا بعهدي أوف بعهدكم.**

ومن بين أهم ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام) في شأن الدعاء : إن رجلاً كان في بني إسرائيل قد دعا الله أن يرزقه فقال : يا رب أبعيد أنا منك فلا تسمعني ؟ أم قريب أنت فلا تجيبني ؟ فأتاه آتٍ بمنامه فقال له : إنك تدعو الله بلسان بذيء وقلب غلف عاتٍ غير نقي وبنيَّةٍ غير صادقةٍ، فأقلع عن بذاءتك وليتق الله قلبك، ولتحسن نيتك ففعل الرجل ذلك فدعا الله ﷻ فولد له غلام.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) : إن الله يؤخر إجابة المؤمن شوقاً إلى دعائه.

وقال الإمام علي الهادي (عليه السلام) في الدعاء عن عمر بن يزيد قال : سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : إن الدعاء يرد ما قد قدر وما لم يقدر، قلت : وما قد قدر عرفته فما لم يقدر ؟ قال: حتى لا يكون.

ولم يذهب أئمة آل البيت الشريف بعيداً عما قاله النبي المصطفى في الدعاء كما رأينا في ضرورة عدم الاستعانة بغير الله ﷻ في الدعاء فقد وردت العديد من الأحاديث والمرويات للرسول المصطفى ^ وأئمة آل بيته الكريم:

١ـ حَرَصَ الرسول الأمين ^ على تعليم ريحانته من الدنيا الإمام الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهما السلام دعاءً يقوله قبل نومه جاء فيه : **اللهم اقذف في قلبي رجاك واقطع رجائي عمن سواك ولا أرجو أحداً غيرك.**

٢- أما الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أوصى ولده الحسن عليه السلام قائلاً : **فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته، فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيتَهْ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جَمالُه ويُنفى عنك وبالُه، فالمالُ لا يبقى لك ولا تبقى له، واعلم أنك إنما خُلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء.**

٣- وللإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام دعاء أورده الطبري في الصفحة (٣٥٠) من الجزء السادس من تأريخه توجّه فيه إلى الله تعالى في العاشر من عاشوراء عام ٦١هـ - واقعة الطف - وجاء فيه : **اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدّة، وأنت لي في كل أمر نزل ثقة وعده، كم من هَمّ يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً مني إليك عمّن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل سنة ومنتهى** كل رغبة.

٤- ويقول الإمام السجّاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في دعاءٍ وجدته في جنبات صحيفته المعروفة بالصحيفة السجادية : **الحمدُ لله الذي أدعوه ولا أدعو غيره وإن دعوت غيره لم يستجب دعائي والحمدُ لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لخيّب رجائي.**

وعلى الرغم من كل الذي أتينا على ذكره فإن أقطاب البيت الصفوي لم يجدوا حرجاً في الخروج عن الثوابت التي كان الله تعالى قد حددّها في موضوعة الدعاء وسار على هداها النبي الكريم محمد ^ وآل بيته الشريف عليهم السلام فاعتقدوا بما يأتي :

١- قولهم : إنَ الدعاء لا يقبل إلاّ بأسماء الأئمة وقالوا في هذا الصدد : لا يفلح من دعا بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، وتجرؤوا على الله فقالوا : إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين. (وهذا ما جاء على ذكره المجلسي في كتابه بحار الأنوار وأورده الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة في ١١٤٢/٤).

٢- وقالوا إنَّ لا هداية إلا بالأئمة إذْ قال الإمام الصادق ـــ على حد زعمهم ـــ : بلية الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا (وقد ذكر ذلك الصدوق في كتابه الأمالي) .. وتقول أخبارهم : قال الإمام الباقر عليه السلام : بنا عُبدَ الله وبنا عُرف الله وبنا وحّد الله. (وقد أتى على ذكر ذلك المجلسي في ١٠٣/٢٣ من كتابه بحار الأنوار) .. ولهذا كله فإنهم يعتقدون أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه في كل شيء وفي الدعاء على وجه التحديد، فقالوا ما قاله شيخهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار : إنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق.

تعليق :

هذا ما قاله بعض أركان المؤسسة الطائفية لكن الله تعالى يقول : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠]، ولم يقل سبحانه : فادعوه بأسماء الأئمة ومقاماتهم ومشاهدهم، وقال كذلك ﷻ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر : ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال تعالى: ادعوني بأسماء الأئمة أستجب لكم، ولأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول، قال تعالى : ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر].

أما دعواهم بأن دعاء الأنبياء استجيب بالأئمة فهي دعوة غير واردة إذ إن الأنبياء دعوا الله ﷻ باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى وأنه ﷻ أرحم الراحمين : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء]، وأما يونس عليه السلام فتوسّل الله بوحدانيته، قال تعالى : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء]، ولم يتب الله تعالى على آدم وزوجه إلا بعد أن : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف].

أمّا أشكال المزاعم الصفوية في الدعاء فيمكن ان نوجزها بما يأتي :

١- جاء في كتاب بحار الأنوار (٢٩/٩٤) لشيخ الطائفة المجلسي، إن كانت لك حاجة عند الله ﷻ فاكتب رقعة على بركة الله واطرحها على قبر من قبور الأئمة إن شئت، أو فشدها واختمها واجعل طيناً نظيفاً ، واجعلها فيه واطرحها في نهر جارٍ أو بئر عميقة أو غدير ماء، فإنها تصـــل إلى الســـيد عليه السلام وهو يتولى قضاء حاجتك بنفسه، ويكتب في الرقعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتبت إليك يا مولاي صلوات الله عليك مستغيثاً فأغثني يا مولاي صلوات الله عليك عند اللهف .. وقدّم المسألة لله ﷻ في أمري قبل حلول التلف وشماتة الأعداء، فيك بسطت النعمة عليَّ واسأل الله (والخطاب موجه للإمام في قبره) جل جلاله لي نصراً عزيزاً...). (بحار الأنوار ٣/٩٤ للشيخ المجلسي).

أو أن تكتب رقعة إلى صــاحب الزمان وتكتب فيها : بســم الله الرحمن الرحيم توســلت بحجة الله الخلف الصــالح محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب النبأ العظيم والصراط المستقيم والحبل المتين، عصمة الملجأ وقسيم الجنة والنار أتوسل إليك بآبائك الطاهرين، وأمهاتك الطاهرات الباقيات الصـــالحات أن تكون وســيلتي إلى الله ﷻ في كشـــف ضرّي، وحل عقدي وفرج حسرتي وكشف بليتي (مع العلم أن التصريح باسم صاحب الزمان عندهم كما جاء في كتاب الكافي للكُليني (٣٣٢/١-٣٣٣) منهي عنه).

٢- ومما ورد في بحار الأنوار للمجلسي (٢٥٧/١٠١-٢٦١) عن المزار الكبير لمحمد مشهدي : روي عن جعفر الصـــادق إنه قال فيما ينبغي لزائر قبر الحسـين، وأمر قبل بدء هذه الزيارة بصـيام ثلاثة أيام ثم الاغتســـال ولبس ثوبين طاهرين ، ثم صـــلاة ركعتين فإن أتيت الباب فقف خارج القبة وارم بطرفك نحو الباب وقل : يا مولاي يا أبا عبد الله يا بن رسول الله عبدك وابن عبدك وابن أَمَتِكَ الذليل بين يديك ،المقصّر في علوّ قدرك المعترف بحقك جاءك مستجيراً بذمتك أتيتك خائفاً فأمّني وأتيتك مستجيراً فأجرني ، ثم انكب على القبر ثانيةً.

٣- وقال الشـــيخ المفيد : فإن أردت الخروج فانكب على القبر وقبّله، إلى أن قال : ثم ارجع إلى مشـــهد الحســين وقل : الســـلام عليك يا أبا عبد الله أنت لي جُنة من العذاب (عن المزار الكبير، ص١٥٤ لمحمد المشهدي) .

٤- وقال (الإمام) الخميني في الصــفحة (٤٩) من كتابه كشــف الأســرار : وطلب الحاجة من الحجر والصــخر ليس شــركاً ،ثم أننا نطلب المدد من الأرواح المقدســة للأنبياء والأئمة ممن قد منحهم الله القدرة. وفي الصــفحة ٣٠ من كتابه كشــف الأســرار قال (الإمام) الخميني أيضــاً: ولهذا لو طلب أحد حاجته من الحجر والمذر لا يكون مشركاً.

تعليق :

إذا جاز لأحد أن يدعو أحداً غير الله تعالى فلماذا لم يرفع الإمام علي عليه السلام دعاءهُ لأشــرف الأنبياء والمرسلين الرسول محمد ^ في كل ما ألم به، او يستعن بزوجه فاطمة الزهراء البتول وهي سيدة نساء أهل الجنة؟ وإذا كان الأمر كما يّدعون إذن لماذا لم يســتعن المســلمون في عام الرمادة ١٧هـــــ (أو عام المجاعة أو الجدب أو القحط) بالرســول المصــطفى في دعائهم إلى الله تعالى في كل أمر خاصـــة في الاستسقاء وقالوا (مثلاً) : نستمطر بك السماء يا رسول الله أو استمطر لنا السماء ؟. وأرجو من القارئ الكريم مراجعة استسقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس عم الرسول رضي الله عنه (بغية إعمال العقل ومقاضاة خبر الدعاء).

وإذا صـحّت مزاعمهم فلماذا لم يستنجد الإمام الحسين عليه السلام في أتون واقعة ألطف بشقيقه الحسن عليه السلام فيدعوه من دون الله أو يدعو الله متشفعاً بما للحسن عليه السلام من منزلة عند الله وهو سيد شباب أهل الجنة .. وإذا كانوا هم من أتباع الإمام جعفر الصـــادق عليه السلام كما يّدعون فلماذا لا يقتدون به في الدعاء وقد نهى عليه السلام عن التوجّه بالدعاء لغير الله؟ (وقد أورد ذلك الكليني في كتاب الكافي) .. وقال الصّادق قولته الشهيرة : **إن الدعاء لغير الله شــرك..، وكان له دعاءٌ توجَّه به إلى الله تعالى قائلاً : اللهم احرسـني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واحفظني بقدرتك عليّ ولا تهلكني وأنت رجائي، ربي كم من نعمة أنعمت بها عليّ قلَّ لك عندها شــكري وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ لك عندها صــبري، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ،ويا من قلّ عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من رءاني على المعاصي فلم يفضحني ويا ذا النعم التي لا تُحصـــى أبداً ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أيده أعنّي على ديني بدنياً وعلى آخرين بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسـي فيما خطرت، يا من لا تضـره الذنوب ولا تنقصـه المغفرة ،اغفر لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك يا وهاب أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً والعافية من جميع البلايا وشكر العافية.**

قال الله عز وجل :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢].

ولو كانت مزاعم دعاة البيت الصـفوي صـحيحة في ضـرورة الاسـتعانة بالأئمة الأطهار في التوجّه بالدعاء إلى الله تعالى لجاز لفاطمة الزهراء البتول أن تســتعين بزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام على أحد وهو حي يرزق لنستعين به وهو ميت ولكان الامام علي عليه السلام قد استعان بالنبي المصطفى وهو ميت في دفع الفقر الذي عاش ومات عليه كي نستعين به وهو ميت عليه السلام ؟

قال الله تعالى :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣].

وهناك عقيدةٌ ترقى إلى مستوى البدعة نراها تندرج في موضوعة بحثنا هذا ألا وهي عقيدة التوكل على الأنبياء والأئمة والصالحين،أو القسم بهما وقد وقفنا على من يقول : توكلنا عليك يا فلان أو يا أبا فلان أو يا فلانة، أو يســـمي أبناءهُ بأســـماءٍ تظهر العبودية لغيرالله ، ولقد رأينا ما رءاه الغالبية العظمى من علماء المسلمين في أن هذه العقيدة الشـركية تتقاطع مع قول الله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النسـاء : ٨٨]. وكان الرسول الأكرم قد قال:- من أقسم بغير الله فقد أشرك.

*أما الشـــيعة العرب وللأمانة أقول: إنّ عوامهم يؤمنون بهذه العقيدة إلاّ أنّ المتنورين منهم لا يعتقدون بذلك .



قال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجن : ٢٦].

٧- علم الغيب

وجاء في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : **إن الدنيا لم تكن لتستقر إلاّ على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد، أو ما شاء مما لا نعلم فإن أشكل عليك شيء من ذلك فأحمله على جهالتك به.** (نهج البلاغة).

عقد الكليني في علم أئمة آل البيت النبوي الشريف -بما كان وما سيكون- باباً في كتابه أصول الكافي بعنوان : باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وضمَّنه طائفة من الروايات المكذوبة وعقد باباً آخر بعنوان (باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا)، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب قول الإمام الصادق ـ كما يزعمون ـ : إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون. وعن سيف التمار قال : كان مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال : علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا : ليس علينا عين، فقال : ورب الكعبة ورب البنية ـــ ثلاث مرات ـــ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ^ وآله وراثة. (كما ورد ذلك في كتاب أصول الشيعة الإمامية للكركي).

كذلك جاء في ص١٢٥-١٢٦ من كتاب الصافي للفيض الكاشاني : أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم الله إياه، وهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم وهم يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون ولا يخفى عليهم شيء.

كما زعموا أن معرفة الغيب من حق أئمتهم وحدهم ،وليس من حق النبي أن يخبر عن الغيب ، ولذلك فإن بعضهم ينسب الألوهية لهؤلاء الأئمة، ويذهب بعضهم أبعد من ذلك فيشركون الأئمة مع الله في الخلق والتدبير.

وهذا موجز أراه مفيداً في استعراض أبعاد هذه العقيدة الشركية وقد رأيناها كذلك عندما وقفنا على بعض ما جاء في كتاب نهج البلاغة ومما كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قاله :

١ــ قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب بعثهُ لأهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة : **أما بعد فإني قد خرجتُ من حيِّ هذا إما ظالماً أو مظلوماً، وإما باغياً وإما مبغياً عليه، وإني أذكر الله من بلغه كتابي هذا لمّا نفر إليَّ فإن كنتُ محسناً أعانني وإن كنت مسيئاً استعتبني.**

تعليق : إذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أكثر الناس ورعاً وتقوى يشكّ حتى في كنه نفسه إن كان ظالماً (حاشاه) أو مظلوماً ، أو كان باغياً (حاشاه) أو مبغياً عليه ولا يدرك إن كان مسيئاً (حاشاه) أو محسناً فكيف له أن يعرف الغيب كما يدَّعون ؟

٢ـــــ ومن كلام له عليه السلام قال الإمام علي بن أبي طالب قبيل موته على سبيل التوصية : ... أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم، إن أبقى فأنا ولي دمي وإن أفنى فالفناء ميعادي.

تعليق : لو كان الإمام علي عليه السلام يعلم الغيب ويعلم متى يموت ولا يموت إلا باختياره حقاً على حد زعم فقهاء الطائفة لما جاز له أن يقول ما أوردنا في ثانياً.

٣ـــ وكان من بين ما قاله الإمام علي عليه السلام في وصـية منه لولده الحسـن عليه السلام بما يعمل في أمواله بعد منصـرفه من صـفين : **وإنه يقوم بذلك الحسـن بن علي يأكل منه بالمعروف، وينفق في المعروف فإن حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر بعده وأصدره مصدره.**

تعليق : لو كان علي بن أبي طالب عليه السلام عميد آل بيت النبوة يعلم الغيب لما جاز له أن يقول ما قاله لولده الحسـن عليه السلام، ولو كان له في الغيب علمٌ لعرف أَنَّهُ سـوف يعود من صـفين حياً يرزق، فلا حاجة له بهذه الوصية أصلاً.

٤ـ ومن الحوادث التي تتصل بموضوعة بحثنا ـ علم أئمة آل البيت بالغيب ـ والتي جاء على ذكرهاابن تيمية صاحب كتاب مجمع الفتاوى، وابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية، وأوردها صاحب كتاب منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله وأتى عليها الدكتور الصـلابي في كتابه سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حِرصَ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، فلما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسـافر لقتال الخوارج، عَرضَ له منجّمٌ، فقال : **يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإذا القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك ـ أو كما قال ـ فقال علي : بل أسـافر ثقة بالله وتوكّلاً على الله وتكذيباً لك، فسـافر فبورك له في ذلك السـفر، فقتل عامة الخوارج، وجاء في رواية : ... فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون : سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر.**

انظر ـــ عزيزي القارئ ـــ إلى حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادّعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلي رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتل الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد- في الوقت المناسب- بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم.

٥ـ ومن بين ما قاله الإمام علي عليه السلام في مناجاة ربه، وجاء على ذكره جامع كتاب نهج البلاغة ما يؤكد نفي الإمام علي عليه السلام علمه بالغيب، سنجتزءُ بعضاً مما قاله عميد آل بيت النبوة الإمام علي عليه السلام وهو يناجي ربَّهُ : **وأنت الموعد لا منجى منك إلاّ إليك، بيدك ناصـية كل دابة، وإليك مصـير كل نسـمة، سـبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك وما أصـغر عظيمَهُ في جَنب قدرتك، وما أهول ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك، وما أسبغ نعمك في الدنيا، وما أصغرها في نعم الآخرة.**

والغريب في الأمر أننا نجد شيخ الطائفة - المجلسي - ينفي في كتابه بحار الأنوار علم أئمة آل بيت النبي ^ بالغيب ،وينأى بهم عن العصمة وعلم الغيب في آن واحد فيقول: لم يكن إمام إلاّ مات مقتولاً أو مسموماً، .. فإذا كان الإمام يعلم الغيب - على حد زعم الكليني والعاملي - فكان من الأولى أن يعلم ما يقدم له من طعام أو شراب فإن كان مسموماً علم ما فيه من سم فتجنّبه، فإن لم يتجنّبه مات منتحراً.

٦- وقال الإمام الصادق عليه السلام : **إنّا والله لا نعلم كل ما يسألوننا، ولغيرنا أعلم منّا.**

(وهذا ما ورد في سـير أعلام النبلاء للذهبي وأنا لا أريد أن أجعله حجة على علماء الطائفة الصـفوية لأسباب قد يعرفونها) .

أما نحن فنقول وباختصار شديد :

١ـــ لو كان الإمام علي عليه السلام يعلم الغيب حقاً ـــ كما يزعمون ـــ لأدرك في فجر التاسع عشر من شهر رمضان عام ٤٠ هـ أن عبد الرحمن بن الملجم المرادي (لعنه الله) سيغتاله غيلةً؛ ليتفادى ما كان سيقع له؟

٢ــ وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم الغيب ــ كما يزعم أقطاب المؤسسة الصفوية ــ إذن لماذا سار إلى العراق وهو يعرف بحكم هذه المهمة الإلهية أنهُ مقتول لا محالة هو وأهل بيته ومن دافع عنه من أصحابه في واقعة الطف بكر بلاء عام ٦١ هجرية.؟

آخر الأدلة :

أما الإمام الصادق عليه السلام ففي وصية له لولده موسى عليه السلام ما يؤكد عدم معرفته بالعصمة التي خلعها عليه وعلى باقي الأئمة الاثنى عشر أقطاب المؤسسة الصفوية .. وقد جاء في تلك الوصية : **يا بني أقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعش سعيداً .. من رضي بما قسم له استغنى، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً .. إياك أن تزدري فيُزدرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل؛ لذلك يا بني قل الحق لك أو عليك تستشأن من بين أقرانك، يا بني كن لكتاب الله تالياً وللإسلام فاشياً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهيا، ولمن قطعك واصلاً ولمن سكت عنك مبتدئاً ،ولمن سألك معطياً، وإياك والنميمة فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف ،يا بني إذا طلب الجود فعليك بمعاونه فإن للجودِ معاون وللمعاون أصولاً .. إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها .. قال علي بن موسى:- فما ترك هذه الوصية إلى أن توفى.**

ومما قاله الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن (٧٤/٣) من إثبات الهداة للعاملي : **والله قد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت عني فما علمت في أي بيوت الدار هي ؟** (كما ذكره الكليني في أصول الكافي).

وذكر الكشّي في ١٩٢ من الرجال : إنه قيل للإمام الصادق عليه السلام : **تعلم قطر المطر وعدد النجوم، وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده وقال : سبحان الله لا يعلم هذا إلا الله.**

أما الشيخ الصدوق فيقول في كتابه إكمال الدين : **الإمام لا يعلم الغيب وإنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسنّة، ومن ينحل للأئمة علم الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الإسلام عندنا وإن الغيب لا يعلمه إلا الله.**

وقد قال الإمام موسى الكاظم نقلاً عن الصفحة ١١٥ من ودائع النبوة للحر العاملي:**لقد آذاني (جهلاء الشيعة) وحمقاهم ومن دينه جناح البعوضة إرجح منهُ ، إني بريءٌ إلى الله ممن يقول : إنا نعلمُ الغيب .**

وجاء في مروياتهم أن يحيى بن عبد الله قد سأل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقال : جُعلتُ فداك إنهم يزعمون أنّك تعلمُ الغيب ؟ فقال : سبحان الله ضع يدك على رأسي ، فوالله ما بقيت شعرة في رأسي وفي جسمي إلا وقامت ، لا والله .

*وبحياديةٍ عاليةٍ أقول : يتحدّث بعض عوام الشيعة بهذه العقيدة مع اعتقادهم بوحدانية الله تعالى.



قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق : ١٦].

٨- العصمة

جاء في كتاب نهج البلاغة المنسوب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام إنه قال : **اللهم إن فههت عن مسألتي أو عميت عن طلبتي فدُلني على مصالحي، وخذ بقلبي إلى مراشدي، فليس ذلك بنكرٍ من هداياتك، ولا بِبدعٍ من كفاياتك، اللهم احملني على عفوك، ولا تحملني على عدلك.**

وقال الإمام الصادق عليه السلام : كما جاء في كتاب بحار الأنوار للمجلسي (٢٠٧/٢٥) : **إننا لنذنب ونسيء ثم نتوب إلى الله متاباً ..**، ويقول بعض علماء الشيعة العرب: إن ليس للعصمة من معنى سوى أنها بمعنى الحفظ والتسديد والتأييد، أما علماء الطائفة الصفوية فيقولون : إن عصمة الإمام والتسديد هي شرط من شروط الإمامة، وهي من المبادئ الأولية في كيانها العقدي ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه فقهاء الطائفية على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الأمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه ،لأن عنده من العلم ما لا قِبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرروا للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا تصدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد في الصفحة ٦٣ من كتابه أوائل المقالات فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنه لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنّه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا ذهب سائر الإمامية إلا من شذّ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنّه من هذا الباب، وقال ابن المطهر الحلي في كتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٩٠ : ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً، وخالف فيه جميع الفرق.

وقد نص على ذلك المجلسي ـــ في تناقض كبير مع ما كان قد جاء على ذكره آنفاً ـــ بقوله : أعلمُ أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه.

وروى الصدوق بسنده عن ابن عباس ــ كذباً وزوراً ــ إنه قال : سمعت رسول الله ٨ يقول : «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون»، وقال أيضاً في تقرير ذلك : اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهّرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر». (وهذا ما ذكره الصدوق في الصفحة ٤٧٤ من كتابه إكمال الدين وقاله الزنجاني في الصفحة ١٥٧ من الجزء الثاني من كتابه عقائد الإمامية الاثنى عشرية).

ولنقف الآن على نفي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لهذه العصمة في العديد من خطبه التي كان قد جاء عليها كتاب نهج البلاغة :

١- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في دعاءٍ له : **اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو نفتتن عن دينك، أو تَتَابَعَ بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك.**

٢- ومن بين ما قاله أيضاً في وصيتِهِ لولده الحسن عليه السلام : **فإنك أول ما خُلقت خُلقت جاهلاً ثم علمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضلّ فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك.**

٣- ومما قاله (عليه السلام) في هذا الصـــدد : **اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيْتُ من نفســي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلســاني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان.**

٤- وكان الإمام علي (عليه السلام) قد قال في دعاء ربه بعد أن امتدحه قوم : **اللهم إنك أعلم بي من نفســي وأنا أعلم بنفســي منهم، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون** وقال (عليه السلام) : لا يسـتقيم قضــاء الحوائج إلا بثلاث : باستصغارها لتعظم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لِتَهْنُوءَ.

٥- ولقد دحض الإمام علي (عليه السلام) كل دعاوى زعماء الطائفة بعصمة الأئمة عندما قال في الصفحة ٣٣٥ من كتاب نهج البلاغة : **لا تخالطوني بالمصـــانعة ولا تظنوا بي اســتثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس ،فإنه من اســتثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه،فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق أن أخطيء ولا آمن ذلك من فعلي.**

٦- وأورد «كبير الطائفة» الصدوق في كتابه الأمالي وفي الصفحة ٤٧٠ منه : أن الإمام علي (عليه السلام) قد أنفق ذات مرة أموال مزرعة باعها، حتى لم يبق لديه درهم واحد فاحتجَّتْ فاطمة الزهراء البتول على ذلك وأمســكت بثوبه وضــربته على يديه فنزل جبريل (عليه السلام) وأخبر النبي (عليه السلام) فذهب إليها وقال : ليس لك أن تمسكي بثيابه ولا تضربي على يديه، فقالت : إني أستغفر الله ولا أعود أبداً.

٧- وقال الإمام السجّاد علي بن الحسين عليهما السلام في صحيفته السجادية التي يسمونها زبور آل محمد : **اللهم اعصمني من أن أظن بذي عدم خساسه صاحب ثروة، فضلاً فإن الشريف من شرفته طاعتك والعزيز من أعزّته عبادتك.**

٨- وجاء في الكافي للكليني (الروضــة) وفي الصــفحة ٣١٢ منه وفي كتاب إثبات الهداة للحر العاملي (أحد شيوخ الشيعة) إن الإمام الصادق (عليه السلام) قد قال : مستكملاً ما أورده الكشّي في رجاله والذي أشرنا إليه في سادساً : **إنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون ومسؤولون، أشهدكم إني امري ولدني رسول الله ، وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً.**

٩- ويذكر نقيب الطالبيين في عصــره الشــريف الرضــي (رضي الله عنه) والذي تكفَّلَ جمع نهج البلاغة، أن الإمام الحسن(عليه السلام) استعاد قطيفة من بيت المال فغضب عليه الإمام علي (عليه السلام) وقال : يا أبا محمد النار ؟ يا أبا محمد النار ؟ حتى خرج منها.

١٠- ومن بين ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام) وأورده الكشي في الصفحة ٢٢٥ من الرجال : **فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع فإن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجّة ولا معنا من الله براءة.**

١١- ومما قاله الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في شأن العصمة وجاء على ذكره المجلسي في بحار الأنوار (٢٠٣/٢٥) والكليني في الكافي (٢٣٦/٣) والمفيد في التهذيب (١١١/٢) وأورده الأردبيلي صاحب كتاب كشف الغمة (٤٦/٣) : **ربِّ عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لأكمهتني، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لأصممتني، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزتك لمنعتني، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لأعقمتني، وعصيتك برجلي ولو شئت وعزتك لجذمتني، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليَّ ولم يكن هذا جزاؤك مني.**

تمرين لإعمال العقل :

لو كان آل بيت النبي المصطفى محمد ^ معصومين كما يدعي أقطاب الطائفة الصفوية لما كان لنبينا الكريم ^ أن يقول **: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**، ولجاز لغيره أن يقول له : كيف لفاطمة الزهراء عليها السلام أن تسرق وهي معصومة يا رسول الله **؟!**

*ويرى المتنورون من أبناء الشيعة العرب أن العصمة محصورة في النبي محمد ^ وباقي الأنبياء والرّسُل دون سواهم .



قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [النور].

٩- نور فاطمة

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : **ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رُواؤه، وطِيب يأخذ الأنفاس عَرْفُهُ لفعل، ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة، ولخفت البلوى فيه على الملائكة، ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختيار لهم ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم.**

أما (الإمام) الخميني فيذهب بعيداً عما قاله الله تعالى وفي أكثر من آية بيّنةٍ من كتابه الكريم ويختلف تماماً مع ما قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقد ادّعى أنَّ ولادة الزهراء كان فيها من الإعجاز الشيء الكثير، وأنّها حادثة عظيمة وقعت بين السماء والأرض حيث ظهر نور في السماء لم تشهده الملائكة من قبل، وهذا النور هو فيض إلهي وهو أول الخلق ... إذ كان كذلك فإن نور الرسول محمد ^ ونور علي عليه السلام ونور فاطمة عليها السلام هي الأنوار الإلهية التي خلقها الله سبحانه في بدء الخليقة ،والجمع بين نور علي عليه السلام ونور فاطمة عليها السلام لم يأت من قبيل الصدفة بل كان من ضمن أسرار الخليقة أيضاً، فعلي عليه السلام نبي بقول رسول الله : «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وهذا يعني لو لم يكن رسولنا الكريم ^ هو خاتم الأنبياء لكان الإمام علي عليه السلام نبياً وهكذا فاطمة الزهراء التي تحمل صفات الأنبياء حيث يقول (الإمام) الخميني : لو لم تكن فاطمة امرأة لكانت نبياً ،. وهذا الكلام ليس فيه مغالاة - كما يزعمون - لأن الزهراء عليها السلام تفردت بزيارة الوحي في الـ٧٥ يوم التي عاشتها بعد وفاة أبيها ،ومن البديهي ألا يحظى بهذا الشرف سوى الأنبياء عليهم السلام فصفات الأنبياء حملتها الزهراء وبعلها علي عليه السلام وأورثوها للإمامين الحسنين عليهما السلام ؛ ليشكِّلوا بذلك أنوار العرش الإلهي وادّعوا أن الرسول الكريم محمدًا ^ قد قال : خلق الله نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء .. ومن بين ما قاله (الإمام) الخميني في السيدة فاطمة الزهراء البتول عليها السلام أيضاً : لم تكن امرأة عادية بل هي كائن ملكوتي، تجلّى في الوجود بصورة إنسان بل كائن إلهي جبروتي ظهر على هيئة امرأة (كتاب الأسرار الفاطمية لمحمد فاضل المسعودي).

تعليق :

أورد (ثقة الطائفة) الكليني في ص٢٩٢-٢٩٣ من كتابه روضة الكافي خطبة للإمام علي عليه السلام في مسجد الكوفة جاء فيها : **إنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فابد لنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بالعمى**، .. إذن لماذا لم يقل الإمام عليه السلام : إنما أنا وفاطمة وأنتم نور رب لا رب غيره ويحسم نزاع القوم؟؟!! وقد قال غيرنا : وإذا كانت السيدة فاطمة الزهراء البتول تتمتع بكل تلك القدرات التي أشار إليها (الإمام) الخميني إذن لماذا لم تستعن بكل تلك القدرات لتدفع عن نفسها وعن بعلها علي بن أبي طالب عليه السلام ما كان قد وقع عليها من مظلومية ادّعاها أقطاب المؤسسة الصفوية ؟ ولو جاز لأحدٍ أن يصادق على ما قاله أقطاب البيت الصفوي في السيدة فاطمة الزهراء وقدرتها التي لا يتمتع بها سواها على حد زعمهم ،فعليه أن يتجاوز الاعتقاد بالإمامة والولاية التكوينية وأن يضع ألف علامة استفهام على من قال بمظلومية الزهراء عليها السلام.

*وينأى الشيعة العرب بأنفسهم عن القول بهذا الاعتقاد وربما لم يسمع بعضهم بهذه العقيدة.



قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء : ١].

١٠ـ عقيدة الطينة

ومن كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي عليه السلام نجتزئ بعض ما قاله الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام : **ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب :** ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ **[ص : ٧١-٧٤]. اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين، وسلفُ المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية، ونازع الله رداء الجبرية، وادّرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل.**

١ـ اعتقدت رموز مؤسسة الفرقة أن الشيعي قد خُلق من طينةٍ خاصة أخذت من طينة أرض طيبة طاهرة، وقد أجريَّ عليها الماء العذب سبعة أيام مع لياليها، أما المسلم من أبناء السنة والجماعة والذي يسمّونه زوراً وبهتاناً كما رأينا ـ ناصبياً ـ فقد خلق من طين أسود ملعون منتن في غاية الفساد والعفونة، ثم تم الخلط بين الطينتين بوجه عام فما كان في الشيعي من المعاصي والجرائم فهو من تأثره بطينة السني وما كان في السني من صلاح وتقوى فهو من تأثره بطينة الشيعي، وقالوا نقلاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري إنهُ قال : سمعتُ رسول الله ٨ يقول لعلي عليه السلام : ألا أسرّك، ألا أمنحك ألا أبشرك ؟ فقال : بلى يا رسول الله بشرني، قال : فإني خلقت أنا وأنت من طينةٍ واحدة ففضلت منها فضلةٌ فخلق الله منها شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة نودي الناس بأسماء أمهاتهم سوى شيعتنا فإنهم يدعون بأسمائهم لطيب مولدهم. (نقلاً عن ص٢٩ من كتاب الإرشاد للشيخ المفيد).

تعليق : لو كان الأمر كذلك إذن لماذا قال الإمام موسى الكاظم – حسب مروياتهم - في مشايعيه : لو ميزت شيعتي لما وجدتهم إلاّ واصفة ــ أي كذابون ــ ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد؟ (أورده الكليني في كتابه الكافي –الروضة ٣٨٨-٣)

٢ـ وجاء في الصفحة ٢٤٧-٢٤٨ من المجلد الخامس من كتاب بحار الأنوار للمجلسي أن الإمام الباقر عليه السلام قد قال ـ على حد زعمهم ـ : إن سيئات الشيعة سترد يوم القيامة إلى أبناء السنة، وإن حسنات أبناء السنة ستعطى إلى أهل الشيعة ..، ويختتم حديثه قائلاً : جعلت فداك تؤخذ حسناتهم ــ أي أبناء السنة ــ فترد إلينا وتؤخذ سيئاتنا فترد إليهم ؟ قال: أي والله الذي لا إله إلا هو،.. وتعليقاً لنا على ما تقدم نقول :- أليس في ذلك طعنٌ بعدالة الله تعالى الذي قال في محكم كتابه الكريم : ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾؟.

٣ـ ولقد أتى على ذكر هذه العقيدة نعمة الله الجزائري وقال في الأخبار النعمانية : إن أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثرة في الأصول وغيرها.

٤ـ واتفق الكليني وابن بابويه القمّي مع ما ذهب إليه المجلسي والجزائري ولم يستح المحققون من تأكيد رضاهم على هذه الأساطير والاعتقاد بها.

٥ـ واستنبط العياشي في تفسيره من تلك العقيدة اعتقاداً جديداً فاتهَّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام وادّعى أنه قال : المؤمنون بعلي هم الخالدون في الجنة وإن كانوا في أعمالهم مسيئين ،وحب لعلي عليه السلام لا تضر معه سيئة وبغضهُ معصية لا تنفع معها حسنة.

وتعليقاً على كل ما تقدم نقول : لقد وقع شيوخ الطائفة الذين قالوا بعقيدة الطينة في أخطاء كثيرة وضعتهم في صف آخر، فتقاطعوا في كل ما ذهبوا إليه مع ما قاله الله تعالى في محكم كتابه الكريم، فهم يقولون :إن الله سينادي الناس من غير الشيعة بأسماء أمهاتهم والله ﷻ يقول : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ﴾ [الأحزاب : ٥]، وادّعوا أن حسنات أبناء السنة ستعطى إلى أهل الشيعة يوم القيامة والله تعالى يقول :﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ [المدثر : ٣٨]، وقال أيضاً في سورة أخرى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ [البقرة : ٢٨٦].

واختلفوا في الذي ذهبوا إليه مع ما ذهب إليه أئمة آل بيت النبوة عليهم الســـلام، فقد قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الجزء الثالث من كتاب نهج البلاغة المنســوب إليه في وصــف أحوال الناس : **فإنهم صـــنفان أمّا أخ لك في الدين وأما نظير لك في الخلق**، وقال الإمام الباقر عليه السلام : ..... **ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة** .. ومما قاله الإمام محمد الباقر عليه السلام في هذا الشـأن وهو يخاطب مشـايعيه نقلاً عن الكافي للكليني : **فمن كان مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا وَيْحكم لا تغتروا .. ويحكم لا تغتروا**.

*وللأمانة اقول :-إن الشيعة العرب هم آخر من يعتقد بعقيدة الطينة ومن قال بها، وقد سألتهم في ذلك .



قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة].

١١- الحج

قال الإمام علي عليه السلام في الحج لبيت الله الحرام : **ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حَجَراً، وأقل نتائق الأرض مَدَراً، وأضيق بطون الأودية قطراً بين جبال خشنة، ورمال دَمِثَة، وعيون وشِلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها خفٌ، ولا حافر ولا ظِلف.**

وقال الإمام علي عليه السلام لأبي هياج الأسدي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ^؟ ‹‹**ألاّ تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**››، وهذا المعنى أقرت به بعض الروايات الصفوية فقد روى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال أمير المؤمنين : بعثني رسول الله إلى المدينة فقال : **لا تدع صورة إلاّ محوتها ولا قبراً إلاّ سوّيتُه**. (أورده الكليني في فروع الكافي ٢٢٧/٢ وذكرهُ الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة ٨٦٩/٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام : نهى الرسول الأمين محمد ^ **أن يصلّى على قبر أو أن يقعد عليه أو يُبنى عليه**. (وقد ورد ذلك في كتاب وسائل الشيعة ٨٦٩/٢ للحر العاملي ، وجاء على ذكره الطوسي صاحب كتاب تهذيب الأحكام ١٣٠/١).

وبغية تعطيل فريضة الحج عمد عدد غير قليل من أركان المؤسسة الصفوية إلى انتهاج وسائل وأساليب مختلفة جاءت على أشكال عديدة يمكن أن نجملها بما يأتي :

١- جاء في كتاب كامل الزيارات ص٢٧٠ لإبن قولويه القمي وبحار الأنوار ١٠٩/١٠١ للشيخ المجلسي إنّ الإمام الصادق عليه السلام قد قال : إن أرض الكعبة قالت : من مثلي وقد بُنيّ بيت الله الحرام على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها أن كفّي وقرّي، فوعزتي وجلالي ما فضل فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلاّ بمنزلة الأبره غُرست في البحر ... ولولا من تضمّهُ أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقرّي واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلاّ سخت بك وهويتُ بك في نار جهنم.

٢- وجاء في المصدرين أعلاه أن أرض كربلاء قد نجت وقالت : أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر.

تعليق : وها هي أرض كربلاء تفتخر بنفسها مثلما افتخرت أرض الكعبة – كما تدّعون - فلماذا لم يعاقبها الله مثلما عاقب أرض الكعبة - ؟

٣- وبهذا الصدد يقول محمد حسين كاشف الغطاء :

ومن حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بانَ علوَ الرتبة

٤- وقال الكليني في ٣٢٤/١ من كتابه فروع الكافي : من أتى قبر الحسين عارفاً بحقّه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجّة، وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات وألف غزوة مع نبي مُرسل أو إمام عادل.

٥- ومما قاله الفيض الكاشـــاني في ٢٢٢/٨ من المجلد الثاني من كتابه الوافي : إنّ الأئمة قالوا : إن الله يبدأ بالنظر على زوار قبر الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف .. ونسب بعد ذلك إلى الإمام الصادق عليه السلام إنهُ برر ذلك بقوله : لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا.

٦- وفي كتابه كشف الأسرار قال (الإمام) الخميني : إن ثواب زيارة قبر الحسين أو إقامة التعزية تعادل ثواب ألفي نبي أو شهيد.

٧- ومن بين ما قاله (الإمام) الخميني في الجزء الأول من كتابه تحرير الوسـيلة وتحديداً في الصـفحة ١٤١ : إن هذه التربة ـ أي تربة كربلاء ـ تفتح الحُجُب السبع ، وترتفع عن الأرضين السبع، وهذه الخاصية ليست لأحد حتى قبر النبي.

ولهم العذر في ذلك فهم يريدون أن يديروا رؤوس المسـلمين عن زيارة الكعبة المكرمة وقبر الرسـول المصـطفى محمد ٨ ؛ ليتوجّهوا إلى مدينة كاشـان الإيرانية ليطوّفوا حول قبر أبي لؤلؤة فيروزي (الوهمي) ولم يسـتح أحد منهم من الله تعالى الذي قال في كتابه المجيد : ولله على الناس حج البيت من اسـتطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

ودون حياءٍ من إمام الهدى علي بن أبي طالب الذي قال في البيت الحرام : **وفرض عليكم حج بيتهِ الحرام الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام ويألهون إليه ولوه الحمام، جعله سـبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سُمّاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدَّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سـبحانه وتعالى للإسـلام علماً والعائذين حرماً، فرض حَجَّهُ وأوجب حقه وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه :** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

*وللحقيقة أقول: ينأى الشيعة العرب بأنفسهم عن الإيمان بعقيدة الصفويين في هذا الشأن.

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة : ١١٧].

١٢- البداء

وكرد على أولئك الذين اعتقدوا بالبداء يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما جاء في كتاب نهج البلاغة المنسوب إليه : **فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليه أنفسهم، أتم نوره، وأكمل به دينه، وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغَ إلى الخلق مِنْ أحكامِ الهدى به، فعظموا منه سبحانه ما عظم مِن نفسه، فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رَضِيه أو كرهه إلا وجعل له عَلماً بادياً وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه فرضاه فيما بقى** ...إلخ.

١- ومما قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا أيضاً : من **زعم أن الله عز وجل يبدو له من شيء لم يعلمه أمس فأبرأ منه**. (وهذا ما جاء على ذكره المجلسي في ١١١/٤ من كتابه بحار الأنوار وصاحب كتاب البرهان البحراني في ٣٠٠/٢ منه).

٢- **أما الصدوق فقد نسب ذلك للإمام الصادق في كتاب إكمال الدين** ، وقال : إنه قال : ما بدا الله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له.

٣- وقال الإمام الصادق عليه السلام : **من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم**. (وهذا ما أورده الشيخ محمد رضا المظفر في الصفحة ٤٥ من كتابه عقائد الإمامية).

والبداء : على حد اعتقادهم هو أن يعتقد الله شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده وقد استدلوا على تلك العقيدة بقول الله تعالى : يمحو الله ما يشاء ويثبت، وقال الرازي في تفسيره : إنّ هذا باطل لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه باطلاً.

وقد سبق الرازي في القول بذلك البلخي ونقله الشيخ الأشعري في المقالات والفرق ، ونقله النوبختي في فرق الشيعة عن بعض الزيدية عن سليمان بن جرير والطوسي في البيان (١٣/١).

وجاء في أضواء على عقائد الشيعة الإمامية للشيخ جعفر السبحاني (ص٢٧) المسألة الخامسة (البداء عند الشيعة الإمامية) : إن من العقائد الثابتة عند الشيعة الإمامية هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم أن النسخ والبداء صنوان غير أن الأول في التشريع والثاني في التكوين ،وقد اشتهرت به كاشتهارها بالقول بالتقية وجواز متعة النساء. وقد قال في البداء شيخ الطائفة المفيد في أوائل المقالات والصدوق وغيرهم، وعقيدة البداء تستلزم نسبة الجهل إلى الله تعالى ــ حاشاه ــ وهي الظهور بعد الخفاء، ومؤدّاه أن الله لا يعلم الغيب، وبمعنى نشأة رأي جديد والبداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله، ونسبوا للإمام الرضا عليه السلام أنهُ قال : ما بعث الله نبياً إلاّ بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء. (وقد جاء الكليني على ذكر ذلك في ص١٤٠ من كتابه الكافي) .. وقال الخوئي في الصفحة ٣٩١ من كتاب البيان في تفسير القرآن :- إن القول بالبداء هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه -على حد زعمه- وإن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وعلم المخلوقين، فعلم المخلوقين وإن كانوا أنبياء أو أوصياء لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإن بعضاً منهم وإن كان عالماً بتعليم الله إياه بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه، فإنه لا يعلم بمشيئة الله تعالى لوجود شيء أو عدم مشيئته إلاّ حيث يخبره الله تعالى به نحو الحتم (ثم يقول عن الاعتقداء بالبداء) : إن إنكار البداء والالتزام بأن ما جرى به قلم القدر كائن لا محالة - دون استثناء - يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعاء الله.

ورويَّ بإسـناده عن محمد بن مسـلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) : ما بعث الله (عز وجل) نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء. (وقد أتى على ذلك الصدوق في التوحيد ص٢٧٢ طبعة ١٩٨١ وأورده الكليني في ١١٣/١ من باب البداء في الكافي).

وينسب أقطاب البيت الصفوي في عقيدة البداء لله تعالى الجهل والنسيان فيقول الكليني في كتاب التوحيد من الكافي : ما عند الله بشـيء مثل البداء ،وما عظّم الله عز وجل بمثل البداء، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما افتروا من الكلام فيه، ... (ذكره الكليني في ١٤٦/١، ١٤٨/١ من أصول الكافي).

ولو رجعنا إلى اللغة العربية للتعرف على معنى البداء نجد أن القاموس المحيط يقول : بدأ بدواً بدأة : ظهر وبدا له في الأمر بدو وبداء وبداة نشأ له فيه رأي.

والبداء في اللغة له معنيان :

١- الظهور بعد الاختفاء نحو : بدا ضوء الشمس (أي ظهر).
٢- نشأة الرأي الجديد : قال الفراء : بدا لي بداء أي ظهر لي رأي آخر، وقال الجوهري : بدا له في الأمر بداء، أي : نشـأ له فيه رأي، وكلا القولين وردا في القرآن الكريم ففي الأولى قال تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾[البقرة : ٢٨٤]. وفي الثـانية قولـه (عز وجل) : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يوسـف : ٣٥]. وعليه فإن معنى البداء بمعنييه يسـتلزم سـبق الجهل وحدوث العلم وكلاهما محال على الله سبحانه.

*وأعود وأقول :إن الشيعة العرب لم يسمعوا من قبل بعقيدة البداء لذلك هم لا يعتقدون بها.

قال الله (عز وجل) : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة].

وقال الرسول الأعظم ٨ : **من جمع بين صلاتين بغير عذر فقد أتى باباً من الكبائر.**

١٣- الصلاة والصيام

وقال إمام المتقين علي بن أبي طالب ﷺ في صـــلاة الجمعة : **ولا تســـافر في يوم جمعة حتى تشـــهد الصلاة إلاّ فاصلاً في سبيل الله أو في أمر تعذرُ به.**

ويعتقد أقطاب البيت الصـفوي في صـلاة الجمعة من ناحية الصـلاة على أوقاتها ما لا يعتقد به عميد آل بيت محمد ^ الإمام علي بن أبي طالب عليه وولديه وأحفاده من بعده السلام :

١- **صــلاة الجمعة :** تأثرت فريضـــة الجمعة في إيران بمراحل تطور الفكر الشــيعي، بداية من نظرية الولاية -الإمامة الإلهية- وما تبعها من نظرية الغيبة والانتظار التي تم بموجبها تعطيل فريضــة الجمعة من الناحية النظرية إلا أنه لا يوجد إجماع تام بين فقهاء الشيعة الإمامية على ترك صلاة الجمعة، بل تأرجحت أقوالهم بين عصر وآخر حسب الظروف السياسية فمنهم من قال بالحرمة التامة في زمن الغيبة ومنهم من قال: إنها واجبٌ تخييري، أي يجوز أداؤها أو أداء الظهر أربع ركعات ومنهم من قال بجوازها في ظل وجود الفقيه العالم بالأحكام، وهو ما قالت به نظرية النيابة العامة في القرن الســادس عشـر الميلادي، وبعد انهيار الدولة الصفوية عام ١٧٦٣ تقلص دور الفكر السياسي الشيعي المذهبي في الحالة السياسية الإيرانية تحت ضـــغط التغريب وتأثيرات الفكر الأوروبي، إلى أن جاء الخميني وفرض نظرية ولاية الفقيه وهي تقول بأن الفقيه الجامع للشـــروط ،هو نائب الإمام وإن ولايته حقٌ لا ينازعه فيه أحدٌ، وإنّ جميع الأحكام والحدود تقام به فأعاد الخميني إقامة صـــلاة الجمعة في إيران ولكن على نوع مختلف، فاختير آية الله طالقاني كأول إمام لجمعة طهران نظراً لشـــعبيته الجارفة وكونه أكبر مرجع دِيني ثوري للشـــيعة بعد الخميني، لكن ســـرعان ما حدث خلاف بين طالقاني والخميني كاد أن يقضـــي على الثورة ،بعدها أدرك الخميني قيمة مؤســـســـة الجمعة ومدى تأثيرها الجماهيري فوضـــع برنامجاً لتنظيمها بدأ بتعيين آية الله منتظري إماماً لجمعة طهران، فعمل منتظري على أن تكون خطبة الجمعة في خدمة مبدأ ولاية الفقيه ونظام الجمهورية الإسـلامية، وأن تكون جميعها ذات اتجاه موحد لا يخرج عنه أحد، وهكذا نرى أن إيران كانت ترى ضرورة الاستفادة من صلاة الجمعة باعتبارها عملاً عبادياً سياسياً.

أما عن مبرر إسـقاط صـلاة الجمعة والجماعة عند شـيوخ وفقهاء الفكر الصـفوي قرون عديدة فقد كان بحجّة غيبة الإمام المنتظر، وإمعاناً منهم في مراغمة المســـلمين وحرصــــاً على إبقاء أســـباب الخلاف والاختلاف قائمة.

٢- **الصلاة على أوقاتها :** قبل أن أبدء بمناقشـة موضـوعة الجمع في الصـلاة بين الظهرين والمغربين، أدعو القارئ الكريم أن يتأمل قول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في هذا الأمر، ليقف على حقيقة الصـــلاة التي كان الإمام علي ﷺ يصلّيها : « **أما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس من مربض العنز، وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يُسار فيها فرسخان، وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل، وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صـاحبه، وصـلّوا بهم صـلاة أضـعفهم ولا تكونوا فتّانين .**» (نهج البلاغة شـرح الإمام الشيخ محمد عبده الجزء الثالث صفحة ٨٢).

دعا فقهاء الطائفة الصفوية أتباعهم الجمع في صلاتهم بين الظهرين والمغربين طوال الدهر، مع اختيار التـأخير فيهمـا حتى ظهور المهدي المنتظر ليقتدوا بـه ويؤخروا الظهر إلى العصـــر إلى قريب غروب الشـمس فإذا يئسـوا من الإمام واصـفرت الشـمس بين قرني الشـيطان نقروا عند ذلك كنقر الديك فصـلّوا الصلاتين من غير شروع ولا طمأنينة فرادى من غير جماعة.

وبغية الإحاطة بهذه القضية الخلافية سأكتفي بذكر آراء علماء الطائفة وأبدأ بالشيخ المفيد الذي قال في المقنّعه ٩٤باب أوقات الصلاة : **ولكل صلاة من الفرائض الخمس وقتان، أول وآخر، فالأول لمن لا عذر له، والثاني لأصحاب العذر، ولا ينبغي لأحدٍ أن يؤخر الصلاة عن أول وقتها وهو ذاكر لها غير ممنوع عنها، فإن أخّرها ثم اخترم الوقت قبل أن يؤدّيها كان مضيّعاً لها فإن بقى حتى يؤديها في آخر الوقت أو فيما بين الأول والآخر منه عفي عنه ذنبه في تأخيرها إن شاء الله.**

وقال الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي في كتاب ذكرى الشيعة ص١١٩ : وبالجملة كما **علم من مذهب الإمامية جواز الجمع بين** الصلاتين مطلقاً علم منه استحباب التفريق بينهما بشهادة النصوص والمصنفات بذلك.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن : امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة وكيف محافظتهم عليها. (وهذا ما جاء المجلسي على ذكره في ٣٥٥/٧ من كتابه بحار الأنوار).

والله تعالى يقول في محكم كتابه الحكيم : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء : ١٠٣].

٣- الصيام:

جاء في الحديث النبوي الشريف : لَعن الله أمّةً صامت عيدها .

يتخلف سنوياً عن الاحتفاء باليوم الأول ولربما حتى الثاني أحياناً من أيام عيدي الفطر والأضحى نفرٌ غير قليل من عوام الشيعة العرب بتوجيه مُلزِم للملايين من الشيعة العرب ،رغم أنهم قد شهدوا الشهر ورأوا عبر الفضائيات الحجيج وهم على صعيد جبل عرفة ، ولا أريد أن أتوسع في شرح الأهداف الصفوية من وراء ذلك ، لكنني أريد أن ألفت انتباه القارئ الكريم ثانية إلى الحديث الصحيح الذي قاله الصادق الأمين محمد ^ لعن الله أمة صامت عيدها ، وكان ^ يقصد اليهود الذين درجوا على ذلك فحسبنا الله ونعم الوكيل .

*ولقد وجدت أن الشيعة العرب قد بدؤوا يتنبّهون لهذا الأمر ويتجاوزوهُ لما فيه وحدة المسلمين فيؤدون صلاة الجمعة ويحرصون على التوافق مع إخوانهم من أبناء السنة والجماعة في الاحتفاء بعيدي الفطر والأضحى .



قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يس: ٣١].

١٤ـ الرجعة

وفي ذات الشأن كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قال في وصيته لولده الحسن عليه السلام : **يا بني أكثر من ذكر الموت ،وذكر ما تهجُم عليه وتُفضي بعد الموت إليه،حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك، وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالبهم عليها، فقد نبّأك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشف لك عن مساويها، فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرّ بعضها بعضاً، ويأكل عزيزها ذليلها**.

الإيمان بالرجعة :

قال محمد بن بابويه القمّي في عقائده (مبحث الإيمان بالرجعة) : فإنهم عليهم الصلاة ــ ويقصد أئمة آل بيت النبي الكريم محمد ^ ـ قالوا : من لم يؤمن برجعتنا فليس منا .. وإلى ذلك ذهب كثير من علماء الطائفة الصفوية وقالوا : إن النبي ^ وعلياً والأئمة الاثنى عشر يحيون في آخر الزمان ويحشرون بعد خروج المهدي المنتظر وبعد قتله للدجال يحيي الخلفاء الثلاثة ــ أبا بكر وعمر وعثمان ــ فيقتل النبي الخلفاء حداً ، والقتلة قصاصاً، ويصلبون الظالمين ويبتدئون بصلب أبي بكر وعمر على شجرة فمن قائل يقول : إن تلك تكون رطبة فتجف تلك الشجرة بعد أن صلبا عليها فيضل بذلك خلق كثير من أهل الحق، ويقولون ظلمناهم، ومن قائل يقول : الشجرة تكون يابسة فتخضرُّ بعد الصلب ويهتدي بها جمٌ غفير من محبيها ... إلخ.

وتبدأ الرجعة على رأي بعضهم بعودة الإمام المهدي المنتظر، وتحديداً بعد هدم الحجرة النبوية وإخراج جسدي أبي بكر وعمر ، وجاء في إخبارهم أن الإمام المهدي يقول : وأجيءُ إلى يثرب أهدم الحجرة وأخرج من بها وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بخشبتين تصلبان عليها فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الأولى فينادي منادي الفتنة من السماء : يا سماء انبذي ويا أرض خذي، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن - أي الشيعي - ثم تكون بعد ذلك الكرّة والرجعة (وهذا ما جاء على ذكره الشيخ المجلسي في كتابه بحار الأنوار) .

ويقول الشيخ المفيد في الصفحة ٩٥ من أوائل المقالات : إن هذه الرجعة ستبدأ مع بداية ظهور المهدي ، بينما يقول بعض أئمتهم: إن الرجعة غير مرتبطة بأمر ظهور المهدي (الحي الغائب) عليه السلام ، وإنها تبدأ من رجوع الإمام الحسين عليه السلام إلى الدنيا (نقلاً عن الصفحة ٣٨٣ من كتاب الفطرة السليمة لكريم بن إبراهيم) وهذا ما يتفق مع العديد من المرويات التي تقول : إن أول من تنشق الارض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين عليه السلام . (وذلك ما ذكره المجلسي في ٥٣/٢٩ من بحار الأنوار) الذي يستطرد قائلاً في ٥٣/٤٣ في المصدر نفسه : كذلك يتحقق في الرجعة حساب الناس على يد الحسين – وادّعى أن الإمام الصادق عليه السلام قد قال: إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة ، الحسين بن علي عليهما السلام ، فأمّا يوم القيامة فإنّماهو بعث إلى الجنة أو النار .

وقال غيرهم : إنَّ الغرض من الرجعة هو أن علياً لم يقضِ ما أمره الله تعالى به - وهذا بهتان عظيم في حق علي عليه السلام - وزعموا أن صفوة الخلق وهم أنبياء الله ورسله سيتحولون إلى جندٍ لعلي بن أبي طالب - على حد زعمهم – وجاء في ٥٣/٤١ من كتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي : لم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلاّ رُدَّ جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين،

وادّعى فقهاء الطائفة الصفوية أن الشيعة يخيرون وهم في قبورهم بين الرجعة والإقامة في القبر ، ويقال للشيعي : يا هذا إنه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق ،وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم .(نقلاً عن الصفحة ٢٧٦ من الغيبة للطوسي) .

وقال ابن بابويه في الصفحة ٩٠ من الاعتقادات : واعتقادنا في الرجعة أنها حق ، وقال المفيد في الصفحة ١٥١ من أوائل المقالات : واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات .

وقال الطبرسي في الغيبة والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الطائفة الصفوية بأن الرجعة إجماع الشيعة الأمامية، وقال المجلسي- إنهم أجمعوا على القول بها في جميع الأعصار وإنها من ضروريات مذهبهم .

وتنتهي الرجعة عندهم بالقتل لمن مات من قبل وبالموت لمن قُتل ، وهذه النهاية هي إحدى أغراض الرجعة ، فهم يقولون : ليس لأحدٍ من المؤمنين قُتِلَ إلاّ سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات حتى يقتل (وهذا ما ذكره القمي في الصفحة ١٣١ من الجزء الثاني من تفسيره وفي الصفحة ٢١١ من الجزء الثالث من تفسير البرهان للبحراني ، كما أورده صاحب تفسير الصافي ، كما جاء على ذكره المجلسي في الصفحة ٥٣ من الجزء الأربعين من كتابه بحار الأنوار) .

معنى الرجعة :

جاء في القاموس للفيروزآبادي و مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي أنّ الرجعة معناها الرجوع إلى الدنيا بعد الموت وقال ابن الأثير في ٣- ٢٠٢ من النهاية : إنَّ هذا مذهب قوم من العرب في الجاهلية ، ومعروف عندهم ، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ومنهم من يقرّ بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون ، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ ، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند الكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الطائفة الصفوية .

مفهوم الرجعة :

أما مفهوم الرجعة فهو يشمل ثلاثة أصناف :

١- الأئمة الاثنى عشر حيث يخرج المهدي من مخبئه ويرجع من غيبته ، وباقي الأئمة يحيون ويرجعون إلى هذه الدنيا .

٢- ولاة المسلمون الذين اغتصبوا الخلافة – في نظرهم – من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثنى عشر) فيتم القصاص منهم .

٣- عامة الناس ويخص منهم : من مَحَضَ الإيمان محضاً وهم الشيعة عموماً لأن الإيمان خاص بالشيعة كما تتفق على ذلك مروياتهم وأقوال شيوخهم، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين (ضعفاء العقول مثل النساء والبُله وأمثالهم) .

الاستدلال على الرجعة :

اســـتدلّ فقهاء الطائفة على الرجعة بقول الله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٥ ، ويرونها من أحســن الأدلة على الرجعة ، ويقول المجلســي : إنها أعظم آية دالة على الرجعة !!! وما كنت أدري أنهم على هذا المســتوى من الجهل، فتلك الآية الكريمة حجة عليهم فهي تدل على نفي الرجعة إلى الدنيا إذ أن معناها كما قال الإمام الباقر : حرام على أهل قرية أهلكناهم بذنوبهم إنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وهذا كقوله في الآية ٣١ من ســورة يس : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، وقوله عزَّ وجل في الآية ٥٠ من السورة الكريمة نفسها : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، ثم استدلوا على الرجعة بقول الله تعالى : ثم إذا شاء أنشره ، ونسوا أنه نص صــريح بالبعث والنشــور لا بالرجعة ،وفكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت وتجاهلوا أن في ذلك مخالفة صريحة لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون] .

وعن عاصم بن ضمره - وهو أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام - إنّه قال للإمام الحسن عليه السلام - على حد زعمهم-: **إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع فقال الإمام الحسن عليه السلام : كذب أولئك الكذابون لو علمنا ذلك ما تزوج نساءه ولا قسم ميراثه** (أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣-٣٩ كذلك أورده الإمام أحمد في مسنده١-١٤٨ وصححه أحمد شاكر) .

وتعليقاً على ما ورد يمكننا القول :

لقد فتشت كثيراً في كتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي عليه السلام فلم أجد فيه ما يتفق مع مزاعم أركان الفتنة الصفوية، وأجهدت نفسي في البحث عن ضالتي فلم أجد إلا ما يؤكد نفي الإمام علي عليه السلام لتلك العقيدة ،فقد قال عليه السلام : **اللهم اجعل نفســي أول كريمة تنتزعها من كرائمي وأول وديعةٍ ترجعُها من ودائع نعمك عندي** ..

وقرأت في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام ما يقطع بعدم صحة كل ما ذهب إليه دعاة الرجعة فقد جاء في تلك الوصــية : **واعلم إنك إنما للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموتِ لا للحياة ، وإنك في منزلٍ قلعَةٍ ودارِ بلغةٍ وطريق إلى الآخرة وإنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولابد أنه مدركه.**

*ولا يعتقد الشــيعة العرب بالرجعة على النحو الذي ذكره فقهاء الطائفة الصــفوية، واعتقادهم بها محصور في حدود رجعة الإمام (الحجة) المنتظر.

قال الله ﷻ : ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ٥٠].



١٥ ـ فَدَكْ

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : **وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مضانُّها في غير جدث**.

وأما منازعة فاطمة عليها السـلام أبا بكر رضي الله عنه في ميراث النبي ^ فليس بمنكر لأنها لم تعلم ما قاله رسـول الله ^ وظنّت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم فكفَّت بعد ما أخبرها بقول الرسول المصطفى : «**لا نورث ما تركناه صدقة**» ورغم ذلك كلّه فإننا نجد أركان البيت الصفوي يلقون بالشبهات في قضية فدك، وهاهو شيخهم الحلّي يقول نقلاً عن ما جاء في كتاب كشف الأسرار (للإمام) الخميني ص١٣٢-١٣٣ : إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله : «**ما تركناه صــدقة**» وقال أيضـاً : والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها (أورده صاحب منهاج الكرامةلابن المُطّهر)، وقال المجلسي بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذا فدك : ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة : « **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة** » ، وقال الخميني في ذلك : نقول إن الحديث المنسوب إلى النبي لا صحة له وإنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي.

ونسـيَ علماء المؤسـســة الطائفية أنّ هذه الرواية لم يتفرد بها أبو بكر رضي الله عنه بل إن قوله ^: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»، رواه عنه أبو بكر الصديق و عثمان والإمام علي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين. (كما جاء في كتاب العقيدة في أهل البيت ص٤٤٤ للسحيمي).

تعليق :

لو لم يكن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحد رواة حديث النبي المصـــطفى ^ : «**لا نورث ما تركناه صدقة** » لاحتج على كل من قال بذلك بكل ما عرف عنه من عدم المهادنة والمحاباة ،وهو القائل : **ولعمري ما على من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدهان ولا إيهان، فاتقوا الله عباد الله وفروا إلى الله من الله، وامضــوا في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصــبه بكم، فعليٌ ضــامن لِفَلَجِكُمْ آجلاً وإن لم تمنحوه عاجلاً.**

ولو كان الأمر كما يزعمون بأن الإمام عليًا عليه السلام تنازل عن حق زوجهِ مخافة من أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما ، فلماذا لم يُرجع الحق إلى نصـابه ويعيد فدك إلى ولديه الحسـن والحسين عندما تولى أمر المسلمين بعد وفاة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ؟

وادّعى فقهاء المؤسسة الطائفية أن منع الإرث والاستدلال بحديث الرسول الأمين ^: «**لا نورث ما تركناه صدقة** » مخالف لقول الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل :١٦]، ومخالف لما قاله الله تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم]، وقالوا : إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه وليس لأحد أن يقول أن المراد في الآية العلم دون المال.

وهناك من ردَّ عليهم قائلاً : إن الإرث اسم جنس تدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم والنبوة والملك وغير ذلك من أنواع الانتقال، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[فاطر : ٣٢]، وقال عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون]، وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الخصـــوص وإذا كان الأمر كما يزعمون فقوله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[النمل :١٦]، وقوله : ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم]، إنما يدل على

جنس الإرث ولا يدل على إرث المال وذلك إن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله ودل على ذلك أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك، لا إرث المال، والآية سبقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة وحَصْرُ الإرث في المال لا مدح فيه إذ إنَّ إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى :﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ليس المراد به إرث المال لأنه لا يرث آل يعقوب شيئاً من أموالهم وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وورثتهم لو ورثوا.

كما إن قوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ [مريم : ٥]، لا يدل على أن الإرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذ ماتَ فإن هذا ليس بمخوفه وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، إذ كان نجاراً يأكل من كسب يده ولم يكن ليدّخر منه فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرثُ عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة النبوة والقيام مقامه. (نقلاً عن كتاب سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للدكتور على محمد الصلابي).

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض شيوخ الطائفة الصفوية خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث، وذلك أنهم حصروا ميراثه في فاطمة عليها السلام، فزعموا أنه لم يرث النبي إلاّ هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله : لا والله ما ورث رسول الله ^ العباس ولا علي ولا ورثته إلاّ فاطمة عليها السلام وما كان أخذ علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قضى عنه دينه. (أورده الصدوق في ١٩٠/٤-١٩١ من كتاب لم يحضره الفقيه). وروى الكليني والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر إنه قال : وورث علي عليه السلام من رسول الله علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته. (أورده الكليني في ١٣٧/٧ من الكافي) بل وأخرجوا فاطمة من ذلك حيث قالوا : إن النساء لا يرثن العقار، فقد بوّب الكليني في كتابه الكافي باباً بعنوان «**إن النساء لا يرثن من العقار شيئاً**»، وساق تحته روايات منها عن أبي جعفر الصادق عليه السلام إنه قال : **النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار**.

وروى الصدوق بسنده إلى ميسر قال : سألته ـ يقصد الصادق ـ عن النساء ما لهن في الميراث ؟ فقال : **أما الأرض والعقارات فلا ميراث فيه**. (جاء على ذكره صاحب كتاب الشيعة وأهل البيت، ص٨٩). وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة الزهراء عليها السلام شيئاً من الميراث بدون الاستدلال بحديث : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ،فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض فكيف كان لفاطمة عليها السلام أن تسأل فدك على حد قولهم وهو عقار لا ريب فيه، وهذا دليل جهل وتناقض. (نقلاً عن كتاب سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للدكتور علي محمد الصلابي).

ما فدك ؟

فدك : قرية لرسول الله ^ كان قد صالَحَ أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر، ردهُ أبو بكر وجعله لبيت المال، أما قول الإمام علي عليه السلام ـــ في نهج البلاغة ـــ فشحت عنها نفوس وسَخَتْ عنها نفوس آخرين، فهو يقصد به بني هاشم تحديداً. بقي أن نقول : إن الإمام عليًا عليه السلام ما كان له أن يسكت لو كان قد رأى في هذه القضية التي جعلها دعاة الفتنة - خلافية - ظلماً قد وقع على زوجه فاطمة الزهراء البتول عليها السلام وهو القائل : **وأيمُ الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً**.

*نعم يعتقد عوام الشيعة العرب بذلك ، ولكن بعيدا عن الغلوّ والتطرف وما ينتج عنهما .

قال أحسن القائلين : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور : ٣٣].

١٦- المتعة

وقال الإمام علي ﷺ : حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة. (ورد في ١٨٦/٢ من كتاب التهذيب للشيخ المفيد، وفي ١٤٢/٣ من الاستبصار وفي ٤٤١/١٤ من كتاب وسائل الشيعة).

لنقف قبل مناقشة عقيدة المتعة على ما قاله أئمة آل بيت النبوة في هذه العقيدة التي يترفع الشيعة العرب عن الاعتقاد بها :

١- لما سأل علي بن يقطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عن المتعة، أجابه قائلاً : **ما أنت وذاك ؟ وقد أغناك الله عنها**. (وردت في الفروع من الكافي ٤٣/٢، وجاء على ذكرها الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة ٤٤٩/١٤).

٢- لما سُئل الإمام الصادق ﷺ إن كان المسلمون على عهد رسول الله ^ يتزوجون بغير بيّنة ؟ قال : لا. (أورده ألمفيد في ٢ -١٨٩ من التهذيب).

٣- وعن عمار، قال الإمام الصادق ﷺ لي ولسليمان بن خالد : **قد حرّمت عليكما المتعة**. (وهذا ما جاء على ذكره شيخ الطائفة الكليني في ٤٨/٢ من فروع الكافي ووافقه صاحب كتاب وسائل الشيعة ٤٥٠/١٤).

٤- وكان الإمام الصادق ﷺ يوبّخ أصحابه ويحذرهم من المتعة ويقول : **أما يستحيي أحدكم أن يرى موضع العورة فيحمل ذلك على صالحي إخوانه وأصحابه؟** (جاء على ذكره الكليني في ٤٤/٢ من كتاب الفروع، وأورده صاحب كتاب وسائل الشيعة الحر العاملي في المصدر السابق).

٥- وعن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله ـــ يقصد الإمام الصادق ـــ عن المتعة فقال: **لا تدنس نفسك بها**. (أورده المجلسي في ٣١٨/١٠٠ في كتابه بحار الأنوار).

تعليق :

بعد كل هذا الذي جئنا على ذكره ورأينا خلاله كيف أن أئمة آل بيت النبوة قد نهوا المسلمين عن التعاطي مع المتعة ومن يعتقد بها فإننا سنرى أن رواة الأحاديث التي أوصت بتحريم المتعة ونهت عنها كالكليني والطوسي والقمِّي والصفار وغيرهم من أقطاب المؤسسة الصفوية قد بالغوا في إباحتها :

١- أجاز الطوسي في ١٩٣/٢ من كتابه التهذيب بجواز التمتع بالهاشميات.

٢- ورويّ في الكليني في الكافي عن محمد بن مضارب قال : قال لي أبو عبد الله ﷺ ـــ يقصد الإمام الصادق ﷺ ـــ : يا محمد خذ هذه الجارية تخدمك وتصيب منها ، فإذا خرجت فأرددها إلينا..، فهل من إساءة للإمام الصادق ﷺ أكثر من تلك التي أساء بها إليه أكثر شيوخ الطائفة الصفوية ؟

٣- وروى الطوسي في ٣-١٣٦ من كتابه الاستبصار عن محمد عن أبي جعفر ﷺ قال : قلت : الرجل يحل لأخيه فرج جاريته ؟ قال : نعم لا بأس به، له ما أحل له منها.

٤- وجاء في كتاب من لا يحضره الفقيه ٣٦٦/٣ للشيخ الصدوق إنه قيل للإمام الصادق ﷺ: هل للمتمتع ثواب ؟ قال : إن كان يريد بذلك وجه الله لم يكلمها كلمة إلا كتب الله بها حسنة، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنباً فإذا اغتسل غفر الله بقدر ما مر من الماء على شعره.

٥- وروى الصدوق في المصدر نفسه عن الإمام الصادق ﷺ قال : إن المتعة ديني ودين آبائي، فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا واعتقد بغير ديننا.

٦- وجاء في الكافي للكليني (كتاب النكاح) عن أبي جعفر ﷺ ـــ ويقصد الإمام محمد الباقر ـــ في المتمتعة، قال : ليست في الأربع لأنها لا تطلق ولا ترث ، إنما هي مستأجرة.

٧- وعن أبي بكر الحضرمي، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ـ يقصد الإمام الصادق ـ : إن امرأتي أحلَّت لي جاريتها، فقال : انكحها إن أردت، قلت : أبيعها ؟ قال: لا إنما أحل لك منها ما أحلت .. وادّعوا أن الإمام الصادق ﷺ قد أجاز التزوّج بنساء المتعة بغير ولي ولا شهود، وزعموا أنه أجاز التمتع بالبكر ما لم يفضِ إليها مخافة العيب على أهلها. (وهذا ما أورده الكليني في ٤٦٢/٥ من فروع الكافي).

٨- ومن أغرب ما قرأت في سفر عقيدة المتعة :

أ ـ ادعاء الشيخ الصدوق في ٣٦٦/٣ من كتابه (من لا يحضره الفقيه) إن النبي محمدًا ^ قد قال : إن من تمتع مرة أمِنَ سخط الجبار ومن تمتع مرتين حُشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان ..، وادّعى زميله فتح الله الكاشاني في تفسير منهج الصادقين عن النبي محمد ^ إنه قال : من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة علي بن أبي طالب ،ومن تمتع أربع فدرجته كدرجتي، وقال أيضاً : من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع (أي مقطوع الأنف).

ب ـفتوى(الإمام) الخميني في ٢٤١/٢ من كتابه تحرير الوسيلة المسألة ١٢ والتي قال فيها بجواز التمتع بالرضيعة ضماً وتفخيذاً ـ أي أن يضع عضوه بين فخذيها ـ وتقبيلاً، وأجاز الخميني في المسألة ١١ من نفس المصدر وطأ الزوجة دبراً وقال : الأقوى جواز وطأ الزوجة دبراً على كراهية شديدة .. وقال في المصدر نفسه بجواز وطأ الرضيعة ،ولو وطأها قبل التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى، وإن أفضاها بأن جعل مسلكي البول والغائط واحد حرم عليه وطأها أبداً.

جـ ـ جاء في ٤٦٢/٥ من كتاب الفروع أنّ الكليني قد أجاز التمتع وممارسة الجنس مع الصبية البكر إذا بلغت تسع سنوات أو سبع على روايات أخرى، بشرط عدم الإدخال في الفرج كراهية العيب على أهلها.

د ـوقال العاملي لسيدة جاءت تسأله عن جواز معرفة الأهل والأقارب بزواج المتعة عن عدمه فأجابها قائلاً : لا يجب وإن كنت أحبّذ إعلانه حتى تشيع هذه الفضيلة، ولا يتحرج منها بين العارفين والمؤمنين في العيب منه..، فالعيب أن يكون لك (بوي فريند) من غير زواج، والإسلام أحل لك البوي فريند بطريقة الزواج المؤقت!!

هـ ـ وقال آية الله المطهري : من حيث المبدأ بإمكان رجل وامرأة يريدان عقد زواج ولكن لم تتح لكل منهما الفرصة الكافية لمعرفة الآخر أن يعقدا زواج متعة لفترة محددة على سبيل التجربة، فإذا وجد كل منهما أنه راضٍ عن شريكه بنتيجة هذا العقد يمكنهما عقد زواج دائم وإذا لم يتفقا يتفرّقا.

و ـوجاء في صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات الجزء الثالث (مسائل في الستر والنظر والعلاقات مسأله رقم ٧٨٤) : يجيز الخوئي للرجل لمس عورة رجل آخر وللمرأة أيضاً أن تلمس عورة امرأة أخرى بداعي اللعب والمزاح مع فرض عدم إثارة الشهوة!!!

ز ـكما أجاز الخامنئي في الإجابة على السؤال ١٩٤ من الرسائل العلمية لمقلديه تلقيح المرأة المسلمة المتزوجة بنطفة رجل أجنبي (كما ورد ذلك في المسأله ٧١ من الاستفتاءات للخامنئي) .

وهذا جانب واحد مما دعت إليه هذه العقيدة وهناك جوانب أخرى ربما هي أكثر خطورة من كل ما ذهب إليه أركان البيت الصفوي ، فمن مفاسد المتعة أيضاً جواز التمتع بالمرأة المحصنة ـــ أي المتزوجة ـ رغم أنها في عصـمة رجل دون علم زوجها، وقد أشـار بجواز ذلك الكليني في ٤٦٣/٥ من فروع الكافي والطوسـي في الاسـتبصـار ١٤٥/٣ وتهذيب الأحكام ٥٥٤/٧. ومن عقائد المؤسـسـة الصـفوية الأخرى إباحة اللواط بالنساء، ورددوا أيضاً روايات نسبوها إلى الأئمة الأخيار سلام الله عليهم فقد روى الطوسي عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله ـ يقصد الإمام الصادق عليه السلام ـ عن الرجل يأتي المرأة من دبرها ؟ قال : لا بأس إذا رضيت، قلت : فأين هُمْ من قول الله تعالى :﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ [البقرة : ٢٢٣]؟ (رواه الطبرسي في ٣٤٣/٣ من كتاب الاستبصار).

ومن بين ما رواه الطوسي عن علي بن الحكم قال : سمعت صفوان يقول : قلت للرضا عليه السلام : إنَّ رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة فهابك واستحى منك أن يسألك، قال : ما هي ؟ قال : للرجل أن يأتي امرأته من دبرها ؟ قال : نعم ذلك له!!!

تعليق :

١ـ ربما لم أتمكن من الإحاطة بكل ما أباحه بعض فقهاء البيت الصـــفوي للمتمتع والمتمتعة لفرط حيائي من الله تعالى ومن نفسي، فمن سيقرأ كتاب المتعة للدكتورة شهلاء حفيدة آية الله الحائري سيلتمس لي العذر في ذلك أولاً وسيتوقف كثيراً ـــ وسط دهشة لا يحسد عليها ـــ على رغبة بعض علماء الطائفة الصفوية في إشاعة الفاحشة والرذيلة.

وإليك أن تتصور عزيزي القارئ الكريم الطريقة التي يدافعون بها عن عقيدة المتعة حيث يتساءل علماء الطائفة في الصـفحة ٣٥٧ من كتاب مأسـاة الزهراء لجعفر مرتضـى العاملي : أليسـت المتعة هي الحل الوحيد للخلاص من القوة الجنسـية الطائشـة وللوقاية من الفسـق والميوعة، أليسـت المتعة أفضـل من الزنا الفاحش واللواط والعادة السرية ؟

٢ـ إذا كان رؤساء المؤسسة الصفوية قد استدلّوا على جواز المتعة بقوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء : ٢٤] .. فقد فاتهم أن تفسير الآية الكريمة المشار إليها لا يستقيم مع الدعوات الصفوية المحمومة فالعلاقة بين الزوجين ـ أي زوجين ـ عادةً ما تقوم على الاستمتاع بين الطرفين، أما معنى كلمة أجورهن في الآية موضوع النقاش فهو (مهورهن) وهذا ما أجمع عليه علماء التفسير من غير المصابين بالهوس الجنسي. قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ ﴾ [طه]. هذا في جانب وفي جانب آخر فإن كلمة متعة وما اشتق منها قد وردت عشرات المرات في العديد من الآيات البينات التي ضمّها القرآن المجيد، وفي أغراض شتى فلماذا لم يكييف زعماء الدعوة الصفوية هذه المفردة إلاّ لما يخدم أهواءهم ؟ ويستدلوا على هذه المتعة بدلالة الآية ﴿ فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة]. ؟ ولماذا لم يناقشوا (المتعة) بدلالة قول الله تعالى : ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾[النور : ٣٣] ؟

وســـلام على الإمام العربي محمد الباقر الذي كان يُعرِضُ حياءً عمّن كان يســـألهُ عن المتعة من قبل نسائه وبنات عمه. (وذلك ما رواه ـثقة الطائفة الكليني- في ٤٤٩ من الكافي).

*أما الشيعة العرب فهم أرفع وأسمى من أن يتبنّوا هذه العقيدة ويحيطوا من يعتقد بها بألف شبهة.



قال الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور : ١٩].

١٧- الفاحشة

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد معركة الجمل : **إن هذه زوجة رسول الله** في إشارة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها، وقال عنها في موضع آخر : **إن هذه زوجة رسول الله غرّر بها**. وروي عنه أن رجلاً قال له : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة فأمر عليه السلام القعقاع أن يجلد كل واحد منهما مئة جلدة وأن يخرجهما من ثيابهما.

الخطوة الأولى :

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير وقال له : ألق هذين الرجلين فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الاختلاف والفرقة، ذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها وقال لها : ما أقدمك يا أماه إلى البصرة ؟ قالت له : يا بني من أجل الإصلاح بين الناس، فطلب منها القعقاع أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضروا ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منه، ولمّا حضرا سألهما عن سبب حضورهما فقالا كما قالت عائشة : من أجل الإصلاح بين الناس، فقال لهما : أخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له : قتلة عثمان رضي الله عنه، ولابد أن يقتلوا، فإن تركوا دون قصاص كان هذا تركاً للقرآن وتعطيلاً لأحكامه، وإن اقتصَّ منهم كان هذا إحياءً للقرآن، قال القعقاع : لقد كان في البصرة ستمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد ، ولما أردتم أخذه منهم وقتله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصاً ولم تقتلوه كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطلبون علياً به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور وقويتموهم وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرةً لبني سعد، وهذا ما حصل مع علي ووجود قتلة عثمان في جيشه، تأثرت أم المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة، فقالت له : ماذا تقول أنت يا قعقاع ؟ قال : أقول : هذا أمرٌ دواؤه التسكين ولابد من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرّغ لقتلة عثمان وإن أنتم بايعتم علياً واتفقتم معه كان هذا علامة خير وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر وذهاباً لهذا الملك فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا الله وإياكم، وأيمُ الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجّته من هذه الأمة التي قلّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة .. فاقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص ووافقوا على دعوته للصلح وقالوا له : قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قَدِمَ علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله.

عاد القعقاع إلى علي عليه السلام في ذي قار وقد نجح في مهمته وأخبر علياً بما جرى معه، فأعجب علي بذلك وأوشك القوم على الصلح كرهه من كرههُ ورضيهُ من رضيهُ . (وهذا ما جاء على ذكره الدكتور علي محمد الصلابي في كتابه سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نقلاً كتاب البداية والنهاية ٧٣٩/٧ لابن كثير وتأريخ الطبري ٥٢١/٥).

التثبت مما حدث :

ولما عاد القعقاع وأخبر علياً بما فعل أرسل علي ﷺ رسولين إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو فجاءا علياً، بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعه إلى ربيعه، واليمن إلى اليمن وهم لا يشكّون في الصلح فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير : ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ـ يقصد إلى البصرة ـ ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس. (نقلاً عن كتاب تاريخ الطبري ٥/٥٢٥، ٥/٥٣٩).

الشرارة الأولى :

كان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجّة بما فعله، ومن في قلبه نفاق ولم يتمكن من إظهاره، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ بالانقشاع ، فافترقوا على ذلك ورجع علي إلى عسكره ورجع طلحة والزبير إلى معسكرهما وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ماعدا أولئك الذين حاصروا عثمان ﷺ ، فبات الناسُ على نية الصلح والعافية وهم لا يشكّون في الصلح فكان بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح وبات الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها وقال قائلهم : أمّا طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأي الناس فينا ـــ والله ـــ واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا، وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ ـــ وهو المشير فيهم ـــ فقال : يا قوم إن عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بدّاً من أن يمتنع ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ، ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة وما يشعر بهم جيرانهم فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعهم إلى ربيعهم ويمانيهم إلى يمانيهم فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والميسرة يرأسها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب فقالا : ما هذا ؟ قالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا : ما علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحلُ الحرمة ، وأنه لن يطاوعنا ثم رجعا بأهل البصرة وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم ، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال : ما هذا ؟ قال ذلك الرجل : ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم فقال علي لصاحب ميمنته : ائت الميمنة وقال لصاحب ميسرته : ائت الميسرة والسبئية لا تفتر إنشاباً، وتلك كانت الشرارة الأولى للمعركة التي أشعل أهل الفتنة أوارها.

صفحة الغدر :

زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال ومهاجمة الفريق الآخر وإغراء كل فريق بخصمه وتهيّجه على قتاله ، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وكان ذلك في يوم جمعة السادس عشر من جمادي الثانية سنة ستة وثلاثين في منطقة الزابوقة قرب البصرة، حزن علي على ما جرى ونادى مناديه كفّوا عن القتال أيها الناس ولم يسمع نداءه أحد فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه.

أما موقف الزبير بن العوام فيتلخص في رفضـه لعرض رجل من جيشـه يقوم على فكرة الاندسـاس في جيش علي بن أبي طالب والفتك به .. فما كان من الزبير إلا أن يُنكر عليه ذلك بشـــدة، وقال : لا، لا يفتك مؤمن بمؤمن ..، فالزبير بن العوام ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان.

أما السيدة عائشـة رضوان الله عليها فيفتري على الله كذباً كلّ من يقول أنها شـاركت في الجولة الأولى من المعركة، وتؤكد أدق المصـــادر أنها خرجت على جملها في الجولة الثانية من المعركة تحيط بها القبائل الأزدية ومعها كعب بن سـور الذي دفعت إليه مصـحفاً يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يســمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس ، فتحجز بينهم وتطفي هذه الفتنة التي بدأت تشتعل. (نقلاً عن مصنف عبد الرزاق ٤٥٦/٥ بسند صحيح إلى الزهري).

وحمل كعب بن سـور المصـحف وتقدم أمام جيش البصـرة ونادي جيش علي قائلاً : يا قوم أنا كعب بن سـور، قاضـي البصـرة، أدعوكم إلى كتاب الله والعمل بما فيه والصـلح على أسـاسـه، وخشـيَّ السـبئيّون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فلقي وجه الله ومات والمصحف بيده.

وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها فصارت تنادي وتقول : يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحســاب وكفّوا عن القتال ..، والســبئيون لا يســتجيبون لها. (نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٣/٧).

وعندما أدرك الإمام علي أن في بقاء أم المؤمنين في الميدان خطراً على حياتها بعد أن أصـــبح هودجها كالقنفذ من الســـهام، أمَر نفراً من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين) وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة -أي يضربا قوائم الجمل بالسيف ـــ فعقروا الجمل، واحتمله أخوها محمد بن أبي بكر وعبد الله بن بديل حتى وضـــعاه أمام علي فأمر به علي فأدخل في منزل عبد الله بن بديل، فصدق حدس علي ﵁ ـ العسكري ـ فما أن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف وأخرجت أم المؤمنين من الميدان حتى ولّوا الأدبار منهزمين ، ولو لم يتخذ علياً هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل أو ينهزم جيش علي.

تعليق :

هذا موجز أراه مفيداً لأهم ما حدث في زمن الفتنة الذي بدأ بمقتل الخليفة عثمان ابن عفان ﵁ ، ولم ينته بانتهاء معركة الجمل واستمر إلى يومنا هذا فقد اتصلت مساعي السبئيين مع مساعي المؤسسة الصـــفوية فيما بعد ، وكتبا تاريخاً قام على الكثير من المغالطات التي ما كانت تســـتهدف أحداً غير أم المؤمنين زوج الرسول الكريم محمد ^ عائشة بنت أبي بكر فرموها بالفاحشة وقال شيخهم ابن رجب البرسي في الصفحة ٨٦ من مشارق أنوار اليقين : إن عائشة جمعت أربعين ديناراً من خيانة !!! فهل تصمد تلك الفرية وسواها أمام الحقائق التي سنأتي على ذكر بعضها والتي يمكننا أن نوجزها بما يأتي :

١- أليست الإساءة إلى السيدة عائشة رضي الله عنها إساءة إلى رسول الله ^ ، والذي مات وهي على ذمته وفارق الدنيا وهو راضٍ عنها.

٢- وإذا كان الله قد قال في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ ﴾ [النور : ٢٦]. فهل الرسـول ^ كان غير ذلك (حاشـاه) ليقترن بامرأة هي في هذا المسـتوى الأخلاقي الذي وصفها به عتاة المؤسسة الصفوية ـ حاشاها -!!!

٣- وإذا كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها قد ارتكبت الفاحشة ـــ حاشاها ـــ كما يحلو لرموز الدين الصفوي أن يصفوها فلماذا لم يقم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الحد عليها عندما تولّى أمر المسلمين بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؟ واكتفى بعد معركة الجمل بإعادتها إلى المدينة المنورة معززة مكرمة .

٤- إن اتهام أم المؤمنين السيدة عائشة أو غيرها من زوجات النبي رضوان الله عليهن وعلى هذا النحو يجعلنا نسلم بأن رجالات المؤسسة الصفوية الذين أمعنوا في الإساءة إلى أمهات المؤمنين قد ضربوا بكتاب الله العزيز عرض الحائط بعد قولهتعالى في نساء الرسول ^:﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[الأحزاب:٦]. وأنا أخشى أن يكون رجالات هذه المؤسسة الشتّامة لم يقرؤوا يوماً ما قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥٣]، فيضلوا في غيهم سادرين ولم يرعووا عن إيذاء الرسول الكريم ^ في أحب الناس إليه.

هذا في جانب وفي جانب آخر فقد غالت رموز الفتنة الصفوية في الإساءة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها وقالت : ورد في بعض أخبارنا أن النبي ^ قد أوصى علياً حق تطليق أزواجه اللائي خرجن عليه، وقال مركز الأبحاث العقائدية : إن طلاقها قد تم بإلغاء خصوصيتها من مقام أزواج النبي كونها من أمهات المؤمنين لخروجها على إمام زمانها مع عدم إمكانية الزواج منها ، ونحن نتساءل هنا بمرارة وألم .. أي طلاق هذا وكيف كان سيتم ووفق أية شرعة وفي سياق أي قانون ؟ وكيف للطلاق أن يجزّأ على النحو الذي ذكروه ؟

وقالوا في إساءة أخرى لأم المؤمنين السيدة عائشة إن قضية الإفك التي حدثت بعد عودة المسلمين من مقاتلة المشركين في معركة المصطلق محل خلاف بين المؤرخين وإن المقصود في قول الله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور]، يقضي ببراءة السيدة ماريا القبطية رضوان الله عليها وليس ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها وادّعوا أنها هي التي اتهمت السيدة ماريا القبطية، وقد جاء ذلك في تفسير القمي والبحراني في البرهان والمجلسي في بحار الأنوار وفق رواية زرارة بن أعين والذي كان الإمام الباقر وولده الصادق عليهما السلام قد أعلنا لعنه كما رأينا في فصل سابق.

ونحن هنا نقول: لقد وقعت حادثة الإفك في السنة السادسة للهجرة بينما دخلت السيدة ماريا قبطية رضوان الله عليها في حياة الرسول المصطفى ^ في السنة الثامنة للهجرة. وقد فاتهم أن الرسول ^ ما كان يصطحب معه من زوجاته عند خروجه لمقاتلة المشركين إلا زوجة واحدة سواء كان ذلك في معركة المصطلق أو سواها.

وقبل أن أغلق هذا الملف سأتناول أبياتاً من قصيدة الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه والذي اعتذر فيها لأم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها عن كلّ ما كان قد قاله فيها يوم الإفك:

حصـــانٍ رزانٍ مــا تُـزنُ بـريـبـةٍ
وتُصــبحُ غرثى من لحوم الغوافـلِ
حليلـة خير النـاس دينـاً ومنصــبـاً
نبيِّ الهـدى والمكرمـات الفواصـــل
عقـيلـة حـي مـن لـؤي بـن غـالـب
كرام المسـاعي مجـدهـا غير زائـل
مـهـذبـة قـد طـيـب الله خـيـمـهـا
وطـهـرهـا مـن كـل ســـوء وبـاطـلِ
فـإن كنـت قـد قلـت الـذي قـد زعمتـه
فـلا رفـعـت ســـوطـي إلـيَّ أنـامـل
وإن الـذي قـد قـيـل لـيـس بـلائـط
بهـا الـدهرُ بـل قولٌ امرئ بي مـاحـلِ

ولنرى الآن موقف السـيدة عائشــة (رضــي الله عنها) من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وزوجه فاطمة الزهراء البتول :

١- جاء في مجمع الزوائد عن جبير، قالت الســيدة عائشـــة (رضـــي الله عنها) : ومن أفتاكم بصـــوم عاشـوراء ؟ قالوا : علي بن أبي طالب ، قالت : أما أنه أعلم الناس بالسـنة ، وعنها أيضـاً : ذكرنا الخوارج وسألنا من قتلهم ؟ فقالوا : علي بن أبي طالب ، فقالت : سمعت رسول الله ^ يقول : « **يقتلهم خيار أمتي**» (كما رواه البزاز في الطبراني وفي الأوسط ونحوه) .

٢- وعن شـريح بن هانئ قال : أتيت عائشـة (رضـي الله عنها) أسـألها عن المسح على الخفين فقالت : عليك بأبن أبي طالب فاسأله (ذكره مسلم في كتاب الطهارة من صحيحه) .

٣- ذكر الطبري أنه روى عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ^ قال لفاطمة : إن جبرائيل أخبرني أن ليس امرأة في نساء العالمين أعظم ذرية منك فلا تكوني أدنى منهن صبراً .

٤- وعن أم المؤمنين عـائشـــة (رضـــي الله عنهـا) إنهـا إذا ذكرت فـاطمـة (عليهـا الســـلام) قالت : ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها (ورد في المستدرك على الصـحيحين ١٥٧/٣ للحاكم، والاستيعاب ٣٧٧/٤ لابن عبد البر ، وحلية الأولياء ٤١/١-٤٢ لابن نعيم) .

*وإن كان للشـيعة العرب موقف من أم المؤمنين السـيدة عائشــة رضـــي الله عنها إلا أنهم لا يرمونها بالفاحشة التي رماها بها نقباء الطائفة الصفوية .



قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣١].

١٨- التقية

وقال الإمام علي عليه السلام : **قد أحملتهم التقية** (أي أسقطت ذكرهم حتى لم يعد لهم بين الناس نباهة) **وشملتهم الذلة ، فهم في بحر أجاج أفواههم ضامرة وقلوبهم قرحة ، وقد وعضوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قالوا فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القرظ.**

تدور التقية التي يُعرّفها شيخ الطائفة المفيد بكتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا(*)، وتدور حول أربعة أحكام رئيسية :

١- أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.

٢- أنها تستعمل مع المخالفين ، ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.

٣- إنها تكون فيما يدين به المخالفون في أمور الدين.

٤- ويجيزون استعمالها ـ على حد زعمهم ـ عند الخوف على الدين أو النفس أو المال.

ويقول الطباطبائي الذي هو أحد كبار علماء الطائفة الصفوية : إن عقيدة التقية في المذهب الشيعي تستمد جذورها من الآية الثامنة والعشرين من سورة آل عمران ، والتي يقول الله فيها : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ وفي الآية السادسة بعد المائة من سورة النحل، قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

وكنت أتمنّى على السيد الطباطباني أن يتدبر أسباب نزول هاتين الآيتين ، والظروف التي كانت تحيط بالمسلمين وقت نزولهما قبل أن يعمد إلى اللعب على الألفاظ لتمرير ما يعتقده هو أو باقي أركان الطائفة ، وأن يناقش اعتقاده بالتقية بدلالة الآيتين الرابعة عشر والخامسة عشر من سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾. أو بدلالة قوله تعالى في الآية مائة وتسعع عشرة من سورة آل عمران : ﴿ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾. ليدرك جيداً أن عقيدته بالتقية إنما هي قائمة على النفاق وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء : ١٤٥].

(*) أورده المفيد في ١١٥ من تصحيح الاعتقاد.

وقد اعتبر علماء المســلمين التظاهر قولاً وعملاً بغير ما يبطن المســلم نوعاً من الكذب علامة النفاق ، وقد قال الرســول المصــطفى ^ : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**» ، وفي حديث آخر ذمَّ صلوات الله وسلامه عليه من يلجأ إلى ذلك وسمّاه بذي الوجهين، وقال الإمام علي عليه السلام : **وأيمُ الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصــرته**، وقال عليه السلام في مناســبة أخرى : **فوالله ما أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إليَّ**.. ومما قاله إمام الهدى علي بن أبي طالب عليه السلام أيضــاً : **فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفون حفافيها وراءها وأمامها**.

إذن لماذا يتخذ فقهاء الدعوة الصــفوية من رخصــة أجاز الله تعالى بها للمســلمين التعامل مع الكافرين يومئذ وفي حالة خاصــة أو حالتين خاصــتين ضــيقتين فيجعلون تســعة أعشــار الدين على حد زعمهم في التقية، ويقولون : لا دين لمن لا تقية له ..، أو التقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين؟

والأغرب من كل هذا وذاك قول(الإمام) الخميني في كتابه كشــف الأســرار : إن التقية معناها الحفاظ على الإسلام والمذهب الشيعي ، وإن الشيعة لو لم يلجؤوا إليها لكان الفكر الشيعي قد انتهى الأمر به إلى الانقراض، ومعنى قول (الإمام) الخميني إن التقية يمكن استخدامها ضد غير الشيعة بما في ذلك المسلمين ، وذلك للحفاظ على العقيدة الجعفرية.

ورداً على دعوات أئمة البيت الصفوي في بطلان عقيدة التقية ، سنستحضر العديد من الوقائع التاريخية التي يصادق الصفويون على صحتها لننسف بدلالتها كل ما جاؤوا به من القواعد :

١- لو كانت التقية من بين ما كان الله تعالى قد دعا إليه أو هي سنة نبوية لنأى الرسول الأعظم وصحبه الميامين –يوم كانوا قلة قليلة – بنفسه وصحابته عن مقاتلة مشركي قريش الذين كانوا يتفوقون عليهم عدة وعدداً في معركة بدر الكبرى .. ولو كان الأمر كذلك لتجنب المسلمون خطر مواجهة الروم البيزنطة الذين بلغ عددهم وعديدهم عشرين ضعف ما كان عليه المسلمون في معركة اليرموك.

٢- ولو كانت التقية (فريضة أو سنة) لعزف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن مقاتلة جيش معاوية بن أبي سفيان في واقعة صفين عام ٣٧هـ ، ولو كان الأمر كما يعتقدون لتجنب الإمام علي عليه السلام قتال المرتدين وقتال الخوارج من بعدهم.

٣- ولو صــح ما يزعمون لاتّقى الإمام الحســين عليه السلام مواجهة غير متكافئة مع جيش اللعين عبيد الله بن زياد في كربلاء عام ٦١هــ ، بدلاً من أن يخوض حرباً انتهت بسبي من تبقّى من آل بيت النبي ^ من نساء وأطفال.

والأمثلة كثيرة وقد لا نجد حصراً لها في مناقشة بدعة أراد الصفويون من خلالها مهادنة من يلتقي معهم في الرؤى والمصــالح حتى لو كانوا من الحانقين على الإســلام والمســلمين والمبغضــين لهما ومجافاة من يتقاطع معهم ومع دعواتهم البغيضــة ، حتى لو كانوا من المخلصــين لقيم الدين الحنيف (والأمثلة كثيرة ولا تعد ولا تحصى) ونحن هنا نلفت انتباه العرب من المسلمين إلى خطورة هذه التقية ، التي يتطلع الصفويون من خلالها إلى تعطيل فريضة الجهاد التي دعانا الله ورسوله إلى العمل بموجبها دفاعاً عن الدين والعرض والأرض ومجاهدة من يكيد بديننا ويفرغون من المسلمين غيرتهم على الإسلام القويم ، في وقت يجيز فيه الصــفويون الاصــطفاف مع أعداء الدين لمقاتلة المســلمين ، كما حدث واصــطفوا مع الصــليبيين في مقاتلة القائد المسلم محمد الفاتح - في معارك الأهمايون - والذي فتح الله على يديه القسطنطينية وغيرها، وأخزاهم الله وخذل قائدهم أوزون حســن وقد نبذوا التقية التي دعوا إليها مثلما ضــربوا بها عرض الحائط عندما هادنوا البرتغاليين والإنجليز فيما بعد والحوادث جمة ولا عدّ لها ولا حصر.

*لا أغالي إذا ما قلت:- إن الشيعة العرب لا يؤمنون بهذه التقية ولا يعتقدون بها.



قال الله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال : ٤١].

١٩ـ الخمس

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نقلاً عن كتاب نهج البلاغة المنسـوب إليه : **والله لقد رقَّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها ؟ فقلت : اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى.**

أصل الخمس :

قال الله تعالى في محكم التنزيل وتحديداً في الآية ٤١ من سورة الأنفال :﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ بحثت طويلاً بين آيات السور المكيّة والمدنية فلم أجد كلمة (خمسه) إلا في الآية الكريمة أعلاه ، وقد سألت العديد من أهل الذكر عن الدلالات المستنبطة من هذه الآية لتشريع ما لم يشرعه الرسول الأمين ^ ولا الخلفاء الراشدون ومعهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من بعده ، ولا من جاء بعدهم من آل بيت النبوة كأبناء علي عليه السلام وأحفاده من بعده بدءاً من زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وانتهاءً بالإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام ، فانتهيت إلى ادعاء صفوي جديد قام على مبدأ اللعب على ألفاظ القرآن الكريم : فلقد فات من شرَّع قانون الخمس أن المغانم التي أشارت إليها الآية الكريمة أعلاه هي ما يؤخذ من أموال الكفار بعد فتح بلدانهم بالسيف ، حيث يذهب أربعة أخماس تلك الغنائم إلى المقاتلين من المسلمين الفاتحين ،بينما يذهب الخمس الباقي إلى المشار إليهم في نفس الآية، فما كان لله فهو لله وما كان للرسول فهو للرسول وما كان لذي القربى فهو لذي القربى ويذهب الباقي لليتامى ، وآل النبي ليسوا كذلك وبعضه الآخر يذهب للمساكين وأبناء السبيل وآل بيت محمد ^ ليسوا مساكين ولا أبناء سبيل.

وقد يكون من بين تلك الغنائم أموال الفيء (وهي تلك الأموال التي تؤخذ من أهل البلدان التي تفتح صــلحاً ومن دون قتال) أو أموال الجزية (وهي التي يدفعها أهل الذمة للمســلمين مقابل حمايتهم إن كانوا قادرين على دفعها) إذن فهي بهذا الوصــف أموال يجب الحصــول عليها من غير المســلمين ويتم إنفاقها بالكيفيات والأشكال التي أشرنا إليها .. وأرجو ألا يفوت القارئ الكريم أن هناك فرقاً بين المكاسب والمغانم .. ولقد نزلت ســورة الأنفال لتناقش مغانم المســلمين في معركة بدر وفي الحروب والمعارك التي يخوضونها. (وإليك أن تتأمل قوله تعالى : ــ ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى﴾) فيوم الفرقان عند المفسرين الشيعة والسنة هو يوم (بدر).

يقول السيد حسين الموسوي رحمه الله في كتابه كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار: استُغِل الخمس استغلالاً بشعاً من قبل الفقهاء والمجتهدين ، وصار مورداً يَدرُ على السادة والمجتهدين أموالاً طائلة جداً ، مع العلم أن نصـوص الشـرع تدل على أن عوام الشـيعة في حِلٍّ من دفع الخمس، بل هو مباح لهم لا يجب عليهم إخراجه، وإنما يتصـرفون فيه كما يتصـرفون في سـائر أموالهم ومكاسـبهم بل إن الذي يدفع الخمس للسادة والمجتهدين يعتبر آثماً؛ لأنه خالف النصوص التي وردت عن أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت سلام الله عليهم.

وبغية الوقوف على حقيقة هذا الخمس وكيفية التصرف فيه سنأتي على أقوال أئمة آل بيت النبي الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الخمس (وفق ما جاء في الروايات الصفوية) :

١- وزعموا أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أصبتُ مالاً أرمضت فيه. أفلي توبة ؟ قال : آتني بخمسه، فأتاه بخمسه، فقال عليه السلام لهُ بعد أن ردَّ له مالهُ: هو لك ، إن الرجل إذا تاب تاب ماله معه. (أورده الشيخ الصدوق في ٢٢/٢ من كتاب من لا يحضره الفقيه).

٢- وعن علي بن مهزيار إنهُ قال : قرأت في كتاب لأبي جعفر عليه السلام ــ يقصد الإمام الباقر ــ جاءه رجل يسأله أن يجعله في حلٍ من مأكله ومشربه في الخمس فكتب عليه السلام بخطّه : من أعوزه شيء من حقي فهو في حل . (أورده الصدوق في ٢٣/٢ من كتابه فقيه من لا يحضره الفقيه).

٣- وعن ضريس الكناني قال الإمام الصادق عليه السلام : من أين دخل على الناس الزنا ؟ قلت : لا أدري جعلت فداك، قال : من قِبَلِ خُمسنا أهل البيت إلا شيعتنا الطيبين فإنه محلل لهم لميلادهم. (جاء على ذكره الكليني في ٥٠٢/٢ من أصول الكافي شرح الشيخ مصطفى).

٤- وعن حكيم مؤذن بن عيسى، قال : سألت أبا عبد الله عن قوله تعالى :﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فثنى أبو عبد الله عليه السلام بمرفقيه على ركبتيه ثم أشار بيده فقال : هي والله الإفادة يوماً بيوم ، إلا أن أبي جعل شيعته في حلٍ ليزكوا. (نقله الكليني في ٤٩٩/٢ من الكافي).

٥- وعن يونس بن يعقوب، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من القناطين فقال : جعلت فداك، تقع في أيدينا الأرباح والأموال والتجارات ونعرف أن حقكم فيها ثابت، وإنا عن ذلك مقصرون، فقال رضي الله عنه : ما أنصفناكم إن كلفنا كم ذلك .. (جاء على ذكره صاحب كتاب من لا يحضره الفقيه ٢٣/٢).

٦- وعن عمر بن يزيد قال : رأيت مسلماً كان قد حمل إلى أبي عبد الله تلك السنة مالاً، فردَّهُ أبو عبد الله ... إلى أن قال : يا أبا سيار قد طيبناه لك، وأحللنا لك منه، فضم إليك مالك، وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا. (أورده الكليني في ٢٦٨/٢ من أصول الكافي).

٧- وعن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال : إن الناس كلهم يعيشون في فضل مظلّتنا، إلا أنّا أحللنا شيعتنا من ذلك. (جاء على ذكره الصدوق في ٢٤٣/٢ من كتابه من لا يحضره الفقيه).

وهناك فتاوى لفقهاء معتمدين في المؤسسة الصفوية في إعفاء الشيعة من دفع الخمس وعدم دفعه لأي شخص كان حتى يقوم قائم أهل البيت :

١- أفتى الحسن بن المطهر الحلي بإباحة الخمس للشيعة وأعفاهم من دفعه. (ورد ذلك في ص٧٥ من كتابه تحريم الأحكام).

٢- مال يحيى بن سعيد الحلي إلى نظرية إباحة الخمس وغيره للشيعة كرماً من الأئمة وفضلاً. (ذكره الحلّي صاحب كتاب الجامع للشرائع، ص١٥١).

٣- قال الأردبيلي الذي هو عندهم أفقه فقهاء عصره حتى لقبوه بالمقدس بإباحة مطلق التصرف في أموال الغائب للشيعة خصوصاً مع الاحتياج : إن عموم الأخبار تدل على السقوط بالكلية في زمان الغيبة، والحضور بمعنى عدم الوجوب والحتم لعدم وجود دليل قوي على الأرباح والمكاسب ولعدم وجود الغنيمة، وهذا ما أورده السيد موسى الموسوي في كتابه لله ثم للتاريخ ، وقوله هذا مستنبط من قوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ ثم بيّن أن هناك روايات عن المهدي تقول : أبحنا الخمس للشيعة.

٤- أباح الشهيد الثاني في مجمع الفائدة والبحراني في البرهان ٣٥٥/٤-٣٥٨ الخمس بشكل مطلق وقال : إن الأصح هو ذلك.

٥- أمّا المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسين فقد قال بثبوت إباحة المنافع والمساكن والمتجر حال الغيبة وقال : لا يجب إخراج حصة الموجودين من أرباب الخمس منها. (ورد في كتاب شرائع الإسلام للحلي ص١٨٢-١٨٣ كتاب الخمس).

٦- ويقول العلامة سلار في صفحة ٦٣٣ من كتاب المراسيم : إن الأئمة قد أحلّوا الخمس في زمن الغيبة فضلاً وكرماً للشيعة خاصة. (نقله صاحب كتاب المراسيم، ص٦٣٣). ونحن نقول : إذا كان أئمة آل البيت عليهم السلام قد أحلوا الخمس في زمن الغيبة فضلاً وكرماً للشيعة خاصة كما يقول سلار فهل تنكر المؤسسة الصفوية الحالية فضل الشيعة وكرمهم لتأمرهم بدفع الخمس لها ؟

٧- ويقول محمد باقر السبزواري : المستفاد من الأخبار الكثيرة .. إباحة الخمس للشيعة وقد تصدّى السبزواري للرد على بعض الإشكالات الواردة على هذا الرأي وقال : إن أخبار الإباحة أصبح وأصرح فلا يسوغ العدول عنها بالأخبار المذكورة، وبالجملة فإن القول بإباحة الخمس في زمان الغيبة لا يخلو من قوة. (نقلاً عن كتاب ذخيرة المعاد للسبزواري ص٢٩٢).

٨- أما السيد محمد علي طباطبائي فقد قال : إن الأصح هو الإباحة. (وهذا ما ذكره صاحب كتاب مدارك الأفهام، ص٣٤٤).

٩- ومثلهم قال محمد حسن الفيض الكاشاني في ص٢٢٩ من كتابه مفاتيح الشريعة ومحمد حسن النجفي في ١٤١/١٦ من جواهر الكلام).

١٠- وفي كتابه مصباح الفقيه أباح الشيخ رضا الهمهداني الخمس حال الغيبة .. والهمداني هذا هو من الفقهاء المتأخرين جداً فقد توفي عام ١٣١٠هـ بينما من جئنا على ذكرهم من أولاً حتى تاسعاً قد شهدوا منذ القرن السابع الهجري حتى القرن الرابع عشر العديد من الأحداث والوقائع التي تتصل بموضوعة الخمس وأحاطوا بكل النصوص التي أباحت الخمس لجماهير الشيعة وأعفتهم من دفعها، مع العلم أن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم قد رفضوا الخمس وأعادوه إلى أصحابه وأعفوهم من دفعه، فهل يكون الفقهاء والمجتهدون أفضل من أئمة آل بيت النبي المصطفى؟.

وللطوسي رأي آخر :

أما الشيخ الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ هــ مؤسس الحوزة النجفية وأول زعيم لها فقد قال بعد أن ذكر أحكام الخمس : هذا في حال ظهور الإمام .. (يعني ذلك أن الخمس في حال ظهور الإمام له حكم وفي حال غيبة هذا الإمام أو عدم تمكنه فله حكم آخر ..) ثم حصر الطوسي الأقوال التي اختلف فيها فقهاء الطائفة إزاء الخمس بعد أن قال : فأما في حال الغيبة فقد رخّصوا لشيعتهم التصرف في حقوقهم من المناكح والمتاجر والمساكن وأجملها في أربعة:

١- قال بعضهم : إنه جارٍ في حال الاستتار مجرى ما أبيح من المناكح والمتاجر ـــ يعني طالما كان الإمام غائباً أو مستتراً ، فكلّ شيء مباح وهذا هو أصح الأقوال لأنه موافق للنصوص الواردة عن الأئمة وبه قال كثير من الفقهاء.

٢- وقال قوم: إنه يجب الاحتفاظ به أو حفظه مادام الإنسان حياً فإذا حضرته الوفاة وصّى به إلى من يثق به من إخوانه المؤمنين ؛ ليسلمه إلى صاحب الأمر (أي للقائم).

٣- وقال بعضهم بوجوب دفن المال لأن الأرضين تُخرج كنوزها عند خروج القائم.

٤- وهناك من قال بوجوب تقسيم الخمس إلى ستة أقسام : ثلاثة أقسام للإمام تُدفن أو تودع عند من يوثق به .. وهذا الرأي الأخير اختاره الطوسي وانتصر إليه.

أمنية في نفسي :

كنت أتمنى على إخواني العرب من أتباع المذهب الجعفري أن يتنبهوا لمن يتربص بهم الدوائر ويتآمر حتى على جيوبهم من فقهاء وأئمة الدعوة الصفوية ، وليعلموا جيداً أن أموال الخمس التي أجبرتهم المؤسسة الصفوية على دفعها بغير وجه حق كما رأينا إنما هي ستذهب لتمكين مؤسسات عسكرية ودوائر مخابراتية من شق صف المسلمين العرب بوسائل مباشرة وغير مباشرة .. ولو ذهبت (أموال الخمس) الطائلة للمحتاجين حقاً من أبناء المذهب الشيعي لصار صعباً علينا أن نجد بين الشيعة العرب من يشكو الفاقة والحرمان ..

ولا يفوتني هنا أن آتي على ما قاله الشاعر العربي الكبير أحمد الصافي النجفي رحمه الله في الخمس من أبيات شعرية :

عجبت لقوم شحذهم باسم دينهم	**وكيف يسوغُ الشحذُ للرجلِ الشهم؟!**
لئن كان تحصيل العلوم مسوغاً	**لذاك فإن الجهل خيرٌ من العلم!!**
وهل كان في عهد النبي عصابة	**يعيشون من مال الأنام بذا الاسم؟!**
لئن أوجب الله الزكاة فلم تكن	**لتُعطى بذلٍّ بل لتؤخذ بالرغم**
أتانا بها أبناء ساسان حرفة	**ولم تكُ في أبناءِ يعربَ من قدم**

ومن الجدير بالذكر أن السيد حسين الموسوي الذي حصل على درجة الاجتهادية من المؤسسات الصفوية قبل أن ينقلب عليها قد قال : قال لي الشاعر النجفي ذات يوم : ولدي حسين لا تدنس نفسك بالخمس (ورد هذا في كتاب كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار) .

تعليق :

كان من بين أهم ما قاله الإمام علي عليه السلام : **والله لقد رأيت عقيلاً، وقد أملق حتى استماحني من بُرّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شُعثَ الشعور غبرَ الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعُه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت: له ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئنُّ من حديدةٍ أحماها إنسانها لِلَعبهِ، وتجرني إلى نارٍ سجرها جبارها لغضبه، أتئنُّ من الأذى ولا أئنُّ من لظى.**

لو كان الله تعالى قد فرض على المسلمين فريضة خمس الأموال كما يزعم فقهاء البيت الصفوي لحقّ لعقيل بن أبي طالب عليه السلام - وهو من آل بيت النبوة - أن يطالب أخاه علياً عليه السلام ــ تصريحاً أو تلميحاً ــ بحقه في أموال الخمس الطائلة ليخرج هو وعياله من دائرة الفقر المتقع الذي هم عليه، ولو كان الأمر كما يصفون لما جاز لعلي عليه السلام أن يعتذر بفقره وفاقته على فقر وفاقة أخيه، ولما شكا الناس فقر حاله يوم قال : **والله لقد رقعت مدرعتي حتى استحيت من راقعها.**

*وللحقيقة أقول :-ما زال هناك نفرٌ غير قليل من بسطاء الشيعة وعوامهم يؤمنون بهذه العقيدة ويقولون بها.



قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف].

٢٠- ظهور المهدي

لقد حاولت جاهداً أن أجد في التراث الفكري للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إشارة إلى المهدي المنتظر وخصائصه الخاصة أو العامة فلم أجد وللأسف الشديد ـ لذا وجب الاعتذار.

ربما نحن من أكثر المؤمنين بحاجة العالم إلى الرجل الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن امتلأت ظلماً وجوراً سواء كان ذلك الرجل هو المهدي الذي قال عنه الرسول الكريم ^: «**إن اسمه يوافق اسمي واسم أبيه يوافق اسم أبي**» أو غيره، لكن غلاة الصفويين أساؤوا حتى إلى هذا الرجل ـــ بقصد أو بغير قصد ـــ وسفهوا على مدى أكثر من عشرة قرون موضوعة غيبته فبعد أن ادّعوا أن عليًّا عليه السلام لم يُقتل ولم يمت حتى يسوق العرب بعصاه ـــ وقد نقل ذلك ألمع علماء الطائفة النوبختي والأشعري والقمي والكشي ـ استدركوا ما قالوه وصرّحوا بمهدوية ولده محمد ابن الحنفية قبل أن يتخذوا من ولده (أبي هاشم) من بعده قائداً لهم ويدّعوا أنه المهدي المنتظر فلما مات وقع اختيارهم على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (الطيار) رضوان الله عليه، الذي استطاع أن يقيم دولة شيعية في أصفهان وظنوا أنه هو قائمهم المهدي ، فوقع اختيار بعضهم على زيد بن علي عليه السلام ليكون المهدي الجديد بينما اعتقد البعض الآخر بمهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن (ذي النفس الزكية) لكنهم قالوا بعد مقتله بمهدوية الإمام محمد الباقر عليه السلام ، ومن بعده قالوا بمهدوية ولده جعفر الصادق عليه السلام وسارعوا قبل وفاة الإمام الصادق فقالوا بغيبة ولده إسماعيل ، وفسّروا تشييع الإمام الصادق لولده ودفنه بأنها مسرحية، ثم ادّعوا بعد ذلك بمهدوية محمد بن عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق عليه السلام والذي لم يولد أصلاً ، مما جعلهم يزعمون أن الإمام موسى الكاظم عليه السلام هو قائم آل محمد، وفي عام ٢١٩ هجرية اختلف الناس في أمر محمد بن القاسم فقال البعض إنهُ هو المهدي المنتظر، وبعد سنوات قليلة ادّعى البعض الآخر أنه ذلك الرجل العلوي الذي خرج في الكوفة يحيى بن عمر وسمّوه مهدي الأمة ، وفي منتصف القرن الثالث الهجري اختلفوا في هوية الإمام المنتظر فقال قسم منهم إنه محمد بن علي الهادي عليه السلام لكن موته أطاح بآمال فقهاء الطائفة، فقال قسم آخر منهم بمهدوية أخيه جعفر ابن علي الهادي عليه السلام قبل أن يقع اختيارهم على ابن أخيه محمد بن الحسن العسكري ، وادعوا أنه ولِدَ سِراً وقال غيرهم : إنه غير محدد مع علمهم أنه ليس للإمام العسكري من عقب فانقطعت الإمامة يومها بانتظار أن يبعث الله قائماً في آل محمد ^.

ولقد وصف النعماني (أحد حكماء الطائفة) في كتابه الغيبة ما كان عليه الناس من حيرة إزاء موضوعة المهدي ، فكتب في الصفحتين ١١٣، ١٨٦ من ذلك الكتاب : إنَّ الجمهور منهم من يقول في الخلف : أين هو ؟ أو أنّى يكون أو إلى متى يغيب ؟ وكم يعيش ؟ وله الآن نيّف وثمانون سنة فمنهم من يقول إنه ميت ، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده ويستهزئ بالمصدّق به ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمد .. ويستطرد النعماني بعد ذلك قائلاً : أي حيرة أعظم من هذه التي أخرجت من هذا الأمر الخلف العظيم والجمع الغفير؟ ولم يبق ممن كان فيه إلا النزر اليسير وذلك لشكِّ الناس .. والغريب في الأمر أن من الشيعة من اعتقد بمهدوية الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح.

وقال داود بن علي على منبر الكوفة يوم بُويع لأبي العباس السفاح : يا أهل الكوفة لم يقم فيكم إمامٌ بعد رسول الله إلا علي بن أبي طالب وهذا القائم فيكم (ويقصد السفاح) .. (وقد أورده الطبري في الصفحة ٤٣ من الجزء السادس من تأريخه ..)

وكما أورد النوبختي في الصفحة ١١٤ من كتابه فرق الشيعة والأشعري في الصفحة ١١ من كتابه (المقالات والفرق) وهما من أكثر علماء الشيعة معاصرةً لتلك الحقبة كلاماً آخر قالا فيه : «إن وفاة الإمام العسكري عن دون ولدٍ ظاهر أدت إلى تراجع الشيعة عن القول بإمامة العسكري نفسه ، كما تراجع بعض الشيعة الموسوية قبل مئة عام عن القول بإمامة عبد الله الأفطح الذي أصبح إماماً بعد أبيه الصادق ، ولكنه لم ينجب ولداً تستمر معه الإمامة فيه، وقال هؤلاء : إن القول بإمامة الحسن غلط وخطأ وجب علينا الرجوع عنه إلى إمامة جعفر، وإنّ الحسن قد توفي ولا عقب له فقد صح عندنا أنه ادّعى باطلاً لأن الإمام بإجماعنا جميعاً لا يموت إلا عن خلفٍ ظاهرٍ معروفٍ ويوصي إليه ويقيمه مقامه بالإمامة، والإمامة لا ترجع في أخوين بعد الحسن والحسين، فالإمام لا محالة جعفر بوصيّة أبيه إليه».

وجاء في الصفحة ٣٤٥ من الإرشاد للشيخ المفيد أن جعفر بن علي الهادي عليهما السلام قد طالب بالإمامة وقال : إن أخاه الحسن لم يعقب، وفي الصفحة ٢٨٥ من المصدر نفسه أشار المفيد إلى مطالبة عبد الله بن جعفر عليه السلام بالإمامة أيضاً.

وبينما أنا أفتش عن المبررات التي اعتمد عليها علماء الطائفة في حصر الإمامة في أبناء الحسين وأحفاده من بعده دون أبناء الحسن وأحفاده من بعده، توقفتُ عند إقرار العديد من أولئك العلماء بعدم وجود نصٍ إلهي حول الإمامة في ذلك العصر، حتى قرأتُ لكبير علماء الطائفة آنذاك (الصدوق) وتحديداً في الصفحة ٢١٠ من كتابه إكمال الدين أنَّ حفيد الإمام الحسن عليه السلام محمد بن عبد الله بن الحسن عليه السلام قد قال مستنكراً حصر الإمامة في البيت الحسيني : كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما سيدا شباب أهل الجنة وهما في الفضل سواء إلا أن للحسن على الحسين فضلاً بالكبر، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل؟!!

وتعليقاً على ما ورد أقول : لو كانت الإمامة بنصٍّ من رسول الله ^ ـ كما يدَّعون ـ لما جاز لحفيد الإمام الحسن عليه السلام أن يستنكر حصر الإمامة في أولاد الإمام الحسين عليه السلام، ولا يفوتني هنا أن أشير إلى رفض الجارودية وهم أكثر الفرق تطرفاً ـ في القرن الثاني الهجري ـ في القول بالنص في حصر الإمامة في أولاد الحسين عليه السلام وقد اتفق معهم في ذلك الزيدية واعتبروا من يقول ذلك خارجاً عن الدين وقالوا : إنها شورى في أولادهما جميعاً، ولو أن الرسول المصطفى محمدًا ^ قد كشف حقاً عن الخصائص الخلقية لهذا الإمام ، أو أشار إلى العلامات الفارقة للمهدي ، وأفصح عن كنهه وماهيته لما وقع أتباع الطائفة في هذه الحيرة وتخبطوا في البحث عن القائم المنتظر الذي ننتظره عربياً.

تنويه : لقد استعنت بالعديد من المصادر التي كتبها علماء الطائفة في بحث هذه القضية الخلافية كالكافي للكليني وإكمال الدين والأمالي للصدوق والغيبة للنعماني وفرق الشيعة للنوبختي والشافي للمرتضى ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ومروج الذهب للمسعودي ومعرفة الرجال للكشي.

*أما الشيعة العرب فيعتقدون بعودة الإمام المهدي ولكن ليس بالطريقة التي وصفوه بها أقطاب الأقبية الصفوية فعودته عند الشيعة العرب مقرونة بالقسط والعدل الذي سيأتي بهما القائم بعد أن تكون الأرض قد امتلأت ظلماً وجورًا.



قال الله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩].

٢١- ولاية الفقيه

وقال الإمام علي عليه السلام : **الحمدُ لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرماً على غيره واصطفاهما لجلاله ، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده.**

تعني ولاية الفقيه حصر الحق في ممارسة السلطة الدينية في الفقهاء ، وقد انبرى عدد غير قليل من الفقهاء والمحققين للاحتجاج بالرفض لهذه الولاية ، فقد قال أبو القاسم الخوئي : إن ما استدل به على الولاية المطلقة في عصر الغيبة غير قابل للاعتماد عليه، ومن هنا قلت بعدم ثبوت الولاية له في موردين ، هما الفتوى والقضاء، .. وقال المحقق مرتضى الأنصاري (نقلاً عن كتاب المكاسب) برفض تلك الولاية واحتج على أدلة القائلين بها.

وكانت حجة أغلب الفقهاء في رفض هذه الولاية تقوم على أن إعطاء الفقيه العادل وهو بشر غير معصوم ومعرَّض للخطأ والانحراف صلاحيات الرسول ^ المطلقة وولايته العامة على النفوس والأموال والتطرف في ذلك حد السماح للفقيه بتجميد القوانين الإسلامية الجزائية الشرعية كما يقول الخميني وبعض أنصار ولاية الفقيه ، يلغي الفوارق بين النبي المعصوم المرتبط بالسماء وبين الفقيه الإنسان العادي المعرض للجهل والهوى والانحراف ، وهذا ما يتناقض مع الفكر الإمامي الذي رفض المساواة بين أولي الأمر (الحكام العاديين) في وجوب الطاعة لهم كوجوب الطاعة لله تعالى والرسول الأكرم محمد ^ ، ولا تزال نظرية ولاية الفقيه تثير جدلاً كبيراً وتطرح الكثير من التساؤلات رغم مرور ثلاثة عقود على قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، وتطبيق هذه النظرية كنموذج للحكم الصفوي.

ونظرية ولاية الفقيه تعد نتاجاً لتطور العقائد الصفوية منذ اختفاء الأئمة المعصومين وحتى ظهور النظرية التي لم تخلق على يد الخميني من العدم ، حيث استلزم الأمر مئات السنين حتى وصل التراكم العقائدي إلى ما أمكن الخميني الاستناد إليه ليخرج بنظريته تلك إلى الدنيا.

ومع تطور مفهوم الاجتهاد والتقليد ، نشأت نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام الغائب في إدارة الأمور التي تتضمن إدارة أموال الأوقاف والخمس والزكاة وأموال السفهاء ومن لا ولي له وتكفل اليتامى والمحتاجين، ونظرية ولاية الفقيه هي ولاية وحاكمية الفقيه الجامع للشرائط في عصر غيبة الإمام الحجة حيث ينوب الولي الفقيه عن الإمام المنتظر في قيادة الأمة ، وإقامة حكم الله على الأرض.

ومن بين من قال بنظرية ولاية الفقيه من الذين كانوا يبررون الغيبة بأن الإمام موجود كالشمس وراء السحاب محمد بن مكي العاملي وأبو الحسن الكركي العاملي وأحمد الكاشاني ومرتضى الأنصاري والشيخ رضا الهمداني والشيخ حسن الفريد والسيد الكلبايكاني إضافة إلى الخميني.

أمّا عن أبرز المعارضين لهذه النظرية فيقول الدكتور موسى الموسوي في كتابه لله ثم للتاريخ : وكاد الإمام الشريعة مداري الزعيم الروحي الكبير والذي ساهم في الثورة الإيرانية مساهمة عظيمة وكاد أن يدفع حياته ثمناً لمعارضة هذه الفكرة .. كذلك كان الشيخ محمد جواد مغنية قد استنكر على الخميني ولاية الفقيه، ولم يكن نصيب الإمام الطباطباني القمّي في خراسان من المحن والبلاء أقل من نظير الإمام الشريعة مداري في قم عندما عارض ولاية الفقيه معارضة الأبطال (وهذا ما قاله الدكتور موسى الموسوي لجريدة كيهان اللندنية) .. كذلك وقف آية الله العظمى مرعشي النجفي وآية الله محمد محمد صادق الصدر والسيد الخوئي والشيخ حسين علي المنتظري موقف المعارض لهذه النظرية الجديدة.

وهناك العديد من الدلائل على نقض ولاية الفقيه إذ احتج عليها ونقضها أكثر القائلين بها كالبروجوردي والكلبايكاني ، والخميني نفسه كان قد احتج عليها وقال في كتابه الحكومة الإسلامية : عدم وجود النص على شخص من ينوب عن الإمام المهدي حال غيبته، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد بقيت هذه النظرية محل نقاش وجدل كبير بين العلماء حيث لا علاقة بالفقيه الذي له حق ممارسة السلطة السياسية ، هذا إضافة إلى رفض العديد من العلماء ــ كما أشرنا إليه سابقاً ــ ناهيك عن تعارض وتناقض هذه النظرية مع نظرية الإمامة الإلهية التي تحصر الحق في الحكم (بالأئمة المعصومين المعيّنين من قبل الله تعالى) على حد زعمهم.

*ويرفض الشيعة العرب الإيمان بهذه العقيدة ويعتبرها بعضهم من العقائد الشركية الصريحة.



قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران].

٢٢- أحزان عاشوراء

قال الإمام الحسين عليه السلام يوم واقعة الطف لأخته زينب عليها السلام : **يا أُخيّة إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيباً ولا تخمشي عليَّ وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور.**

قال الرسول الأكرم محمد ^ - نقلاً عن مستدرك الوسائل وجامع أحاديث الشيعة : **ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب** .. وكان ^ قد قال : **إني بريء ممن حلق وصلق** ــ أي حلق الشعر ورفع صوته-. (وهذا ما ورد في ٤٨٩/٣ من جامع أحاديث الشيعة،و ١٤٤/١ من مستدرك الوسائل للطبرسي). وقال الرسول المصطفى ^ : **صوتان ملعونان يبغضهما الله: أعوال عند مصيبة، وصوت عند نعمة**. (ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتاب مستدرك الوسائل ١٤٤/١ وأورده المجلسي في ١٠١/٨٢ من بحار الأنوار) كما قال ^: **ليس منّا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.**

٢- وقال الإمام علي عليه السلام لرفاعه بن شداد : **لا يصلح الصياح على الميت**. (أورده الكليني في ٢٢٦/٣ من الكافي)، ومما قاله عليه السلام أيضاً : **وإياك والنواح على الميت ببلدٍ يكون لك به سلطان**. (أورده الطبرسي صاحب مستدرك الوسائل ١٤٤/١). وقال أيضاً : **من ضرب يده عند مصيبة على فخذه فقد حَبِطَ عمله.**

٣- قال الإمام الحسين عليه السلام لأخته زينب عليها السلام بعد أن لطمت وجهها ، وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها في يوم الطف : **يا أخيه اتقي الله وتعزّى بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وإن أهل السماء لا يبقون وإن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير مني وأمي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة** .. فعزّاها بهذا ثم قال لها : يا أخية إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيباً ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت. (أورده الطبرسي في مستدرك الوسائل ١٤٤/١). وقال في المصدر نفسه : ليس منا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب.

٤- أما الإمام محمد الباقر عليه السلام فقد قال : **أشد الجزع الصراخ بالويل ولطم الوجه والصدر وجر الشعر من النواصي ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذه في غير طريقه** (أورده الكليني في ٢٢٢/٣-٢٢٣ من كتابه الكافي والمجلسي في بحار الأنوار والبحراني في الحدائق). وحدث أن مَرض ولد للإمام الباقر عليه السلام فجزع عليه وهو مريض ، فلما توفي الابن كفَّ الإمام الباقر عن الجزع وصبر ، فلما سُئل عن ذلك قال : كنت في مرضه أدعو الله فلما توفي لم أخالف الله فيما أحبّ فصبرت ورضيت.

٥- وذكر أنَّ الإمام الصادق في حديث المناهي الذي رواه الصدوق في ٣/٤-٤ من كتاب فقيه من لا يحضره الفقيه، والمجلسي في ١٠٤/٨٢ من كتابه بحار الأنوار، والحر العاملي في وسائل الشيعة،قد نهى عن الرنة عند المصيبة ونهى عن النياحة والاستماع إليها ونهى عن تصفيق الوجه.

٦- وقال محمد العاملي (وهو أحد شيوخ الطائفة) في ص٧١ من الذكرى ونقله محمد حسن النجفي صاحب جواهر الكلام ٣٦٧/٤ : يحرم اللطم والخدش وجر الشعر إجماعاً (كما ورد في المبسوط للطوسي) ولما فيه من السخط لقضاء الله.

٧- يقول الدكتور محمد التيجاني السماوي المتعصب شيعياً : إنني سألت الإمام محمد باقر الصدر عن الحديث أعلاه (والذي كنا قد أوردنا في سادساً) فأجابني بقوله : الحديث صحيح لاشك فيه (ذكره التيجاني في كتابه ثم اهتديت).

٨- وكان التيجاني قد قال في المصــدر نفســه «والحق يقال إن ما يفعله بعض الشــيعة من تلك الأعمال ليســت هي من الدين في شــيء ، ولو اجتهد المجتهدون وأفتى بذلك المفتون ليجعلوا فيها أجراً كبيراً وثواباً عظيماً ، وإنما هي عادات وتقاليد وعواطف تطغى على أصحابها فتخرج بها عن المألوف ويصبح ذلك من الفولكلور الشــعبي الذي يتوارثه الأبناء عن الآباء في تقليد أعمى وبدون شــعور. (جاء ذكره في ١٤٨ من كتاب كل الحلول للتيجاني).

٩- ومما قاله التيجاني أيضــاً : لم أقتنع بتلك المناظر التي تشــمئز منها النفوس وينفر منها العقل الســليم والذي يبعث على الشك أنك ترى هؤلاء الذين خرجوا عن أطوارهم وظننت أن الحزن أخذ منهم كل ما أخذ فإذا هم بعد لحظات وجيزة من انتهاء العزاء تراهم يضحكون ويأكلون الحلوى ويتفكهون وينتهي كل شيء بمجرد انتهاء مواكب العزاء، والأغرب من ذلك أنّ معظم هؤلاء غير ملتزمين بالدين. (أورده التيجاني في المصدر السابق).

١٠- أمّا الشــيخ حســن مغنيّة فقد قال في حديث له في الصــفحة ١٨٢ من كتاب آداب المنابر : الواقع أن ضرب الرؤوس بالخناجر والسيوف وإسالة الدماء ليست من الإسلام في شيء ولم يرد فيها نص صريح.

تعليق :

نحن لا نريد أن نعلق بشــيء على ما ورد أعلاه وســنترك الدكتور محمد التيجاني الســماوي بما عرف عنه من تعصــب للمذهب الشــيعي أن يعلق على ما رآه من مشــاهد دموية تدعو المؤســســات الصــفوية إلى القيام بها في العاشــر من محرم الحرام من كل عام، فقد قال التيجاني في حديث له نقله عنه مرتضــى عياد في الصفحة ١٧٠ من كتابه فضل الحسين : إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يفعل بعد وفاة النبي ٨ ما يفعله عوام الشيعة.

وإذا كان لنا من تعليق على شيء فيمكننا أن نوجزه بسؤالين :

١- الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام سيد شباب أهل الجنة ، وهذا ما أجمع عليه الشيعة والسنة على حد سواء ، فلماذا نبكي اليوم عليه وهو الآن في الفردوس الأعلى ولا نبكي أنفسنا نحن الذين لا نعرف المنازل التي سينزلنا الله تعالى بها، والجنة وفردوسها الأعلى هي أغلى ما يتمناه العبد وقد بلغها الإمام الحسين عليه السلام ؟!!

٢- يردد أتباع العقائد الصــفوية في كل عاشــورا من كل عام شــعار (يالثارات الحســين) .. وإذا كان قتلة الإمام الحســين عليه السلام قد ذهبوا إلى مزبلة التاريخ ملعونين إلى غير رجعة مثواهم جهنم وبئس المصــير ، فمن أين يطلب أتباع المؤسسة الصفوية هذا الثأر بعد ما يقرب من أربعة عشر قرناً ؟

لمحة تاريخية :

يعترف علماء الطائفة الصــفوية أن مظاهر اللطم والنياحة والتطبير وغيرها لم تكن موجودة في المآتم الحســينية فقد ذكر نجم الدين أبو القاســم (المعروف عندهم بالمحقق الحلي في الصــفحة ٩٤ من كتاب المعتبر) بأن الجلوس للتعزية لم ينقل عن أحد من الصــحابة والأئمة ، وأن اتخاذه مخالف لســنة الســلف ، وهذا يعني أن المآتم والشعائر الحسينية من البدع التي يجب تركها.

ويذكر الدكتور حســين الموســوي في كتاب الشــيعة والتصــحيح إنه حتى وقت قريب كانت الســفارة البريطانية في طهران وبغداد تموّل المواكب الحسـينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشــع في الشــوارع والأزقة، وكان الغرض وراء السياسة الاستعمارية هو إعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني والصحف الحرة التي كانت تعارض الحكومة البريطانية في استعمارها للهند وللبلدان الإسلامية، وإظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون إلى من ينقذهم من الجهل والتخلف ،.. وكانت صور المواكب

التي تسـير في الشـوارع في عاشـورا وفيها الآلاف من الناس يضـربون بالسـلاسـل على ظهورهم ويدمونها وبالقامات والسـيوف على رؤوسـهم تنشـر في الصـحف الإنجليزية والأوروبية وكان السـاسـة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الإنساني في استعمارِ بلادٍ تلك هي ثقافة شعوبها.

ونحن هنا لا نملك إلا أن نقول ما قاله الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥].

*وأتمنى على الشـيعة العرب الذين يؤمنون بهذه الطقوس وتلك المراسـيم أن يسـألوا أركان المؤسـسـة الصفوية قائلين: لماذا لا تؤمنون بما تكلّفوا الناس به فتكلّفوننا بما لم تكلّفوا أنفسكم ؟



قال الله ﷻ في كتابه العزيز : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة].

٢٣ـ تعطيل عقيدة الجهاد

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : **فإن الجهاد باباً من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة.**

بعد أن وقفنا على ما قاله الله تعالى في الجهاد وقرأنا وصف الإمام علي عليه السلام للجهاد بدرع الله الحصينة فلنأتي على ما قاله جهابذة المؤسسة الصفوية في هذه الفريضة :

١ـ جاء في كتاب الكافي ٢٩٥/٨ للشيخ الكليني عنه عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار عن أبي بصير عن أبي عبد الله إنه قال (على حد زعمهم) : كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله ﷻ.

وتعليقاً على ما تقدم يمكننا القول : ما هي علاقة هذه الراية بالجهاد حتى يعمد أركان البيت الصفوي إلى تعطيله؟ فالمقصود من قول الإمام الصادق عليه السلام (راية القائم) وليس راية الجهاد ، وخير دليل على ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام : إنه ليس من أحد يدعو إلى أن يخرج الدجال إلا سيجد من يبايعه ومن رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت.

٢ـ قال الطبرسي في ٢٤٨/٢ من مستدرك الوسائل طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال : مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم عليه السلام مثل فرخ طار من وكره فتلاعب به الصبيان، .. (ومفاد قول الإمام الباقر عليه السلام في هذه الرواية القائم وليس الجهاد كما أسلفنا في التعليق على ما جاء في أولاً).

٣ـ وادّعوا أن الإمام الصادق عليه السلام قد قال في الصفحة ١٦ من الصحيفة السجّادية للإمام علي بن الحسين عليهم السلام : ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلا اصطلته البلية وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا.

وهذا الكلام لا يصمد أمام الحقيقة لسببين أولهما أن هذه الرواية قد وردت في المقدمة التي كتبها الحاج عبد الرحيم زنجاني للصحيفة السجادية وثانيهما أنه ليس من المعقول أن يروي الإمام السجاد عليه السلام عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام وقد توفي عنه. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ المنتظري قد ضعّف في حديثه عن نظام الحكم في الإسلام إسناد هذه الرواية.

٤ـ وجاء في الصفحة ١٠٦ من كتاب الغيبة للطوسي عن محمد بن إبراهيم أن الإمام الباقر عليه السلام قد قال عن جعفر بن محمد بن مالك (الذي اختلف على وثاقته في معجم رجال الحديث) : مَثَلُ خروج القائم منا أهل البيت كخروج رسول الله ٨ ومثل ما خرج منا أهل البيت قبل خروج القائم مثل فرخ طار فوقع من وكره فتلاعب به الصبيان.

٥ـ وقالوا : أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدثني علي بن الحسن التيمالي قال : حدثنا الحسن ومحمد ابنا علي بن يوسف عن أبيهما عن أحمد بن علي الحلبي عن صالح بن أبي الأسود وعن أبي الجارود إن الإمام الصادق عليه السلام قد قال : ليس منا أهل البيت أحد يدفع ضيماً ولا يدعو إلى حق إلا صرعته البلية حتى تقوم عصابة شهدت بدراً لا يوارى قتيلها ولا يداوى جريحها.

وقبل التعليق على هذه الرواية كان من المفيد أن نشير إلى تضعيف عدد غير قليل من علماء الصفوية لهذه الرواية لأنها جاءت عن أبي الجارود وإنكارهم لأحد رواتها، فقد جاء في معجم رجال الحديث : إن صالح بن أبي الخياط الليثي مجهول، وإذا جاز لنا أن نعلق على قول نسبوه زوراً وبهتاناً للإمام الصادق عليه السلام في الرواية أعلاه فليس لنا إلا أن نقول : الصادق من أئمة آل بيت النبوة الذين لا ينامون على ضيم (وله ولنا في الإمام الحسين عليه السلام أسوة طيبة) وهم من دعاة الحق بامتياز فكيف ترمون عليهم هذه الفرية وتدّعون أنهم قد ابتعدوا بأنفسهم عن الحق إذا دُعوا إليه ؟

٦- وادعوا أن الإمام الصادق عليه السلام قد قال لسدير الصيرفي : يا سدير الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسها، .. فاحتجوا بهذه الرواية.

٧- عَمَدَ فقهاء الطائفة إلى ذم أهل السنة والجماعة لأنهم يجاهدون، وقد روى الكاشاني في ١٥/٩ من كتاب الكافي والحر العاملي في ٢١/١١ من وسائل الشيعة ومحمد حسن النجفي في ٤٠/٢١ من كتابه جواهر الكلام عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور ؟ فقال : الويل يتعجلون قتلة في الدنيا وقتلة في الآخرة والله ما الشهيد إلا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم. (وقال الخوئي في معجم رجال الحديث إن هذه الرواية ضعيفة).

٨- اشترط الطوسي في المبسوط في وجوب الجهاد ظهور الإمام العادل الذي لا يجوز لهم القتال إلا بأمره ولا يسوغ لهم الجهاد دونه أو حضور من نصّبه الإمام للقيام بأمر المسلمين، وقال بعدم جواز مجاهدة العدو متى لم يكن الإمام ظاهراً ولا من نصبه الإمام حاضراً واشترط الطوسي في الجهاد حضور إمام عادل أو من نصبه الإمام للجهاد ولا يجوز الجهاد بغير الإمام ولا مع أئمة الجور .. وتعليقاً على ذلك نقول : إذن لماذا شنوا حرباً دامت ثماني سنوات على العراق في ثمانينيات القرن العشرين؟؟

ونقلوا رواية عن الإمام أبي الحسن عليه السلام تجيز الغزو مع الكفار ضد الحكام المسلمين. (وهذا ما قاله المفيد في كتاب الاختصاص) وقد فعلوها فاصطفوا مع الروم البيزنطة في قتال جيش محمد الفاتح في معارك الأهمايون وناصبوا الإسلام والمسلمين العداء باصطفافهم مع البرتغاليين في غزوهم الخليج العربي وهادنوا الإنجليز في احتلال العراق وأجزاء من بلاد الشام والجزيرة العربية مطلع القرن العشرين ، حتى سُمِّي كبيرهم كاظم يزدي بالملا الإنجليزي، وهناك نظرية أخرى لهم تدعو لتعطيل فريضة الجهاد تتلخص في ضرورة الاستعانة بالمحتل إذ لا ضير أن يخدم المسلم عند المحتل أو يكرمه وهذا ما حصل في العراق فقد رأينا كيف اصطفَّ أفراخ طهران وعملاء الولايات المتحدة الأمريكية وأتمروا بأوامرهم وكيف قدم أحدهم سيف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لوزير دفاع ــ دولة الاحتلال ــ الولايات المتحدة الأمريكية دونالد رامسفيلد، ولا يفوتنا هنا أن نقول : إن أقطاب المؤسسة الصفوية قد جاهروا بالقول : لولا إيران ما كان للولايات المتحدة الأمريكية احتلال كابل وبغداد، وقد تعاونت طهران تسليحياً مع الكيان الصهيوني خلال حربها على العراق في ثمانينيات القرن الماضي فكانت فضيحة وترغيت. لذلك رأينا أئمتهم يقولون بتعطيل فريضة الجهاد إلا مع المعصوم أو نائبه الخاص، ونسوا قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : **ما غزي قومٌ في عقر دارهم إلا وذّلوا**. لذلك حاولوا تشويه صورة مجاهدي العراق سنة وشيعة من الذين تولوا مقاومة القوات الأمريكية الغازية بغية تعطيل فريضة الجهاد ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة : ٥١].

الجهاد عند الشيعة العرب :

اشتقت كلمة جهاد من الجهد أو القوة أي أن الإنسان يبذل جهداً لشيء معين أو لدفع شيء معين وتحتوي فكرة الجهاد على محاولة دفع القوة بالقوة وينقسم الجهاد عند الشيعة العرب إلى خمسة أقسام:- جهاد لحفظ بيضة الدين إذا أراد أعداء الله مسها بسوء وحاولوا أن يجعلوا كلمتهم أعلى من كلمة الإيمان بالله وأن يكون الشرع باسمهم مناقضاً لدين الله ﷻ وجهاد لدفع العدو عن التسلط على دماء المسلمين بالسفك وأعراضهم بالهتك وآخر للدفاع عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكفار وجهاد لدفع الكافرين عن ثغور المسلمين وقراهم وأرضهم أو لإخراجهم منها بعد تسلطهم عليها بالجور أو لجبر بيضة الإسلام بعد كسرها وهناك قسم آخر من الجهاد هو في ابتداء الكفار بجهادهم في سبيل دعوتهم إلى الإيمان بالله ﷻ وغزوهم لأجل ذلك في عقر دارهم.

والجهاد عند أبناء الشيعة العرب وجوباً كفائياً على معنى أنه يجب على الجميع أن يقوم به منهم من فيه الكفاية فيسقط عن الباقين سقوطاً مراعى باستمرار القائم به ومن قتل في كل الأقسام الخمسة من المؤمنين فهو من الشهداء السعداء وله في الآخرة مع الإخلاص في النية ما أعده الله للشهداء بين يدي خاتم الأنبياء. ولا فرق في وجوب الجهاد في كل ذلك بين حضور الإمام وغيبته ووجود المجتهد وعدم وجوده إذ يجب على المسلمين الحاضرين والغائبين أن يتفردوا بالجهاد تاركين عيالهم وأشغالهم وسائر مهماتهم ولقد وجدوا لهم أسوة طيبة في إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يتحسر على إخوان له قضوا نحبهم وسبقوه إلى الفردوس الأعلى قائلاً : **أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه** (ثم نادى بأعلى صوته) : **الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وإني معسكر في يومي هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.**

قال الله تعالى : ﴿ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٨١، ٨٢].

وكم كنت أتمنى على القارئ الكريم أن يتحرّى خبر تلقي بعض المرجعيات لمئتي مليون دولار من الإدارة الأمريكية لقاء الإفتاء بتعطيل فريضة الجهاد وهذا ما جاء على ذكره وزير الدفاع الأمريكي رونالد رامسفيلد في كتابه (المعلوم والمجهول) .

*ولعل خير دليل على عدم اعتقاد غالبية الشيعة العرب بالدعوات الصفوية في ضرورة تعطيل الجهاد، انخراط العديد من الشيعة العرب في صفوف المقاومة العراقية الباسلة لمقاتلة الغزاة الأمريكان . فقد قرؤوا قول الإمام علي عليه السلام : ما غُزي قومٌ في عقرِ دارهم إلا ذلّوا .



قال الله ﷻ في كتابه العزيز : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وقال عزَّ وجل : وكان أمر الله قدراً مقدورا.

٢٤ـ القضاء والقدر

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمن ادعى نصـــرته (نقلاً عن كتاب نهج البلاغة المنســـوب إليه) : **أحمد الله على ما قضـــى من أمر وقدَّر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع وإذا دَعَوْت لم تجب .**

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه حلوه ومره قليله وكثيره مقدور وواقع من الله عزّ وجل والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول الدين لا يصلح الإيمان إلا بهما ،مصداقاً لقوله تعالى في القضاء : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ... ، وقوله عز وجل : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ، وقوله تعالى أيضاً : ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾، أو قوله عزّ وجل : ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ ، وقول الله تعالى : ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (أي فرغ منه) .. وتأكيداً لقول الله عز وجل في القدر : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، وقوله عز وجل : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.. أو قوله تعالى :

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ فمن المعلوم أن لله إرادتين ، قدرية كونية وأخرى شرعية ، أما القدرية فهي ما كتبه الله صغيراً كان أو كبيراً خيراً أو شراً مما أراد حدوثه في كونه الفسيح ، ومنها إيمان المؤمن وكفر الكافر، والشرعية هي أوامره ونواهيه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ... إلخ .

إن مســألة الإيمان بالقضــاء والقدر هي من المســائل التي اختلف عليها حتى أولئك الذين قالوا بها لذلك نرى ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق يقول في عقائده التي سجَّلها على أنها تمثل عقائد الشيعة واشتهرت بعقائد الصــدوق : اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين ومعنى ذلك إنه لم يزل الله عالماً بمقاديرها (عقائد الصـــدوق ص ٧٥) ، وهذا فيه إثبات علم الله عزَّ وجل بأعمال العباد فقط لا إثبات عموم مشيئته سبحانه وهو لا يقتضي أن الله خالق أفعال العباد .

ومع ذلك فقد تعقبه الشـيخ المفيد فقال في أوائل المقالات : الصــحيح عن آل محمد أن أفعال العباد غير مخلوقة لله .

وقال بذلك ابن المطهر الحلي في الصفحة ٥٢ من نهج المسترشدين وأقرَّ أن هذا مذهب طائفته ومذهب المعتزلة .

وكذلك قال المجلســي في الصـفحة ١٤٨ من الجزء الرابع من كتابه بحار الأنوار : وذهبت الإمامية إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها .

تعليق :

ولنا هنا أن نسأل السيد المجلسي فنقول : إذا كان الأمر كما تدعي فمعنى هذا أن الإمام الحسين (عليه السلام) قد قرر الانتحار (حاشـــاه) عندما اختار المواجهة مع جيش اللعين عبيد الله بن زياد في واقعة الطف بكربلاء عام ٦١ هجرية ؟ - انتهى التعليق - .

ونسبوا للإمام الصادق (عليه السلام) إنه قال : إنك لتسأل عن كلام أهل القدر وما هم من ديني ولا دين آبائي ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به : (وهذا ما أورده المجلسي في الصفحة ٥٦ من الجزء الخامس من كتابه بحار الأنوار وذكره البحراني صاحب تفسير البرهان في الصفحة ٣٩٨ من الجزء الأول منه) .

وإذا كان الإمام الصـادق (عليه السلام) قد قرأ القرآن كله وحفظه عن ظهر قلب فهل نسـي (حاشـاه) أن يقرأ قول الله تعالى : وكان أمر الله قدراً مقدورا .

كما ادعوا أن الإمام الصـــادق (عليه السلام) قد قال : دع هذه القدرية، أما يقرأوون هذه الآية (إلا امرأته قدرناها من الغابرين) ؟

وعندما تأكد للفقهاء المتأخرين أن في هذه الآية إثبات للقدر وليس إنكاراً له وإن أســـلافهم من فقهاء الطائفة الصفوية قد أخطؤوا في تفسيرها أعرضوا عنها وتجاوزوا الكثير من مروياتهم فجعلوا من أصولهم العدل كالمعتزلة ســواء بســواء وهذه الكلمة لفظ جميل في ظاهرها لكنها تخفي وراءها معنى خطيراً وهو إنكار قدر الله تعالى (نقلاً عن أصول الشيعة) ، وفي الأعوام الأخيرة بدأنا نقرأ لفقهاء معاصرين فتاوى في القدر تقترب من فتاوى أهل السـنة والجماعة – في ظاهرها – حيث يقول الشـيخ المظفر في عقائد الشـيعة الإمامية : واعتقادنا في ذلك تبعاً لما جاء عن أئمتنا الأطهار (عليهم الســلام) من الأمر بين الأمرين والطريق الوسط .

ويقول الشــيخ الشــيرازي صــاحب التفســير المعروف (بالأمثل) في كتاب عقائد الإمامية: أن أي فعل وحركة في عالم الوجود ناجم عن إرادة الله ومشيئته ، الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (الزمر ٦٢) ، وله مقاليد الســموات والأرض (الشــورى ١٢) ، فلا مؤثر في الوجود إلا الله ولكن هذا لا يعني أننا مجبرون على أفعالنا التي نقوم بها بل أننا أحرار في الإرادة و اتخاذ الموقف : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإنســـان ٣) ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (النجم ٣٩) ، تبين الآيتان الكريمتان بوضـــوح أن الإنســـان حر في إرادته ولكن الله تعالى هو الذي أعطى هذه الحرية والقدرة على أداء العمل واتخاذ المواقف وعليه فإن أعمالنا تسند إليه دون أن يقلل ذلك من مسـؤوليتنا إزاء هذه الأعمال ، فهو أراد لنا أن نؤدي أعمالنا بحرية ليبتلينا ويضــعنا على طريق التكامل لأن الإنســـان لا يتكامل إلا بحرية الإرادة وســـلوك طريق الطاعة بمحض الاختيار ذلك لأن العمل القســـري الخارج عن حرية الاختيار لا يمكن أن يدل على صلاح المرء أو فساده فلو كنّا مجبرين على أفعالنا لانتفى أي معنى ومفهوم لبعثة الأنبياء ونزول الكتب الســـماوية وفرض التكاليف الدينية ولفقد الثواب والعقاب الإلهي أي محتوى له ، وهذا ما تعلمناه من مدرسة أهل البيت عليهم السلام (أئمة اللا جبر واللا تفويض) .

أما الذين لا يؤمنون بالقضاء والقدر فحجتهم في ذلك في أن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ليس قضاءً ولا قدراً وما مواكب العزاء التي يقيمونها في عاشوراء إلا تعبير عن عدم رضاهم بهذا القضاء وذاك القدر .

ولنا أن نختتم البحث في موضوعة القضاء والقدر بقول الإمام علي (عليه السلام) :-

إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أونقصان في نفس أو أهل أو مال ، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله ، ورأى لغيره عثرة فلا يكوننَّ ذلك له فتنة ، فإن المسلم ما لم يغش دنياه يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت ويغرى به لئام الناس كالبائس العالم ينتظر أول فوره من قداحة توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم ، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين إذا ما دعا الله ، فما عند الله خير له ، وإما أن يرزقه الله مالاً فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه ، وأما أن يعطيه في الآخرة ، فالآخرة خير وأبقى ، الحرث حرثان ، فحرث الدنيا المال والتقوى ، وحرث الآخرة ، الباقيات الصالحات وقد يجمعها الله تعالى لأقوام .

*ويرى المتنورون من الشيعة العرب أن الإيمان بالقضاء والقدر ضرورة من ضرورات الدين الحنيف وركن من أركان الإيمان.



قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ [التوبة]

٢٥- المرجعية والتقليد

جاء في الخطبة ١٩٢ للإمام علي عليه السلام : **ألا فالحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم .**

في عام ١٩٩٤م ألقى الشيخ محمد مهدي شمس الدين (وهو أحد الشيعة العرب المعتدلين محاضرة في ذكرى وفاة الشيخ محمد باقر الصدر) جاء فيها : مصطلح تقليد ومصطلح مرجعية هذان المصطلحان وما يرافقهما ويناسبهما غير موجودين في أي نص شرعي وإنما هما مستحدثان، وليس لهما أساس من حيث كونهما تعبيرين على مؤسسة تقليد هي مؤسسة مرجعية .. ويضيف شمس الدين قائلاً : كل ما هو موجود بالنسبة لمادة قلّد خبر ضعيف لا قيمة له من الناحية الاستنباطية إطلاقاً وهو المرسل الشهير عن أبي الحسن عن أبي محمد الحسن العسكري ومتداول على ألسنة الناس فمن كان من الفقهاء صائناً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه، مادة قلّد موجودة فقط بهذا النص ولكن لا يعتمد عليه إطلاقاً، هذا التقليد ومقلد لا أساس له ومرجع لا أساس له، هذا المصطلح (مرجع أعلى) لا أساس له إطلاقاً بالشرع ولا أساس له في الشرع الإسلامي أو الفكر الإسلامي أصلاً لا يوجد في الفكر الإسلامي ولا الشرع الإسلامي خارج نطاق المعصومين، خارج نطاق النبي محمد ^، لا يوجد مرجع أعلى على الإطلاق .. ويمضي الشيخ شمس الدين بالقول : وأقول للتاريخ إننا في عهد الشهيد محمد باقر الصدر نحن مجموعة من الناس وأنا واحد منهم رَحِمَ الله من توفاه وحفظ من بقي حياً، هذا المصطلح أوجدناه أنا ومحمد باقر الصدر ومحمد مهدي الحكيم ومحمد بحر العلوم، ولعله يمكن أن أقول بنحو المصادفة إن جانب السيد الشهيد ﷺ كان من الرعيل الأول وهو أعلاهم وأسماهم والداعي أنا محمد مهدي شمس الدين كنّا مجموعة تعمل في مواجهة نظام عبد الكريم قاسم المؤيد للشيوعية في نطاق جماعة العلماء وفي نطاق مجلة الأضواء وأردنا أن نوجه خطاباً سياسياً للخارج سواء كانت مرجعية السيد الحكيم ﷺ هي المرجعية البارزة وليست الوحيدة أو كانت مرجعية السيد البروجوردي في إيران هي المرجعية البارزة، اخترعنا هذا المصطلح واستعملناه وآسف إذا أصبح مصطلحاً رائجاً وهو لا أساس له على الإطلاق استخدمناه وأفدنا منه ولكن نحن استخدمناه كآلية لا نريده ولا نريده غلاً ولا نريده عائقاً.

أما كاشف الغطاء فقد كشف عن إقبال أبناء العلماء ورجال الحوزات على الأفكار الإلحادية. (وهذا ما نشر في المخاطر والمحذورات للسيد عباس الرضوي).

ويتهم آية الله المطهري قرار الحسينيات بنشر الأكاذيب واعترف قائلاً : لقد حرفت وللأسف الشديد حادثة عاشوراء ألف مرة ومرة أثناء عرضنا لها، وقال بعدها : لقد كتب لي أحد العلماء في الهند يشكو من كثرة الأكاذيب. (وهذا ما جاء على ذكره المطهري في ٣-٢٤٠ من كتاب الملحمة الحسينية).

ويقول القوجاني في المرجعية والمؤهلات الأخلاقية : من المضحك أن حوالي خمسة عشر من فضلاء تلاميذ المرحوم الآخوند بدؤوا التحرك لبلوغ مقام الإفتاء والتقليد واستلام سهم الإمام وكسب الشهرة رغم وجود حوالي خمسة من كبار مراجع التقليد المشهورين آنذاك، في حين أن القضاء والإفتاء من الواجبات الكفائية.

وعن تصرفات أمناء بعض المراجع الكبار يقول آية الله المطهري : مما يدعو للأسف أن الناس يرون بأم أعينهم ما يقول به أمناء بعض المراجع الكبار وأحفادهم والمقربين إليهم من حياة بذخ وفوضى وتبذير لأموال المسلمين فهل فكر أحدهم في الأضرار التي تلحقها هذه الأعمال بكيان الحوزة؟ (نقلاً عن المرجعية والروحانية لمحمود الطالقاني، و مجموعة المقالات، ص١٩٤).

أما السيد محمد العيناني فيقول في كتاب آداب النفس ص١٨٩ : من الناس طائفة قد جعلوا التشييع مكسباً لها مثل النياحة والقصص لا يعرفون من التشيع إلا البكاء .. جعلوا مشاعرهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل يبكون على فقدان أجسامنا وهم بالبكاء على أنفسهم أولى ..

ويقول (الإمام) الخميني : ففي الحوزات العلمية هناك أشخاص يعملون ضد الإسلام المحمدي الأصيل، اليوم نرى بعضهم يهدمون بمعولهم الدين. (مجلة الأنوار ٢١/٩١).

كذلك قال الشيخ الأنصاري وآية الله الطالقاني مثلما قال شركاؤه في العقيدة ويذهب الشيخ عباس الخوئي نجل الإمام أبو القاسم الخوئي أبعد من ذلك فيقول : إن المرجعية عبارة عن عصابة يرأسها (م ر س) وهي تتألف من خمسين شخصاً تتولى إدارة شؤون الطائفة الشيعية ويتصرفون بما يحلو لهم في أموال المسلمين .. (وأقسم بعد ذلك بالله العظيم وقال) : إن عملية الوصول إلى المرجعية سهلة ميسورة إذ لا يلزم الذي يريد بلوغها غير عمامة كبيرة ولحية طويلة وبطانة تحسن التهريج فتسقط من تشاء درجة وترفع من تشاء درجة ويستظلون بالأجنبي ومن كان بحاجة إلى مال يغنيه فسيجد في الحوزة من يغنيه ومن يخلع عليه لقب سيد حتى وإن هو لم يكن عربياً أو مسلماً ــ وتابع حديثه قائلاً ــ : إن كلمة مقلِّدْ أو مقلَّد لم تكن موجودة قبل عام ١٩١٤ (أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى) فالإنجليز هم الذين جاؤوا بهاتين المسميتين فقد تطوع علماء الشيعة في العراق (كيداً بالدولة العثمانية التي كانت تتبع المذاهب السنية) لخدمة مصلحة الإنجليز في المنطقة وكان من بين أولئك العملاء الذين هادنوا الإنجليز كاظم يزدي الذي كان يلقب بالملا الإنجليزي.

وفي اعترافاته أشار الشيخ عباس الخوئي نجل زعيم النجف الأشهر أبي القاسم الخوئي إلى أن منصب المرجعية لم يكن على عهد والده مرهوناً برغبة الحوزة أو عوام الشيعة بل كان أمراً مرهوناً بسلطات الاحتلال البريطاني ولم يكن مطلوباً من المرجع أكثر من أن يكون عميلاً للسلطات حتى لو كان يهودياً أو نصرانياً فإن هذا لا يمنعه من أن يتولى قيادة المرجعية ويرتدي العمامة السوداء ويطلق على نفسه اسماً إيرانياً أو عربياً (اعترافات عباس الخوئي) .. كما أشار إلى ممارسات بعض الحوزات وكيف أن كبار علمائها من عملاء بريطانيا وعملاء السلطة والتجار فيما بعد، كانوا لا يحسنون قراءة آية واحدة من القرآن أو مجرد التحدث بعبارة فصيحة خالية من الأخطاء اللغوية.

أما المرجع الشيعي العربي محمد حسين فضل الله رحمه الله فيقول : حدثت في الحوزات بعض التصرفات السلبية ضد علماء ومجتهدين كبار لأنهم أفتوا ببعض الفتاوى المخالفة للاتجاه العام كالمرحوم محسن الأمين ــ وهو مرجع شيعي عربي ــ الذي أفتى بتحريم ضرب الرؤوس بالسيوف وضرب الظهور بالسلاسل الحادة في عزاء الحسين عليه السلام ..، وكان فضل الله رحمه الله قد دعا إلى الابتعاد عن الروايات والأحاديث غير الصحيحة انطلاقاً من الأدلة الشرعية. (وهذا ما أوردته مجلة الثقافة الإسلامية في الصفحة ٦١ من عددها ٤٣).

وأخيراً فأنا أتمنى على القارئ الكريم قراءة كتاب وزير الدفاع الأمريكي السابق رونالد رامسفيلد (المعلوم والمجهول) ليرى حجم المبالغ التي تلقتها بعض المؤسسات الدينية من الإدارة الأمريكية لتمرير مشروع احتلال العراق وتعطيل فريضة الجهاد.

المصادر والمراجع

أهم مصادر ومراجع الكتاب بعد القرآن الكريم كتاب الله العزيز ،وصحيح البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد والبداية والنهاية لابن كثير والمنتظم لابن الجوزي،وتفسير الرازي ،والرياض النظرة ،والطبقات الكبرى لابن سعد ،وتاريخ الطبري –تاريخ الأمم والملوك –لمحمد بن جرير الطبري – وديوان الإمام الشافعي:

١-كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضى أقوال الإمام علي عليه السلام ، شرح أبي الحديد،وشرح الإمام الشيخ محمد عبده.

٢-الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام.

٣-الكافي ، وأصول الكافي ، والروضة من الكافي وفروع الكافي (لمحمد بن يعقوب الكليني).

٤-فقيه من يحضره الفقيه والإمارة والتبصرة وإكمال الدين وعيون أخبار الرضا والاعتقادات ،والخصال وعلل الشرائع والتوحيد،ومعانى الأخبار (لابن بابويه القمي المكنى بالصدوق).

٥-فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ،والاحتجاج ، ومستدرك الوسائل ،وخاتمة المستدرك (للنوري الطبري).

٦-التهذيب ،والإرشاد ،وأوائل المقالات والاختصاص وتصحيح الاعتقاد (للشيخ محمد بن النعمان المفيد).

٧-وبحار الأنوار ومرآة العقول وحق اليقين (لمحد باقر المجلسي).

٨-بصائر الدرجات (لمحمد حسن الصفار)

٩-تلخيص الشافي والأمالي والغيبة ،وتهذيب الأحكام والبيان والمبسوط والفهرست والتهذيب والاستبصار(لأبي جعفر الطوسي).

١٠ -الشافي ودلائل النبوة ورسائل الشريف المرتضي (للإمام أحمد بن الحسين المرتضى)

١١- كشف الأسرار وتحرير الوسيلة والحكومة الإسلامية ، ومصباح الهدايا (لمصطفى خمين الهندي المكنًى).

وهذه المصادر والمراجع كلها معتبرة عند علماء الطائفة الصفوية وتلقى اهتمام عوام الشيعة العرب ، ولها من الاعتبار عند المراجع الشيعية ما للمراجع و المصادر الآتية من الاعتبار والاحترام :

المقالات والفرق للأشعري القمي ، تفسير البرهان للبحراني ، فرق الشيعة للنوبختي ، ودائع النبوة للهادي الطهراني ، عيون الأخبار للقرشي ، مرآة الأنور للنعماني ، ومفاتيح الأصول للتلمساني ، و معجم رجال الحديث للخوئي والأمثل لناصر مكارم الشيرازي ، جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ، وجوهر الكلام لمحمد حسن النجفي ، وأصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين كاشف الغطاء ، وكامل الزيارات لابن قولويه القمي ، إثبات الهداة للعاملي ، وكتاب ذكرى الشيعة لمحمد بن مكي العاملي ، وتنقيح المقال للماقاني، وأنساب الأشراف للبلاذري ، والملل و النحل للشهرستاني ووسائل الشيعة للحر العاملي ، وكشف الغمة للأردبيلي ، والغارات للثقفي ، ومأساة الزهراء لمرتضى العاملي ، ومقتل الحسين للمرتضى عياد ، والمرجعية والروحانية لمحمود الطالقاني ،ومفاتيح الشريعة

والصافي للفيض الكاشاني ، و إحقاق الحق للشوشتري والرجعة للإحساني ، منتهي الآمال للعباس القمي ، وناسخ التواريخ للميرزا تقي الدين خان ،وفتوح البلدان للبلاذري ، ومروج الذهب للمسعودي ، وفدك فى التاريخ لمحمد باقر الصدر ، وأعيان الشيعة لمحسن الأمين ، وحديقة الشيعة للاردبيلي ،والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ،والدرة النجفية للد نبلي ، مقاتل الطالبين للأصفهاني ، والأخبار الطوال للدينوري ، تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي السمرقندي ، والقاموس للفيروزآبادي ، ومجمع البحرين لفخر الدين الطريحي ، والبيان للخوئي ، والفصول المهمة للحر العاملي وأصول الشيعة الإمامية لعلي الكركي ،وآداب النفس للعنانى وذخيرة المعاد لمحمد باقر السبزواري، والفطرة السلمية لكريم بن إبراهيم و مدارك الأفهام لمحمد علي الطباطبائي ومناقب آل أبي طالب لمحمد بن شهرآ شوب المزنداني ومسالك الأفهام لزين الدين العاملي ، ومدينة المعاجز لهاشم البحراني ، ولله ثم للتاريخ لموسى الموسوي، وكشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار لحسين الموسري وتاريخ بغداد للبغدادي ،وجامع المقال لفخر الدين الطريحي ، والدروس لمحمد مكي العاملي ، والأسرار الفاطمية لمحمد فاضل للمسعودي ، والصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي والطاق للميثمي ، ومنهاج ونظرة إسلامية حول الولاية التكونية لمحمد حسين فضل الله ،وعقائد الأئمة الاثني عشرية للزنجاني ، تحرير الأحكام للحسن ابن مطهر الحلي ، والتبصير في الدين لطاهر بن محمد الإسفاريني ، شرح الأخبار في فضل الأئمة الأطهار للقاضي نعمان ، وسيرة الأئمة الاثني عشرية لهاشم معرف الطهراني و التفسير المبين ومع الشيعة الأمامية وظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية ،ومصباح الفقيه للهمداني والمزار الكبير لمحمد المشهدي ،وجنة الأمان للكفعمي ، والملحمة الحسينية لمرتضى المطهري ،والأشراف لابن أبي الدنيا وصيانة القرآن من التحريف للطف الله الصافي ، والمخاطر و المحذورات لعباس رضوي ، والشيعة والتصحيح لحسين الموسوي ، المكاسب لرضا الأنصاري ، والتحقيق في نفي التحريف لعلي الميلاني ، والدر المنظوم لزين الدين العاملي ،ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ، وحلية الأولياءلابن نعيم ، ولسان الميزان لإبن حجر ومستدرك نهج البلاغة لهادي كاشف الغطاء ، وإبطال نهج البلاغة لابن روزبهان ، ونهج المسترشدين لابن المطهر الحلي ،و الفصول المختارة من كتاب الجاحظ ،و شرائع الإسلام لنجم الدين بن الحسن الحلي والخلافة الراشدة للدكتور يحيى ، والمصنف لابن أبي شيبة ، ومصنف عبد الرزاق ، و سيرة أمير المؤمنين لعلي الصلابي ،وخلافة علي بن أبي طالب لعبد الحميد علي ،و ثم اهتديت وكل الحلول لمحمد التيجاني السماوي ،و التهذيب لابن عساكر .

كما كان لي الاستعانة بالمصادر و المراجع الفرعية التالية :

المرجعية والمؤهلات الأخلاقية ،عقيدة الرجعة عند الشيعة الاثنى عشرية ، البلد الأمين ، عقيدة التوحيد ، المراسم ، الرسائل العقائدية ، مجلة الثقافة الإسلامية ، اعترافات عباس الخوني ، وأضواء على عقائد الشيعة الإمامية لجعفر السبحاني ، مجموعة المقالات ،حياة القلوب ، العقيدة في أهل البيت ، كشف المراد ، كنز العمال للهندي ، علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين .



فهرس الكتاب